

حكايات من آذربايجان

الجزء الأول

تأليف: أحمد آذر أفشار

ترجمة: محمد جار الله أحمد

١- مغامرات حسين الكردي

يحكى أنه كان فى العصور الماضية حاكم يعيش فى مدينة تبريز، وكان لديه شاب فتوة يدعى مسيح، لا يستطيع شاب الصمود أمام سيفه، ولا يدانيه أحد فى جراته، ولم يخضع حاكم تبريز فى ظل انتصاراته لأى مملكة أخرى؛ وفى يوم من الأيام وصلت قصة بطولات مسيح إلى مسامع الملك عباس فاستدعى الملك عباس رئيس شجاعانه فرّخ وقال له: تحرك فوراً ومعك أربعون بطلاً إلى مدينة تبريز، واطلب من حاكم تبريز الجزية والخراج عن السبع سنوات الماضية واقبض على الفتوة مسيح وأحضره معك الى هنا.

سار فرّخ مع أربعين مقاتلاً فى اتجاه تبريز، وقد امتطى المقاتلون الخيول السريعة، وعبروا بها الوديان كالسيل الجارف، وقفزوا فوق التلال كالريح العاصف، إلى أن وصلوا تبريز، فكتب فرّخ رسالة وأرسلها إلى الحاكم، وكان قد كتب فيها: ذاك منى انا فرّخ رئيس شجاعان الملك عباس، بمجرد وصول هذه الرسالة إليكم القبض على مسيح الفتوة وتسليمه لنا مع الجزية والخراج لفترة السبع سنوات الماضية لنحملهم معنا الى أصفهان.

قرأ الحاكم الرسالة من أولها الى آخرها على مسامه الحاضرين ثم القى نظرة قلق على وجه مسيح، فقال مسيح: أيها الحاكم! أنت أول من يعلم أن مسيح متمرّد ولا يمكن ليد أن تمسك بى، فاعط الأوامر لتجهيز ساحة القتال، علينا أن نتقابل أنا و فرّخ هذا وجهاً لوجه، وبعد إنتهاء القتال ستجلس والدّة فرّخ لتتقبل الغزاء فى ابنها.

كتبوا كل هذا فى رسالة وأرسلوا بها إلى فرّخ، وقاموا بتجهيز ساحة القتال، أضاعوا المشاعل على الجوانب ودقت طبول الحرب، وكانت ساحة ميدان القتال من النظافة بحيث لوألقيت إبرة لوُجِدَت بسهولة، وبدت الجبال وكأنها ترتجف

من دوى الطبول، وأطلق المشاهدون الصفارات. دنا فرّخ ورجاله من الميدان وكانت رأسه تشبه القبة، وكان لحم كتفيه مرتفع من الجانبين، وعينيه كالسراج المتوهج؛ اصطف مقاتلوه، كلّ في مواجهة الآخر، وقال فرّخ لمسيح: إرحم شبابك وهيا قبلّ يدى لأصطحبك معى إلى حضرة الملك عباس، وسأستسمحه ليصرف النظر عن جرائمك، وسوف تكون تحت إمرتى.

قال مسيح: لم يكن ميدان الحرب يوماً مكاناً للوعظ والنصيحة، لكن إذا كنت نادماً على مجيئك الى هنا فهيا معى إلى حاكم تبريز ليعفو عن أخطاءك ويجعلك فى المكانة المناسبة لك.

لم يوافق فرّخ، وفى النهاية تم الاحتكام الى السيف، فقال فرّخ: النوبة الأولى لك أم لى؟.

قال مسيح: إذا مرّ العدو بأرضنا يوماً نعتبره ضعيفاً، و هذه فرصة أهديها لك. إستل فرّخ سيفه فى الحال وهوى به على رأس مسيح ثلاث مرات بقوة؛ وكان مسيح قد حدد موضعاً على درعه قبل بداية النزال لتلقى ضربات فرّخ عليه، تهشم سيف فرّخ وتناثر على الأرض.

جاء دور مسيح، فتهشم سيفه أيضاً وتناثر على الأرض؛ ألقى كل منهم درعه جانباً وتماسكوا بالأحزمة، حيث كان كل منهم يربط على وسطه حزاماً عريضاً، ومع أن فرّخ كان قوياً إلا أن مسيح كان يتقن فنون القتال.

استمروا على هذه الحالة مدة ثلاثة أيام يتقاتلون على الأرض، من غروب الشمس حتى مطلع الفجر، ولم ينتصر أى منهما على الآخر؛ فى النهاية اتفق الطرفان على هدنة لمدة عشرة أيام لى يستريحوا من القتال.

كان مسيح يومياً يمتطى حصانه ويتجول به فى الجبال حول مدينة تبريز. استمعوا الآن إلى حكاية حسين الكردي.

كان حسين الكردي ابن حسن الجمل، وكان والده هذا قوى البنية حيث كان

يطبق بيديه على رقبة الجمل فلا يستطيع الجمل أن يفلت من بين يديه، لهذا السبب أطلقوا عليه لقب "حسن الجمل".

كان حسن الجمل فقيراً جداً في حين أن ابنه حسين الكرد شاباً نهماً أكولاً، حيث يأكل كل ما يُقدّم له ولا يشبع؛ كان حسين الكردي يرعى أغنام القرية في المراعى حول الجبال في مقابل ما يقدمه له الأهالي من طعام؛ و يمتلك حسين عصا غليظة صنّعت من جذع شجرة سنّار عمرها سبع سنوات، وقد جعل في طرفيها قطع من الحديد وجلود الأحذية.

وصل مسيح أثناء تجواله إلى مرعى حسين الكردي فاقترب منه وقال: السلام عليك يا أخى الراعى، يقال: أن الجوع يلم بالراعى والتعب يلم بالجمال؛ هل يوجد عندك ما يؤكل؟

أعجب حسين كثيراً جداً بملابس مسيح وسيفه ودرعه وسرج حصانه المذهب. رفع حسين بصره إلى السماء وقال: لم يحن بعد وقت الغداء، على أية حال، سأعطيك طعامى وحين أصل إلى القرية أتناول غدائى هناك، لكن بشرط، إذا استطعت أن تأكل الطعام كله تصبح أخاباً لى، وإذا لم تستطع فسأهشم رأسك بهذه العصا.

قام حسين على الفور وأحضر وعاء وقربة مملوءة وحلب اللبن ووضعها في إناء التخمير ثم وضع الفطير المحشو بالكشك والجبن في الإناء وقام فأمسك بلجام الفرس ليتمكن مسيح من النزول، في نفس الوقت اتكأ على عصاه وقال لمسيح: كُلْ.

قال مسيح في نفسه: تهلكة عجيبة قد وقعت فيها، فبعد التقاتل مع فرّخ سأواجه الآن حرباً مع عزرائيل؛ ثم رمق العصا بطرف عينيه وهمس في نفسه قائلاً: لو أن لى مائة رأس فلن تبقى منها واحدة سليمة تحت هذه العصا. هجم في ذات الوقت عدداً من الذئاب على مرعى حسين، فهرع إليهم حسين

بعصاه فقتلهم واحدا واحدا حتى أنهى عليهم جميعاً وتناثرت جثثهم على الأرض؛ وجد مسيح أن هذه فرصة عظيمة للتخلص من كمية الطعام التي لم يستطيع تناولها، فحفر حفرة في الأرض وألقى فيها الطعام وأهال عليه التراب، وأخذ يلحق ما تبقى في الوعاء حتى وصل حسين ووجده على هذه الحالة، حيث لا يزال يلحق بأصابعه ما تبقى في الوعاء، فربت على كتفه وقال له: أحسنت، وبما أنك أكلت كل هذا الطعام فأنت من الآن أخى. قال مسيح: يا أخى! كيف يمكننى أن أمتطى حصانى الآن؟. قفز حسين كالطائر على ظهر الحصان قبل أن يأتیه مسيح، لم يأبه مسيح بما فعل حسين وأخرج من جيبه بعضاً من قوالب السكر وناولها حسين، فقال حسين: لدينا منها الكثير فى البيت. سأله مسيح بدهشة: أتعلم ما هذا؟. قال حسين: نعم! إنه كِشك. قال مسيح: لا، هذا كِشك من نوع آخر، تذوقه وستعرف الفرق. أخذ حسين السُكَّر وعندما تذوقه أعجبه كثيراً وسأله: هل أجد معك منه الكثير يا أخى؟. قال مسيح: لا، لكن لو أتيت معى إلى منزلى فسأعطيك منه ما تريد. سأله حسين: لو أتيت معك الآن هل تعطينى منه ما يشبعنى؟. قال مسيح: نعم، اعهده الآن بالقطيع إلى أصحابك وهيا معى. سلكا الطريق إلى المدينة وأخذ مسيح حسين إلى منزله وأحسن استضافته. بعد أن انقضى جزء من الليل أتى رفاق مسيح ليذهبوا بصحبته إلى ساحة القتال وهم حسين أن يذهب معه لكنه آثر أن يتعقبهم سراً. وقف فى ركن من ساحة القتال وانشغل فى مشاهدة ما حوله، وقع نظره على مسيح وهو ينادى بأعلى صوته: أضيئوا المشاعل ودقوا طبول الحرب. أضيئت المشاعل وجاءت الطبول والدفوف بدويها الهادر. وصل مسيح برفقة شجاعانه إلى الساحة، كان حسين ينظر بنظرة مقربة وأخذ

يدور بها حتى رأى مسيح يبتعد عن رفاقه متجهاً إلى وسط الميدان، وجاء رجل من المجموعة الأخرى ووقفاً وجهاً لوجه أمام مسيح؛ قال ذلك الرجل لمسيح: بأي نوع من الأسلحة سنتقاتل الليلة.

ورد عليه مسيح: بأي ما تريد منها.

طلب فرّخ أن يحضروا له هراوته، كذلك أحضر رفاق مسيح هراوته فى ساحة القتال.

قال فرّخ: تقلد درعك يا مسيح.

تقلد مسيح درعه، وأخذ فرّخ يلوح بهراوته فى الهواء ثم رفعها لأعلى وأنزلها بكل قوته على رأس مسيح، تحمل مسيح الضربة الأولى والثانية، لكن الضربة الثالثة كانت قد أنهكت سواعده وسقط كل من الدرع والهراوة من يديه وغاب عن الوعي وسقط بوجهه على الأرض؛ اتجه فرّخ إلى رفاقه وقال لهم:

قيدوا يدي هذا الإرهابي بأسرع ما يمكن. قفز حسين الكردي من مكانه إلى مكان مسيح قبل أن يصل إليه أحد وحمله على عاتقه وخرج به من أرض المعركة، صاح فرّخ بأعلى صوته قائلاً: اقبضوا عليه قبل أن يخرج؛ لكن دون جدوى، فقد انتهى الأمر وأوصل حسين مسيح إلى بيته وحضر رفاق مسيح (الذين لاذوا بالفرار بعد أن تأكدوا من هزيمته) إلى بيت مسيح؛ وبعد عدة ساعات فتح مسيح عينيه وتعجب كثيراً عندما رأى نفسه فى منزله – من ذا الذى أنقذه فى ساحة القتال من بين يدي فرّخ؟- فكّر فى نفسه قليلاً: إن هذا العمل لا يقوم به إلا حسين الكردي فاتجه ناحية حسين وقال له: أنت أنقذتني من موت مؤكد يا أخى، وأنا ممتن لك وإن شاء الله أعوضك عن هذه المساعدة.

ابتسم حسين وقال: يا أخى! إن رأسك كانت خاضعة تحت رحمة هراوته، بينما أخذ هو يدق عليها دقاً متواصلاً بلا هوادة، وهذا أمر غريب، فكيف يكون هذا قتالاً؟

كان يجب أن يمسك كل منكم هراوته بيده ثم يضربك هو ضربة، وأنت تضربه ضربة، فهكذا يجب أن يكون القتال؛ غداً بمشيئة الله فى المساء سألقنه درساً فى أسلوب القتال الصحيح.

ضحك الجميع عند سماعهم هذا الحديث وقال مسيح: إن البطولة لها قواعد وقوانين يا أخى، ويجب علينا جميعاً التمسك بها والحفاظ عليها. مضت تلك الليلة بما كانت عليه من حال وكان مسيح مرهق جداً، وفجأة أغشى عليه مرة أخرى وحين أفاق قال له حسين: سأذهب الليلة حتماً يا أخى لقتاله. رد عليه مسيح: يا أخى! أنت لا تعرف عادات وتقاليد البطولة بعد، وهو من أقوى أبطال العالم وأنت لست نداً له.

كلما كان مسيح يتحدث فى هذا الموضوع ويعيد كان حسين لا يستمع منه إلا القليل، وفى النهاية نام حسين وما أن تأكد مسيح من نومه ذهب وتمدد بجواره وقيد قدماه بقدميه بلجام الفرس، شعر حسين بذلك وانتظر حتى استغرق مسيح فى النوم وقام بهدوء وفك اللجام من قدميه وحمل عصاه وأخذ طريقه إلى ساحة القتال.

ما إن وصل حسين الى هناك حتى أعاد ما كان قد سمعه من مسيح بصوت جهورى: أضيئوا المشاعل ودقوا الطبول؛ لم يهتم أحد لنداءات حسين، فتوجه إلى احد حاملى الطبول وجذبه من أذنه حتى اقتلها من مكانها، فصرخ الطبال وصاح بأعلى صوته: فداك، سأقوم بكل ما تريد.

قال حسين مرة أخرى:

أضيئوا المشاعل ودقوا طبول الحرب بأعلى صوت لإعلان بدء القتال . كان دوى الطبول أقوى وأشد من أى يوم مضى ؛ جاء فرخ ورجاله إلى ساحة القتال لكنهم لم يجدوا مسيح، بل وجدوا راعيا للغنم يقف بدلا منه فى ساحة القتال وبيده عصا غليظة يهزها، توجه إليه فرخ وقال:

لأى شىء أتيت.

- أتيت من أجل القتال.

- لكن ليس معك سيف ولا درع.

- تكفينى هذه العصا.

- حسنا! إذا لمن تكون الفرصة اليوم؟.

- بالأمس كان الدور لك، والآن الدور لى أنا.

اتخذ فرّخ درعه، وقال له حسين: أنت بالأمس ضربت مسيح ثلاث ضربات

بهراتك، أما أنا فأتنازل لك عن ضربتين لتهنأ الآن بالضربة الأخيرة.

رفع حسين العصا لأعلى وطوح بها فى الهواء عدة مرات ثم هوى بها على

درع فرّخ الفولاذية فتهشم الدرع وتناثرت أجزائه فى أرجاء الساحة، وانشقت

رأسه أيضا من جرّاء الضربة وسقط على الأرض، وفى الحال هجم أربعون

رجلا من مرافقى فرّخ بسيوفهم على حسين فى وسط الميدان، فقتل منهم عددا

بالعصا، وأصاب عددا آخر وفر آخرون، وشيد من قتلاهم تلا من الجثث فى

وسط الميدان، ثم عاد إلى منزله ونام بجوار مسيح، وفى الصباح عمّ السرور

والفرح أرجاء تبريز، ووصلت رسالة من الحاكم إلى مسيح كان مكتوبا فيها: إن

انتصارك هذا يا مسيح هو مبعث سرورنا وافتخارنا، فاحضر إلى حضرتنا حتى

نمنحك وساما.

بعد أن قرأ مسيح الرسالة قام واحتضن حسين وقبّله واصطحبه معه إلى حضرة

الحاكم، وهناك قاموا بتسليمه رداء البطولة الملكى وكيس يحوى ذهباً.

ومنذ ذلك اليوم لازال حسين يرتدى هذا الرداء.

قام مسيح بتلقين حسين فنون وتقاليد قتال البطولات بالتمام والكمال حتى

أصبح ولا نظير له، وأصبح معلّما فى فنون القتال.

كان الملك عباس يوفد جنوده مرات ومرات إلى تبريز وعلى رأسهم الأبطال

العظام، لكنهم جميعا كانوا يهزمون أمام حسين الكردي، ويفرون من المعركة لينجوا بأنفسهم.

كانوا ينقلون الحكايات عن بطولات حسين إلى الملك عباس، فغدا حسين بجرأته وإقدامه باعثا على خوف الملك وقلقه.

بالإضافة إلى فنون القتال وقواعده، قام مسيح بتعليم حسين مبادئ القراءة والكتابة.

أراد حسين أن يذهب إلى أصفهان ليلوم الملك عباس على فعلته التي فعلها، إلا أن هناك مشكلة عويصة لاقته وهي أنه لا يوجد حصان يتحمل ثقل وزنه، فكلما حاول أن يركب حصانا كانت الأحزمة تتمزق ولم يستطع أن يمتطى أى حصان. يأس مسيح كثيرا وكان ينظر بقلق، عاجزا عن أن يفعل شيئا، حتى اضطر إلى أن يكشف السر الذي كان يحتفظ به فى طى الكتمان، فقال لحسين: يا أخى، إن الحصان الذى يمكن له أن يتحملك وتستطيع أن تركبه اسمه " ذواللجام الأسود" ؛ فهو أقوى من الفيل، وأسرع من الريح، وأجمل من الطاووس، وهذا الحصان عند بطل يدعى " كرّ " وهو الذى يرسل إليه كل ملوك الأرض أموال الجزية والخراج، ويعسكر بين الحين والآخر فى منطقة من مناطق الهواء العليل والماء العذب، ومن هناك كان يغير بمن معه على أى مكان، ويهبط عليه كالبلاء المستعجل، ويواجه السيوف بلا درع.

كان حسين يصغى جيدا لحديث مسيح، وقال فى نفسه:

ينبغى علىّ أن أنتصر على كرّ هذا وأسلب منه الحصان ذو اللجام الأسود.

انشغل حسين أياما بالترحال حول مدينة تبريز، وكان الحاكم قد أعطاه واحدا من أفضل جياده، فكان يضع عليه أسلحته فقط ويسحبه ولا يركبه؛ سار حسين وسار حتى وصل فى يوم من الأيام إلى مدينة بعيدة جدا وقريبة من ساحل البحر، ورأى هناك سفينة كبيرة فعزم على أن يرتحل إلى الجانب الآخر فقام

بسحب حصانه وأدخله معه فى السفينة، لم يرغب أى واحد من رُكَّاب السفينة فى أن يجاذبه الحديث رهبتا منه.

شقت السفينة طريقها فى البحر وعلى متنها أربعون تاجرا يحملون معهم بضائع كثيرة إلى بلاد بعيدة. كانت السفينة تسير ببطء وشعر حسين بالجوع، وكانوا فى السفينة يقدمون الطعام بحيث يأكل كل اثنين من الرُكَّاب فى طبق واحد، وقدموا لحسين بمفرده طبقا واحدا من تلك الأطباق، وقبل أن يقول أى واحد (على ظهر السفينة) "بسم الله" ويمد يده إلى الطعام، كان حسين قد أكل كل ما فى الطبق وألقى به جانبا، فأشار أحد الرُكَّاب إلى صبي الطباخ بأن يحضر طبقا آخر لحسين، فالتهمه أيضا بسرعة، ثم أحضر الصبي طبقا ثالثاً، لكن حسين بدا وكأنه لم يأكل طعاماً قط، فوضع يده على بطنه وقال:

لا تتلوى يا بطنى، فلن ابرح حتى أشبعك.

تجمعوا فى المساء بنفس الوضع، مرت الليلة، وفى الصباح أعطوا حسين ثلاثة أطباق من الطعام، وبعد رفع السفرة نهض حسين من مكانه وتوجه إلى المطبخ وفتش كل آنية الطعام ثم قال للطباخ: عندما تطبخ طعاماً أطبخ ما يكفى لعدة أيام وليس لوجبة واحدة .

قال الطباخ:

أنا أطبخ كل وجبة فى وقتها أى أننى أطبخ ثلاث مرات فى يومياً.

قال حسين:

ألم يكن لديك دراية أو خبرة سابقة ؟ لِمَ لا تطهو مرة واحدة طعاما يكفى لمدة شهر أو على الأقل أسبوع واحد؟.

- لا أعرف.

- لذا من الضروري أن أعلمك؛ احضر لى الأرز والزيت فسوف أطهو طعاما يكفى لمدة عشرة أيام.

أشار له الطباخ - وهو يرتعد من الخوف- إلى أكياس الأرز وصفائح الزيت.
أفرغ حسين عدد من أكياس الأرز فى أوعية الطهى وصب عليه الماء ثم قال
للطباخ: احضر الزيت والملح، فقد كنت أنا طباخ الملك لعدة سنوات.
بعد أن وضع الملح والزيت على الأرز فى الأوعية أوقد تحتها النار، وبعد أن
نضج الأرز وأصبحت حباته متماسكة سحب حسين سيفه وقام بتقطيعه إلى قطع
متوسطة وعبأ منه الأطباق وأرسل بها إلى الرُّكَّاب؛ كان يقضم كل حين وحين
قطعة منه بحجة تذوق الملح، لم يستطع أحد من الرُّكَّاب تناول طعام حسين هذا؛
حسين وحده تناول كل الطعام - الذى رفضه الرُّكَّاب - وأراد أن يشرب، لكن
الرُّكَّاب رفضوا أن يعطوه ماءً، فثار وغضب وشرب من ماء البحر ومن ثم راح
فى نوم عميق.
أخيرا وصلت السفينة ورست على الشاطئ، وقام الرُّكَّاب بحمل حسين وإنزاله
إلى البر وتركوا بجواره سلاحه وحصانه - وكان لا يزال يغط فى نومه- ومضى
كل منهم إلى حال سبيله؛ سرق اللصوص ملابس حسين وسلاحه وفرسه
وتركوه فى نومه دون حراك.
مضت فترة حتى جاء الى المكان صياد فقير فرأى حسين الكردي وكأنه فنار
ملقى على الأرض، واعتقد فى أول الأمر أنه ميت فحزن عليه حزنا شديدا، لكن
عندما نظر إليه وتحسس بهدنة تيقن أنه لا يزال على قيد الحياة، فصاح بأعلى
صوته ونادى على بعض الصيادين القريبين على الشاطئ فتجمعوا وقاموا
بعضهم مع بعض بحمل حسين ووضعوه فى عربة ونقلوه إلى بيت الصياد، قال
الصياد لزوجته: هذا الشاب مرهق جدا، انفطر قلبى عليه فيجب علينا الاعتناء
به، ولو مات يكون قد استراح من الدنيا وشقائها، ولو بقى على قيد الحياة فقد
نستفيد من جهده.

بعد انقضاء عدة أيام، تصيب حسين عرقا واستيقظ من نومه وأخذ يأكل كل ما

فى بيت الصياد من طعام فى مدة ثلاثة أيام، فى النهاية انتبه إلى أنه ليس لدى صاحب البيت ما يؤكل فقال: احضروا لى ملابسى لأرتديها وسرجى وزادى فسأذهب مكان معين، فقال له الصياد: يا بنى، أنا وجدتكَ على ساحل البحر ممددا وشبه ميت، وعليك ملابسك الداخلية فقط، فرثيت لحالك وأحضرتكَ إلى هنا.

أخذ حسين يفكر ويفكر فتذكر أنه كان فى سفينة، وظن أن التجار جردوه من ملابسهم والقوا به على الشاطئ، فالتفت إلى الصياد وقال له: لو بقيت على قيد الحياة فسأرد لك هذا الجميل يا أبى، والآن هل أجد عندك ما أرتديه؟. باع الصياد بعضا من ممتلكاته فى السوق واشترى بثمنها عشرة أكياس وأتى بها إلى المنزل، وفتحوها ثم عملوا منها قميصا يناسب حسين، لبس حسين القميص وذهب إلى السوق، فضحك كل من رآه على هذه الملابس العجيبة، أخذ بعضهم يلقي عليه الحجارة والطين والبعض الآخر يسبه ويلعنه بأفزع الشتائم، وعندما مر أمام مطعم وصلت إلى أنفه رائحة الأطعمة فخارت قواه وما استطاع أن يحرك قدميه خطوة واحدة، وغارت عيناه من شدة الجوع، وكان صاحب المطعم من بين المتجمهرين فسأله: لماذا لا تقوى على المشى؟.

قال: إنى جائع؛ فاصطحبه صاحب المطعم إلى المكان الذى تلقى فيه بواقى الأطعمة فأكل منها القليل واسترد عافيته ثم قال له: أنت أطعمتنى! فدلنى على عمل أقوم به لكى أدفع لك حتى لا أكون مدينا لك.

تعجب صاحب المطعم مما سمع وتصور أنه مجنون، ثم قال له: انظر داخل المطعم وستجد ثلاث جرار كبيرة، كل منها ثملاً بثلاثمائة قلة ونحن نملأها من نهر فى نهاية المدينة، والعامل الواحد يعبئ هذه الجرّة فى ثلاثين يوم، لكن ثلاثين عامل يمكنهم أن يملأوها فى يوم واحد، وأجرة العامل الواحد ثلاثون قرش.

أعطاه النقود وأشار له إلى الجرار وقال هاك هي، خذها واملأها وتركه وانصرف.

حمل حسين الجرار الثلاث إلى النهر في الطرف الآخر من المدينة ثم عبأها وعاد بها إلى المحل في نفس اليوم، وقام أيضا برد النقود إلى صاحبها، فقال صاحب المحل: لماذا لم تعبئ الجرار كما اتفقنا.
قال: بل عبأتها.

نظر الطباخ في الجرار فإذا هي مُمتلئة لأخرها، فقال له: هل يمكنك أن تفرغ إحداها ثم تملأها من جديد، لأرى كيف قمت بهذا العمل وحدك؟.

وافق حسين، وقام بحمل إحدى الجرار وأفرغها من الماء ثم أعاد ملأها من النهر مرة أخرى وعاد بها إلى المطعم.
منذ ذلك الحين وصاحب المحل يقدم لحسين أفضل الأطعمة في مقابل أن يقوم بالخدمة وإنهاء كل أعمال المحل وحده.

كان الجميع هناك يطلقون عليه " الأجير، العامل الأجير"
ذات يوم لاحظ حسين أن هناك أربعين فتوة يأتون إلى المطعم في كل يوم ثلاث مرات، يأكلون ويشربون ولا يدفعون الحساب لصاحب المحل، فسأل الطباخ: لماذا لا يدفع هؤلاء حساب الأكل؟.

قال الطباخ: هؤلاء فتوات بلطجية تابعين لزعيمهم كر، سُفكت على أيديهم دماء كثيرة في أنحاء البلاد، وطلبوا من ملكنا الجزية والخراج بدون وجه حق، فرفض الملك طلبهم وأعلن عليهم الحرب.

كان للملك سبعة أولاد، قُتل منهم ستة وتبقى منهم واحد فقط، فاتفق الملك مع هؤلاء الفتوات على هدنة لمدة أربعين يوم، وغدا تنتهي المهلة المتفق عليها، وبعد قتل آخر أولاد الملك في المعركة القادمة سيهجمون على المدينة،

والآن عليك أن تحصل لى منهم على ثمن المأكولات التى تناولوها.

- بكم هم مدينون لك؟

قال الطباخ (صاحب المطعم) لحسين عن مبلغ الدين.

حضر الفتوات البلطجية فى المساء إلى المطعم لتناول وجبة العشاء، وبعد الأكل همّوا بالانصراف كالعادة، لكن هذه المرة وقف حسين فى طريقهم، وأظهر لهم ورقة مكتوبٌ فيها الحساب القديم وقال لهم:

هذا ما عليكم، ادفعوا ما عليكم وانصرفوا.

كان كل من فى المطعم قد فرّوا وأخذوا يشاهدون الحدث من بعيد، لم يبالى أحدهم بما قال حسين وهمّ بالانصراف فأمسك به حسين من الحزام ورفعاه لأعلى بحركة سريعة وقذف به بشدة على رأس أحدهم فلم يحرك كلاهما ساكنا وماتا فى الحال، وكان الآخرون قد شاهدون الموقف فأخرجوا كل ما فى جيوبهم وناولوه حسين وحملوا قتلاهم وانصرفوا.

قال الطباخ: حظنا أصبح سيئاً! فغدا وبعد قتل آخر أولاد الملك سيهجمون علينا ويحرقون المحل ويلقون بنا واحدا واحدا فى النار.

ضحك حسين الكردي وقال: عندما يأتى الغد لن نستطيعوا تخليص أنفسهم من يدي، خذ نقودك هذه ولا تخشى شيء.

أتى الغد، وفى ذلك اليوم المنشود أغلقت المحلات وتعطلت الأسواق، وذهب الجميع إلى ميدان المعركة، صغارهم وكبارهم، شبابهم وشيوخهم، نساءهم ورجالهم، كان الجميع حاضرون، ولا يوجد مكان فى ساحة القتال حتى لإبرة. ذهب حسين أيضا إلى الميدان وعلى كتفه شجرة جميز عمرها سبع سنوات، كان قد اقتلعها وقلم فروعها وشذبتها، وهناك رأى ابن الملك الذى لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره والجميل جدا، رآه يستعد للنزال فقال له: ارجع أنت! فالميدان اليوم لى أنا.

ظن الأمير أنه مجنون فلم يأبه لكلامه، فجذب حسين السوط من يده وضربه
وضرب الحصان أيضا وأخرجه من الميدان وعاد بنفسه.
كان الملك يجلس في قصره حزينا ومكتئبا ويزرف الدموع، وفجأة رأى ابنه
يعود أدراجه من ساحة المعركة فصاح فيه بغضب:
أتخاف على نفسك الموت وتفر من الميدان؟ أتخشى لقاء العدو؟، إن الموت
بشرف في أرض المعركة لهو أفضل من الحياة بنفس كسيرة ورأس مطأطة.
أشار الأمير لأبيه ليريه آثار ضربات السوط على جسده وقال له:
أنا لم أفر من الميدان يا أبى ولا أهاب الموت، لكن هناك مخبول أخرجنى
بالضرب وقال لى: أن اليوم يومى أنا.
اغتم الملك هذه الفرصة وتحلى بالصبر ليرى ما سوف يحدث بعد.
بعد خروج الأمير من الساحة عاد حسين إليها وطلب منافس حيث قال:
كل شخص لديه الجرأة فليلاقنى هنا فى ميدان القتال.
نظر الفتوات البلطجية بعضهم إلى بعض وتذكروا ما حدث معهم بالأمس فى
المطعم.
كرر حسين النداء: من يجد لديه الشجاعة والقوة يأتنى هنا.
قال أحدهم: سأدخل إليه أنا، فمع أنه قوى إلا أنه لا يحمل أسلحة وأنا واثق من
أنه لا يعرف شىء عن عادات وقوانين القتال الصحيح، ولو فاجأته بالضرب
فسيولى الأدبار.
خرج من بين جماعته متوجها إلى الميدان حيث يقف حسين وقال له:
تبدأ أنت الجولة
الأولى أم أبدأ أنا؟.
قال حسين:
لو أنا الذي بدأت القتال فتكون قامت قد قيامتك.

قال الفتوة النائب عن الفتوات فى هذه المعركة:

لكنك لا ترتدى درع، فكيف لك أن تتقى ضرباتى على رأسك؟.

رفع حسين جذع شجرة الجميز لأعلى وقال:

هذه هى سيفى وهى ودرعى أيضا أواجهك بها.

اغتم مندوب الفتوات هذه الفرصة واستل سيفه من غمده واستفتح واستجمع

كل قواه ورفع السيف لأعلى وأخذ يلوح به فى الهواء بسرعة عجيبة ثم هوى

به على جذع شجرة الجميز، وصور له خياله أن سيفه هذا سيقطع الجذع

نصفين ثم يشق رأس حسين أيضا بضربة واحدة؛ كان حسين يركز انتباهه على

السيف، وفى لحظة نزول السيف قفز بسرعة البرق جانبا فأصاب السيف قطعة

صغيرة من الجذع، قطعها فسقطت على الأرض؛ أراد الخصم أن يضرب الضربة

الثانية فقال له حسين:

لو أن معى مثل ما معك من هذا العتاد، لاستطعت أن أختصر الضربات الثلاث فى

ضربة واحدة، وأنا معى سلاح واحد فقط، فدعنى أضربك ضربة واحدة، فلو

بقيت سالما فلك أن تضربنى مرة أخرى .

شعر المندوب أن حسين سيصيبه بأسرع ما يمكن، ولو أدار وجهة فرسه قاصدا

الفرار فحتمًا سيلحق به حسين الماهر الذكى ولن يعطيه أمانا، ويعتبره جبانًا،

وعلى هذا الأساس وضع روحه على كفه وتجهز بالدرع وهو على ظهر

حصانه، ورفع حسين جذع الشجر لأعلى وأداره فى الهواء مرات ومرات ثم

هوى به على درع البطل فسقط البطل وحصانه على الأرض، وما أن رأى رفاقه

هذا المشهد حتى هجموا على حسين ليفتكوا به، إلا أن حسين أخذ يدور بالجذع

فيسقط فى كل دورة عددا منهم، وفى النهاية كان قد أسقطهم جميعا قتلى فى

ساحة المعركة وألقى بالجذع على الجثث وعاد إلى المطعم، وكان أهل المدينة

قد رافقوه إلى المحل وأساريرهم منفرجة، فرحين بما رأوا من شجاعة حسين

وإقدامه وتخليصهم من هؤلاء الفتوات البلطجية.

علم الملك بما حدث فهرع إلى المطعم حافى القدمين واحتضن حسين وقبله ثم اصطحبه معه إلى القصر، وهناك قال له:

يابنى! أنا لا أعرف كيف أكافئك على حسن صنيعك هذا، فاطلب ما تتمنى وبمشيئة الله نلبي لك طلبك.

قال حسين: أطلب سلامة حضرتكم يا قبلة العالم أولاً، أما طلبى الأول هو أن تكافئوا ذلك الصياد الذى أنقذ حياتى، وطلبى الثانى هو أن تنعموا علينا بطقم من ملابس وأسلحة البطولة، وطلبى الثالث هو أن تدلونى على مكان إقامة الفتوات البلطجية لأقضى عليهم.

استدعى الملك الصياد إلى القصر واختاره لتولى منصب وزير فى المملكة، وقال لحسين: إن جميع الذين قتلهم اليوم هم من الفتوات البلطجية، ولا داعى لأن تتعب نفسك فى تعقب زعيمهم كراً، لأنه بمجرد أن يصله الخبر سيأتى إلى هنا. ثم صاح الملك على الخازن وقال له: اصطحب معك حسين إلى المخازن ودعه ينتقى كل ما يناسبه من الملابس والأسلحة.

يأس حسين لأنه لم يجد ما يناسبه من ملابس وسلاح، وحزن الملك لأنه من الضروري أن يكون حسين فى وضع مناسب لملاقاة البلطجية وزعيمهم، فهل يصح أن يلتقى بأبطال العالم فى هذه الملابس المزرية والغير مناسبة بتاتا؟، أرسل الملك إلى كل نواحى المملكة رسالة تقول:

إن كل من لديه ملابس وأسلحة تتناسب مع حسين فليأت بها إلى هنا، وسيحصل على وزنها ذهب.

استمعوا الآن لما يقوله اللصوص الذين كانوا قد سرقوا ملابس حسين وأسلحته وحصانه حين كان ملقى كالميت على الشاطئ، حيث قالوا:

إن الدرع الفولاذى الذى يشبه القبو، كان ثقيل جداً كذلك السيف من ثقله لم

يستطع أحد أن يستله من غمده، وباقي الأسلحة لم يعرف أحد قيمتها الحقيقية، أما الملابس فكانت كبيرة جداً وعجيبة، ولم يتمكن أحد من أن يرتديها، لذلك ألقوا بها جميعاً في مكان بعيد، لكنهم بمجرد سماعهم لم أعلنه الملك قاموا بللمة تلك الأشياء التي كانوا قد رموها من قبل وذهبوا بها إلى الملك؛ وما أن شاهدها حسين حتى عرف وتأكد أنها هي أشياءه التي سلبت منه، ففرح بها أيما فرح وسألهم: من أين أتيتم بها؟.

قالوا: كان هناك شاباً ميتاً على ساحل البحر فأخذناها لنستفيد منها. منح الملك اللصوص ما وعد به، أعطاهم من خزانة المملكة وزنها ذهباً. نستأذن الآن، ونترك حسيناً بضعة أيام، ليأكل ويشرب ويستريح، وتعالوا بنا نتعقب أثر الزعيم العام للفتوات البلطجية. عندما علم زعيمهم بما حدث لبعضاً من جماعته على يد حسين الكردي غضب وثار وتحسر لأول مرة في حياته، وأقسم ألا يستريح حتى ينتقم لمقتلهم، وأعد العدة وتحرك إلى تلك الساحة التي لقي جماعته فيها مصرعهم.

عين حسين حارساً على متاع ومهمات البلطجية القتل بعد انتهاء القتال، للحفاظ عليها إلى أن يأتي زعيمهم، وعندما وصل الزعيم إلى الساحة وجد أن كل شيء جاهز وعلم أن الخصم بطل عظيم؛ كتب الزعيم إلى الملك رسالة يطلب فيها منه أن يبعث بحسين غداً إلى الساحة. رد عليه الملك في رسالة:

إن حسين ينتظرك بفارغ الصبر وسيأتي غداً إلى الساحة. حضر الفتوات إلى الساحة مبكراً وهم يرتدون زي البطولة، وكان كرميتمنى الحصان ذو اللجام الأسود، أما حسين فقد جاء إلى الساحة مترجلاً، فقال له كرمي: أليس معك حصان؟.

قال حسين:

ليس من الضروري أن يكون معى حصان، وعلى أية حال من الواجب أن يموت أحداً فى هذه المهمة، ومن يبقى على قيد الحياة عليه أن يمتطى الحصان ذو اللجام الأسود؛ أما أنا فلن أفر من أمامك، وإذا لم يكن فى نيتك الفرار من أمامى فعليك أن تنزل وتترجّل، فالحصان المسكين يتألم.

ترجّل الزعيم كرّ عن الحصان وقال له:

أنت تعرف حصانى، لكن أنا لا أعرفك، فعرفنى بنفسك.

قال حسين:

إن الشخص الذى يخفى اسمه ولقبه لا يكون ابن حلال، يقولون لى حسين الكردي التبريزى، أعتقد أن فرحتك قد ماتت؟.

- من يأخذ الفرصة أولاً؟.

- أنا دائماً ما أعطى خصمى الفرصة الأولى.

رفع حسين درعه وتهياً لتلقى ضربات كرّ، واستجمع الزعيم كل قواه، رفع السيف لأعلى ثم أنزله على درع حسين، فعل هذا ثلاث مرات دون جدوى. استعانوا بكل الأسلحة، كالرمح والدبوس والهراوة والحبال وغيرها مما كان متوفراً فى ذلك الوقت، لكن لم يحرز أى منهما الفوز على الآخر، فاتفقا على أن يتصارعا بالأيدى، استمر التصارع حتى مغيب الشمس وبدون طائل أيضاً، ودقت الطبول معلنة نهاية صراع اليوم.

كان قد مر تسعة وثلاثون يوماً على هذا المنوال من الصراع والتقاتل، وعندما جاءوا إلى ميدان القتال فى اليوم الأربعين قال حسين:

أوقدوا المشاعل، ولا تدقوا طبول الحرب، سواء رضى كرّ أو لم يرضى.

انتهى النهار ومضى جزء من الليل أيضاً، وبدأ النزال ووجد حسين فرصة سانحة له فضغط بكوعه على صدر كرّ من الجانب الأيسر وقام بهزه هزة عنيفة

لكى يختل توازنه ثم رفعه بسرعة لأعلى فوق رأسه ودار به ثلاث دورات وألقى به على الأرض بقوة فاهتزت أرض الساحة وهتف له جميع الحضور من الأصدقاء والأعداء على حدٍ سواء، ثم استل خنجره وفصل رأسه عن جسده وحمله الى حضرة الملك، وأصبحت كل ممتلكات كرّ(الخيام المرصعة بالجواهر والحبال المجدولة بخيوط من ذهب وحتى حصانه الأسود) مملوكة لحسين. أرسل حسين مع غلمان الملك كل ما حصل عليه من غنائم إلى ملك تبريز وامتطى هو الحصان ذو اللجام الأسود واتجه به بمفرده الى أصفهان. ما أن سمع الملك عباس باختفاء حسين الكردي من تبريز حتى فرح لذلك كثيرا، وقرر أن يرسل جيشا مرة أخرى إلى تبريز، ويرسل في نفس الوقت بهدايا إلى الفتوة كرّ صديق فرّخ ويدعوه لزيارة أصفهان ليستقبله في القصر استقبال الأبطال، وقد سمع فيما بعد أن بطلا ظهر في بلد آخر يدعى حسين، وقد قتل كرّ واستولى على كل ممتلكاته، ومن المؤكد أن حسين هذا سيأتي حتما إلى أصفهان، فاستدعى وزراءه وقال لهم: قد علمتم إن حسين قتل كرّ ومن المؤكد أنه سيأتي إلى أصفهان، فما هو رأيكم فيما سمعتم؟. بعد التشاور والمحادثات الكثيرة توصلوا إلى نتيجة، مؤداها أن خبر قتل كرّ لم يصل إلى تبريز حتى الآن وبناءا على ذلك نقوم بإرسال دعوة إلى حاكم تبريز ومسيح لزيارة أصفهان ونعقد معهم صفقة صداقة. بناءا على ما تم الاتفاق عليه توجه مسيح برفقة حاكم تبريز إلى أصفهان، وفي نفس الوقت الذي غادرا فيه تبريز متجهين إلى أصفهان كانت المجوهرات والذهب والأموال التي أرسلها حسين قد وصلت إلى تبريز. وضع الملك عباس حاكم تبريز وحاشيته موضع الاحترام والتبجيل واستفسر منهم عن وضع حسين، واتضح له أنهم لا يعلمون عنه شيئا، ولم يخبرهم هو بما يعلم، وكان في كل يوم يظهر لهم احتراما أكثر من ذي قبل.

امتطى حسين حصانه ذو اللجام الأسود وشق طريقه قاصدا أصفهان، فقطع الأودية كالسيل، وقفز فوق التلال كالريح العاتية إلى أن وصل أصفهان، فتوقف عند استراحة على الطريق وهناك طلب مقابلة صاحب الاستراحة وأعطاه حفتين من الذهب كان قد أخرجهما للتو من جيوبه فأصاب الهلع صاحب الاستراحة وأخذ يترجى قائلا:

فداك أيها البطل! خذ ذهبك، فأنا لن أبيع هذه الاستراحة.

- أيها الرجل، بماذا تشعر تجاهي؟ هذا الذهب في مقابل أن تهتم بفرسي هذا، قدم له العلف واعتنى به من ناحية النظافة والتمريض وكل ما يحتاجه.

- فداك! سأفرش تحته بساط، وأضع له الزبيب في مكان العلف.

وافق حسين وقال له: إفعل ما قلت.

كان حسين يتجول في المدينة، تسلل إلى كل مكان فيها، وبعد منتصف الليل وأثناء تجواله سمع صوت غناء يصدر من مكان قريب، فذهب إليه ووقف يشاهد فإذا بالأعيان والأشراف يجلسون متزاحمين وأمامهم يجلس شخص على سرير مرصع بالذهب ويغطي جسده كله قميص من الفولاذ، دخل حسين بدون إذن ووقف بجانب السرير دون أن يلقي السلام وقال لذاك الرجل:

يا أخي! أنت ترى أن جميع هؤلاء يجلسون كل اثنين على كرسي واحد وأنت هنا تجلس وحدك، فاسمح لي أن أجلس بجوارك.

فقال له: أوافق بشرط واحد، أن تسمح لي بأن أضربك بقبضتي هذه ثلاث ضربات.

وافق حسين على ذلك وسأله:

أين ستوجه لي ضرباتك؟

قال الرجل: إلى عنقك.

أخذ حسين وضعه لتلقى الضربات وقال له: إضرب.

وجه ذاك الرجل لكمة قوية الى عنق حسين فقال حسين:
إن حلقى قد آلمنى، فسدد الضربة الأخرى على الجانب الآخر.
سدد الرجل لكمته الثانية الى الجانب الأيمن من العنق، ثم سدد الضربة الثالثة
الى الجانب الأيسر من العنق.
قال حسين: يا أخى ! أنا لن أجلس بجوارك مرة أخرى، فهيا لأسدد لك ضرباتى
وأنصرف.

نهض حسين وأخذ مكانه الرجل لتلقى لكمات حسين، وسأله حسين:
أين أسدد لك ضرباتى؟.
أشار الرجل الى الجانب الأيمن من عنقه، فوجه له حسين لكمة واحدة فى الجهة
اليمنى فخرجت يده من الجهة اليسرى، ثم ألقى به خارجا وجلس على سريره
الذهبى، وأخذ يجول ببصره فى الحاضرين؛ كان الجميع قد جفت حلوقهم من
الخوف، ولم يستطع أى شخص أن ينطق بكلمة واحدة، وكانت هناك امرأة تدق
الطبله فى وسط الحفل وترقص، وكانت خائفة فألقت طبلتها وأرادت أن تهرب،
فنادى عليها حسين بصوت عالٍ وقال:

الجميع هنا ضيوفى، أحضرى طبلتك وتعال الى هنا.
وضع حسين فوهة الطبله فى فتحة جيبه وأفرغ الذهب فى الطبله حتى امتلأت
وقال لها:

أذهبى وارقصى وغنى.
قام حسين وقت الفجر وذهب الى الاستراحة وتوجه مباشرة إلى مكان حصانه
ذو اللجام الأسود ليتفقد أحواله فوجد تحت حوافره فراشاً نظيفاً وزبيباً ملقى
أمامه.

حين توجه حسين من الحفل إلى الاستراحة، توجه فى نفس الوقت بعضاً من
الموجودون فى الحفل الى الملك عباس ليطلعوه على كل ما حدث فى تلك

السهرة المسائية، بما فيها مقتل كبير الأبطال على يد شخص مجهول.
تأكد الملك أن ذلك الشخص هو حسين فأصدر أمرا بأن يبحثوا عنه في كل مكان؛ وفي الصباح وعلى مائدة الإفطار قال الملك لحاكم تبريز ومسيح:
إن حسين قد قدم إلى أصفهان وهو الآن مقيم في الاستراحة، فاذهب يا مسيح وأحضره إلى هنا.

ذهب مسيح الى الاستراحة، وبعد السلام والعناق والقبلات اصطحب مسيح
حسيناً الى قصر الملك فاستقبلهم الملك ورحب كثيرا بحسين، وبعد أن قضوا
عدة أيام في ضيافة الملك عباس عادوا جميعاً إلى تبريز.
أكلوا وشربوا وعاشوا سعداء، لعلكم أنتم أيضاً سعدتم...

* * * * *

٢- حكاية الأمير والملكة خاتون

كان وما كان من قد يم الزمان، كان يعيش ملك له ابن يدعى جمال.
فى يوم من الأيام أصيبت زوجة الملك بمرض شديد، كان جمال فى هذا الوقت ابن ثمانية أعوام؛ توفت زوجة الملك على أثر ذلك المرض فدفنوها وارتدى الجميع فى البلاط الملكى ملابس الحداد وجلسوا لتلقى العزاء لمدة أربعين يوما بلياليها.

انقضت فترة طويلة على هذه الواقعة وواراها غبار النسيان، وزال الحزن على زوجة الملك تدريجيا من الأذهان؛ وفى يوم من الأيام اجتمع الوزراء والوكلاء جميعهم لدى الملك وقالوا له: تسلم لنا أيها الملك! لا يكون حال الملك جيداً أن يعيش بدون زوجه، فينبغى عليك اتخاذ زوجة حتى تهتم بشئون ابنك أيضا.
كان الملك يحب زوجته المتوفاة كثيرا، ونذكر أنه كان قد أقسم أمامها ألا يتزوج غيرها أبدا، لكنه أخذ بمشورة ورأى الوزراء والوكلاء فاختر ابنه وزيره الأول لتكون زوجة له؛ تم الاحتفال بزواج الملك من ابنة الوزير لمدة سبعة أيام بلياليها؛ مرت الأيام وقد بلغ ابن الملك الخامسة عشر من عمره، وأنه قد بلغ أيضاً من الجمال وحسن القوام ما لم تره عين من قبل فى هذه البلاد، مما كان يجذب إليه الناظرين بجرأة، وأحبت زوجة الملك الجديدة جمال كما لم تحب من قبل، لكنها فضلت كبح جماح شهواتها.

ذات يوم - وفى خلوتها مع جمال - أفشت زوجة الملك له بمكنون قلبها، فقد قالت له: أنا لا أطيق البعد عنك، ولن أتوقف عن مطاردتك حتى ينال قلب منك مراده؛ أصيب جمال بالهلع من الدهشة وقال لها: ما هذا الذى تقولين؟! من المستحيل أن تعشق امرأة ولدها بهذه الصورة، قد غلب الشيطان على كيائك، وعليك أن تكفى عن مرادك وأن تتوبى من تفكيرك فى هذا الأمر.

قالت له :حتى نهاية عمرى لن أتخلى عن مطاردتك والتواصل معك.
ما أكثر ما قال جمال ونصح، وما أقل ما سمعت زوجة الملك ولم ترتدع، فقرر
جمال فى النهاية أن يبتعد عنها، فأصبحت زوجة الملك عصبية جداً لهذا
التصرف وقالت فى نفسها:

لا شيء، إمّا أن يرضخ لرغبتى وإمّا أكون سبباً فى أن يفقد حياته.
مرت أيام ورأت الزوجة جمال مرة أخرى فقالت له:

ماذا تقول الآن، هل ستستجيب لرغبتى؟.

قال لها: هل فقدت عقلك؟! أنت أُمى، وما تطلبينه مستحيل.

قالت: أنا لا أفهم ما تقول وعلى كل حال سأواصل معك رغماً عنك.
ابتعد جمال عنها بعصبية فاشتعلت نار الغضب فى صدرها وقالت فى نفسها:
سأريك حالا كيف أنهى لك حياتك.

حل وقت الغروب و جاء الملك - بعد انتهاءه من أعماله اليومية - إلى عش
الزوجية عند زوجته، فقالت له: إن ابننا جمال نهم.

فقال لها: وما فى هذا، اصنع له كل ما يريد، فأموال العالم تحت تصرفنا.
قالت: لعلك لا تدرك ما أعنى، إن نيته سيئة.

قال الملك: أنا لا افهم معنى كلامك.

فأعادت الزوجة: إن لديه نية سيئة.

قال لها: أفصحى لى عما يجول فى صدرك، فلم يكن كلامك صريحا.

قالت: إن الشخص الذي له نية سيئة قد يكون سبباً فى موت أبيه وأمه، فقد
ماتت أمه من قبل والآن الدور عليك، يجب أن تجد حلاً.

كان الملك طيباً ونقى السريرة، فاستولى عليه الهلع والخوف عند سماعه لهذا
الحديث وسألها:

ماذا أفعل ليرفع الله عنا هذا البلاء؟.

قالت المرأة - التي لم تغادرها فكرة الانتقام- ببرود شديد:

لاشىء، فقط يجب أن تأمر فوراً بقتل ابنك.

وافق الملك على الفور وارتدى زياً أحمر وجلس على كرسى العرش وأمر بأن

يقتل ابنه جمال في التو والحين، فأحضر سيافوا القصر جمال إلى المقصلة.

فلنستمع الآن إلى الوزير الحصيف العادل الذى كان فى خدمة الملك.

قال الوزير الذى حضر وقت إصدار الملك لأمر إعدام ابنة:

أيها الملك! إن قرارك هذا الذى اتخذته قد يكون غير صائب، وستندم على فعلتك

هذه فيما بعد، ألق على عاتقى جُرم هذا الولد واعفُ عنه وقم بإبعاده إلى خارج

البلاد، ومن المؤكد أنك سمعت عن المثل القائل:

البعيد عن العين بعيد عن القلب؛ فإن أمرت بإعدامه فسيخلف لك هذا التصرف

الحسرة والندامة فى قلبك ما حييت، والفراق صنو الموت.

صرف الملك النظر عن اعدام ابنه بعد سماعه لنصيحة الوزير، وأمر بأن يأخذوا

جمال إلى أقصى غابة.

مشى جمال ومشى، حتى وصل إلى منزل تاجر وقال: إني جائع، أعطوني خبزا،

أطعموني أطعمكم الله وعوض عليكم.

كانت زوجة التاجر امرأة عطوفة جداً، فما أن رأت حُسن جمال حتى أحبته

وقالت لزوجها: يا رجل! اسأل هذا الولد الغريب من هو؟.

سأله التاجر وقال: يا بني ! من أنت؟ ومن أي مكان جئت؟.

قال الولد: أنا هائمٌ على وجهى، هل تقبلوننى خادماً لكم؟.

قالت زوجة التاجر لزوجها: يا رجل، ليس لدينا ابن، فأقبله ابناً لنا، فهو شاب

ذو حسب وجمال. وافق التاجر وارتضيا بجمال ابناً لهما ومكث لديهما، وكان

التاجر وزوجته يحبونه كثيراً، وأخذوا يوالونه بالعطف والحنان.

مرت أيام وشهور على تلك الحالة، ونوى التاجر ذات يوم السفر فقالت زوجته

لجمال: يا بنى إنك منذ أن جئت إلينا ما كنت قد رأيت حجرات بيتنا حتى الآن جيداً، فانهض حتى تتجول فى المنزل لتعرف كل محتوياته وأمتعته جيداً، فربما يطلب منك شخص شيئاً فتعرف مكانه، فأنت فى النهاية ابننا وعليك أن تكون مطلعاً على كل شىء فى هذا المنزل.

أخذت زوجة التاجر بصحبة جمال فى فحص الغرفات.

وجد جمال الغرفة الأولى مكتظة بمختلف الأطباق والصحون، وكان فى الغرفة الثانية أجهزة ومعدات لتصنيع المجوهرات، وهكذا حتى وصلا إلى الغرفة التاسعة والثلاثون، كانت هذه الغرفة مليئة بالياقوت والذهب والمجوهرات، وقف جمال مبهوراً لأنه تصور أنه لا يوجد فى خزانة أى مملكة مثل هذه المجوهرات فى القدر والقيمة الباهظة؛ ولاحظ جمال أن الغرفة الأربعون موصدة بثلاث أقفال فقال لأمه: أيمكننى أن أرى هذه الغرفة أيضاً؟ قالت:

إن هذه الغرفة فارغة، وليس فيها أية أمتعة.

فسألها فى دهشة:

فلماذا إذا عليها ثلاث أقفال؟.

كررت ألام لإراديا: الغرفة فارغة.

وبالرغم من أن جمال كان يلح فى الطلب ويترجى، إلا أن زوجة التاجر رفضت وبشدة أن تفتح له الغرفة الأربعون هذه، فصار هذا الأمر سبباً لقلقه، ففكر فى نفسه: إذا كانت هذه الغرفة فارغة فلما إذا كل هذا الحرص؟! ولماذا عليها ثلاث أقفال?!.

من الواضح أن التفكير باستمرار فى هذه الغرفة كان يؤلمه كثيراً، لدرجة أنه لزم الفراش من شدة الضيق والغضب، وجاءته بالأطباء، لكن لم يؤدى علاج أيّ منهم إلى شفائه.

فى النهاىة سألتة زوةة التاجر:

يا بنى أنت وءك تعرف سبب مرضك؁ فربما كان بسبب الحب.

قال جمال: إن الذى أصابنى كان بسبب التفكير فى تلك الغرفة الفارعة.

قالت: حسناً إنهض لأريك تلك الغرفة.

ما أن سمع جمال هذا الكلام حتى نهض - وكأنه لم يكن أصلاً مريضاً- واتجها سويّاً الى تلك الغرفة؁ ففتحت الباب وألقى جمال نظرة إلى داخل الغرفة فإذا هى فارعة فعلاً.

جال ببصره فى كل مكان فى الغرفة لكنه لم يجد فيها شيئاً يلفت النظر فسألها مندهشاً: إذا لماذا يُغلق باب الغرفة الفارعة هذه بهذا الشكل؟ وفيما تستخدم؟. قالت: يا جمال يا بنى؁ كان أبوك ينام فى هذه الغرفة.

قال جمال: لا؁ أنا لا أصدق هذا؁ هل يعقل أن أبى مع كل هذه الأملاك؁ وكل هذه الغرف المكتظة يقضى الليالى نائماً فى غرفة فارعة وعلى الأرض.

أدركت الزوجة أنها لن تستطيع أن تخفى شيئاً عنه فقالت له: حسناً يا بنى انظر هناك؁ فنظر جمال فى الجهة التى أشارت إليها فرأى لوحة معلقة وقد أسدلت عليها ستارة من قماش؁ أزاح الستارة فوقف مشدوهاً لرؤية صورة منقوشة عليها لفتاة جميلة فسألها: لمن هذه الصورة؟.

قالت: يا بنى؁ إن أبوك يحب هذه الفتاة؁ و كان يبحث عنها منذ فترة طويلة لكن لم يجد لها أثراً؁ وهو حالياً يدخل هذه الحجرة ثلاث مرات يومياً ليتأمل هذه الصورة.

منذ تلك اللحظة أصبح قلب جمال معلقاً بتلك الصورة؁ وقال ذات يوم لزوجة التاجر: ينبغى علىّ أن أبحث عن هذه الفتاة؁ فإمّا أن يلتقى الأحبة وإمّا أن تخرج الروح من الجسد.

قالت له: يا بنى؁ إن هذه المهمة صعبة وليست فى مقدورك؁ فإن أبوك التاجر

ذهب مع رفقاء كثيرين لتعقب أثر تلك الفتاة، لكنه عاد ولم يوفق .

قال لها: هذا هو قدرى ويجب أن أجتهد في طلبه.

لم يرضخ الولد لكل ما قيل له، حتى إنها فى النهاية وافقته على رأيه وأخرجت من الغرفة التاسعة والثلاثون كيساً مملوءاً بالياقوت والجواهر وأعطته له وقالت له: خذ معك هذا الكيس؛ وتلك الفتاة تدعى "الملكة خاتون"، هذا ما سمعته من أبيك.

أخرج الولد من الأصطبل حصاناً للاستعانة به على مشقة الطريق، وفى نفس اللحظة وصل التاجر من السفر فقال له:

إلى أين العزم يا بُنى ؟.

قال جمال:

أنا ذاهب للبحث عن الملكة خاتون يا أبى.

قال التاجر:

يا بُنى، لا طائل من دق الماء فى الهاون، فأبطال وأمراء كثيرين من أنحاء العالم ذهبوا للبحث عن هذه الفتاة لكنهم لم يصلوا إليها، لهذا فإنك قد لا توفق. قال جمال:

يا أبى، على أية حال هذه المهمة لا ضرر فيها، فإن لم استطع الوصول إليها فسأعود وحدى.

قال التاجر فى نفسه:

دعة يرحل، فربما يأتى بالملكة خاتون، فإن أحضرها فسيكون تحت إمرتى، وإن لم يستطيع فلا بأس، وأعطاه نقوداً وقال له:

تصطحبك السلامة، وخذ هذه النقود معك زاداً للسفر؛ لم يكن لدى التاجر علم بالكيس الذى أعطته زوجته لجمال .

قال جمال فى نفسه وهو يضحك:

لو يعلم ما أحمل فى الكيس لمات كمدأ، ومن الأفضل ألا يعلم، ثم اتجه إليه قائلاً:
بارك الله لك فى مالك! هذه النقود تكفى.

كتب التاجر رسالة وأعطاهما للولد وقال له:

يا بُنى، إن هذا الحصان الذى تمتطيه يعرف طريقه تماماً وسوف يحملك إلى
الملك، وهو صديقى الحميم، وعند ما يرى الملك هذا الحصان سيعتقد انك قد
سرقته، لكن هذه الرسالة التى معك له ستخبره بالحقيقة.

أخذ جمال الرسالة من التاجر ووضعها فى جيبه ونكز حصانه فأخذ الحصان
طريقه وأوصله إلى قصر الملك، وبينما كان الملك منشغلاً بمشاهدة الطبيعة
حول قصره إذ رأى فجأة حصان صديقه الحميم يقترب من القصر، لكنه لم
يستطيع التعرف على راكبه، و كان متأكداً أنه ليس هو صديقه الحميم، فأمر
بأن ينزل الراكب عن ظهر الحصان، فأنزلوه وجاءوا به إلى حضرت الملك.
قدّم جمال الرسالة إلى حضرة الملك فقرأها الملك بتمعن وقال ضاحكاً:

أنا متعجب من أخى هذا، إنه إنسان أبله، فكل المحيطون بنا رفعوا أيديهم عن
مصالحهم وغادروا المملكة من أجل تلك الفتاة، لكن لم يصل أى منهم إلى
مبتغاه، والآن يأتى شاب غض وحديث البلوغ لمهمة كهذه؛ وألتفت إلى جمال
وسأله: كم من النقود أعطاك أخى؟.

قال جمال: ستة نقود ملكية.

ضحك الملك وقال: يا بُنى، إنك لن تستطيع بهذه الستة أن تنهى أى مهمة، وقد
لا تستطيع الزواج من الملكة خاتون، لكن أنا عندي ابنة ولم يتقدم لخطبتها أى
أمير حتى الآن، فلتبق معنا فى القصر وتتزوج من ابنتى لتتحول إليك كل أملاكى
و ثروتى فيما بعد.

قال جمال:

أيها الملك، سأذهب وأجرب حظى فى البحث، فربما آتى بالملكة خاتون.

ما أكثر ما قال الملك وما أقل ما استمتع جمال؛ في النهاية أعطى الملك لجمال كيساً مملوءاً بالياقوت وقال له :

تستطيع بجيب مكتظ بالنقود أن تؤدي أية مهمة، فقد تأتي بهذه الملكة بالاستعانة بهذه الأموال، وإذا لم توفق ف هذه المهمة فستكون ابنتى فى انتظارك لتتزوج بها. أخذ جمال الكيس وعرف أن الملكة تعيش في اليمن فنوى العزم على السفر إلى هناك فقطع الطريق ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى اليمن. كان جمال يفكر مع نفسه ويقول:

عادةً ما تكون النساء والعجائز منهم بالذات أذكاء جداً فى مثل هذه المواضيع ولديهم حيل كثيرة، فينبغى أن أمرُّ على منزل سيدة عجوز أولاً، فقد أتمكن عن طريق حيلها من رؤية الملكة خاتون.

فى نفس اللحظة التى كان يفكر فيها كان قد وصل إلى منزل سيدة عجوز بالفعل، فقال لها:
أنا ضيف غريب.
قالت له:

ليس لدى إلا فراش واحد قديم أستخدمة، وليس عندى ما يلزم لاستقبال الضيوف. فأعطاها جمال مقداراً من المجوهرات لتجهيز أمتعة.
مضت عدة أيام على هذا، وفى نهاية الأمر توجه جمال إلى العجوز وقال لها:
لى سؤال يا أماه، هل تقيم فى هذه المدينة فتاة تدعى الملكة خاتون؟
فزعت العجوز عند سماع هذا الإسم وقالت له:
أية ملكة خاتون! اذهب من هنا بسرعة، فستلقى بنفسك في التهلكة.
منحها جمال مقدار آخر من المجوهرات وقال لها:
لماذا لا ينبغى أن أسأل شيئاً عن الملكة خاتون؟
قالت العجوز:

حتى هذا الوقت جاء إلى هنا أبطال كثيرون بهدف الوصال بالملكة خاتون
فذهبت أحلامهم أدراج الرياح، فارحم نفسك وانسى هذا الموضوع.
مرت عدة أيام أخرى إلى أن سأل جمال العجوز مرة أخرى: لى سؤال آخر يا
أماه: هل تعرفين محل سكن الملكة خاتون؟.

ارتجفت العجوز من الهلع وقالت:

أخرج من بيتى بسرعة فإنها بمجساته قد توقعنى فى مصيبة، فلو قلت شيئاً
عن مكان سكنها فسيمزقوننى إرباً.

قال جمال: يا أماه، إن ملابسك بالية وليس لديك نعل فى قدمك فلنتفق أن نذهب
إلى السوق سوياً لأشترى لك ملابس، لكن عليك أن تقفى قليلاً أمام منزل الملكة
خاتون حتى أتأكد منه، لا أظن أن هناك أسهل من هذه الطريقة.
وافقت العجوز على الفكرة وأخذتا طريقهما إلى أن توقوا برهة أمام بوابة عمارة
وتأكد جمال من المكان، وأكملتا طريقهما إلى السوق واشترى ثم عادوا إلى
المنزل.

قالت العجوز عند رؤيتها لمحاسن جمال وغناه الفاحش:

من العجيب أن يحدث ما حدث وأن يختار هذا الشاب بيتى لسكناه، أسأل الله أن
يكون نهاية هذا العمل خيراً.

سألها جمال:

من يكون والد الملكة خاتون يا أماه ؟

قالت:

لا تبلىنى يا بُنى وأرحل عنى.

أعطاه جمال مرة أخرى حفنة من المجوهرات وقال لها:

لن يفهم أى أحد أننى قد عرفت هذا الأمر منك.

أخيراً قالت العجوز: الملكة خاتون هى ابنة الصائغ.

ذهب جمال الى محل الصائغ وألقى عليه التحية؛ رد الصائغ التحية ثم سأله:
ماذا تريد أن أصنع لك يا بُنى؟.

قال: أريدك أن تصنع لى خنجرا من الذهب، من الذهب الخالص، ثم أخرج من
جيبه ياقوتا يتلأأ وناولته له، اندهش الصائغ، فلم تكن عينه قد رأت ياقوتا مثل
هذا من قبل، وأردف جمال:

و من ضمن أيضاً، أريدك أن تنقش لى على الخنجر صورة.

- لمن الصورة؟

- للملكة.

ما أن سمع الصائغ هذه الكلمة حتى ألقى بالياقوت على الأرض وقال بغضب:
انصرف من هنا بسرعة.

قال جمال:

ما الذى أغضبك؟ أية مشكلة فى نقش صورة لملكة ولها جناحان يمكن أن
تطير.

هنا انتبه الصائغ الى أنه لا يقصد ملكة حقيقية فوافق على الفور وقام بصُنع
خنجر من الذهب، وحين هم بنقش الصورة على الخنجر قال فى نفسه:
حسناً! من الأفضل أن أنقش صورة ابنتى على الخنجر، فهى أجمل من أى ملكة،
ومن أين لهذا الشاب أن يعرف أنها صورة ابنتى .

أتى جمال فى اليوم التالى الى المحل فوجد خنجره جاهزا وقد نُقشت عليه
صورة الملكة خاتون، وضع الخنجر فى الغمد ثم أخرجه وأعطاه للصائغ وقال
له: فى الحقيقة أن هذا الخنجر لا يتناسب معى، لأننى لست راعى غنم، ومن
الأفضل أن يبقى عندك.

ظن الصائغ أن جمال سيطالبه بالنقود، لكن جمال قال له: أنا أهديك هذا الخنجر
ولن أطلب نقودى.

لم يعد جمال الى منزل العجوز؛ أخذ الصائغ الخنجر إلى ابنته وقال:
بُنيتي! لقد صنعت هذا الخنجر لشاب قديم حديثاً إلى المدينة ثم أهداه لى .
ألقت الملكة خاتون نظرة على الخنجر فرأت صورتها على الخنجر فسألت
والدها:

لماذا نقشت صورتى على الخنجر؟.

قال:

إن ذلك الشاب هو الذى طلب منى نقش صورة ملكة على الخنجر فنقشت
صورتك.

فكرت الفتاة وقالت فى نفسها، بعد سماعها هذا الكلام:

إن هذا العطاء أو البذل أمر غير مألوف هنا، لكن هذا الشاب يبدو أنه وقع أسيراً
للحب.

ما أن بزغ ضوء اليوم التالى حتى عاد جمال الى محل الصائغ وقال له: هاتان
ياقوتتان أعطيها لك على أن تصنع لى شمعدان من الذهب، وتنقش على ناحية
منه صورة لملكة، وعلى الناحية الأخرى تنقش صورتى وتجعل يدي فى يديها.
وافق الصائغ وقال:

غدا بإذن الله سيكون طلبك جاهزاً؛ فأعطاه جمال الياقوتتان وانصرف.

ذهب جمال فى اليوم التالى الى محل الصائغ فوجد الشمعدان جاهزاً فمنحه قطعة
أخرى من الياقوت وقال له:

من الواضح أنك أجهدت نفسك كثيراً فخذ هذه الياقوتة زيادة لك، وأريد منك أن
تقبل هذا الشمعدان هدية منى لك، لأننى أقيم هنا ضيفاً، ولا أمتلك مستلزمات
منزلية .

أخذ الصائغ الشمعدان إلى الملكة خاتون وقال لها:

يا بُنيتي! إن ذاك الشاب الأبله كان قد أوصى بهذا الشمعدان ثم أعطانيه.

أبدت الملكة رغبة فى الالتقاء بذاك الشاب بعد أن رأت تلك الصور، فالتفتت إلى والدها وقالت له: لا ضرر من أن تعقد مع هذا الشاب صداقة وتستضيفه، وعن طريق هذه الصداق قد تستفيد من أمواله.

التقى الصائغ مع جمال فى اليوم التالى، فقال له جمال: أنا نويت أن أغادر هذه المدينة بعد شهر، فطلب الصائغ منه أن يأتى لزيارته فى المنزل، فقال له إن شاء الله سأتى لزيارتك غدا.

فى الموعد المحدد ارتدى جمال أفضل ما لديه من ملابس وذهب لزيارة الصائغ- لم يتعرف عليه الصائغ من أول وهلة، بسبب ملابسه الجديدة- فاصطحبه معه إلى منزله.

كانت الملكة خاتون من وراء الستارة تراقب جمال حيث كان يجلس وظهره للستارة.

سعلت الملكة بصوت مسموع فالتفت جمال تجاه مصدر الصوت فشاهد الملكة تقف خلف الستارة.

بدأت الاستضافة بتقديم واجبات الضيافة ثم تخللتها - كالمعتاد- أحاديث شتى، وانتهت بالشكر على حسن الاستضافة والتوديع .

بعد عدة أيام عاد جمال مرة أخرى إلى محل الصائغ وقال له:

هل تجد لى مكانا فى هذا المحل لأقيم فيه؟.

قال الصائغ:

أنا عندى أربعون غرفة فى العمارة، ولك أن تختار أى واحدة منها تعجبك وتقيم فيها.

قال جمال:

لا، فقط أريد منك أن تشيد لى بجوار عمارتك عمارة وأنا أتكفل بدفع ضعف تكاليفها.

شُيّدت العمارة بجوار عمارة الصائغ وكانت بحيث لا يضاهاها فى جمالها قصر ملكى.

دخل جمال العمارة ووجه بعض التعليمات والملاحظات إلى البنا، فقال له البنا: فى ظرف ثلاثة أيام بإذن الله ستنتهى كل التشطيبات، ولن تجد مكاناً فى عمارتك ينقصه شىء.

بحسب تعليمات جمال، أخذ البنا فى عمل نفق فى العمارة يؤدى الى غرفة الملكة خاتون.

كانت الملكة تجلس فى غرفتها حين سمعت صوت خبط والطرق وتكسير فى ركن من الحجرة، ثم رأت الحائط يتكسر وظهر الأسطى من الفتحة فاستعلمت منه عما يفعل.

قال لها:

أرجو المَعذرة فأنا مكلف بعمل هذا.

بعد مرور فترة من الزمن على هذه الواقعة حضر جمال إلى مسكنه الجديد، وعندما دخل النفق إذا به فى حجرة الملكة، فاضطربت عند رؤيته لأول وهلة فهذا من روعها وقال لها:

أنا وقعت أسيراً لحبك.

ترك هذا اللقاء الأول بين جمال والملكة انطباعاً طيباً بينهما مما جعل حب جمال يتمكن تدريجياً من قلب الملكة، وبهذا كانوا يلتقون يومياً.

وفى يوم من الأيام وأثناء التقائهما قال جمال للملكة:

أنا نويت السفر وأود أن تكونى بصحبتى .

قالت: كيف ذلك وقد يكون فى ذلك هلاكنا.

قال: دعى هذا الأمر لى ولا تقلقى.

وافقت الملكة، ثم قال لها:

كنت قد أهديت والدك الصائغ خنجرا من الذهب، أريد أن أراه، فأخذه منها
وذهب به إلى محل الصائغ وقال له:

إن هذا الخنجر يخص صديقا لى، وهو يود بيعه لى، فكم يساوى فى نظرك؟.
عرف الصائغ الخنجر، ولكى يتأكد من ذلك استأذن فى الحال وأسرع الى المنزل
سالكا طريقه المعتاد، وأسرع جمال بعده مباشرة، وقبل أن يصل الصائغ كان
جمال قد سبقه إلى غرفة الملكة عن طريق الفتحة التى أحدثها فى الجدار،
وأعطى الخنجر للملكة لتعيده إلى مكانه.

وصل الصائغ وقال للملكة: أين الخنجر الذهبى؟، أشارت له على مكانه وعندما
تأكد منه تعجب كثيرا ثم عاد أدراجه الى المحل فوجد هناك جمال ومعه الخنجر،
حيث كان جمال قد سبقه إلى هناك بعد أن أخذ الخنجر مرة أخرى من الملكة
وعاد به إلى المحل.

بعد عدة أيام وبنفس الطريقة، أخذ جمال الشمعدان الذهبى الذى كان قد أهده
للصائغ من قبل، وذهب به الى محل الصائغ ليبيعه له، وعندما رآه الصائغ
عرفه واندش لذلک، فاستأذن منه وذهب الى المنزل ليتأكد أن هذا الشمعدان
ليس هو الذى بحوزته .

كان جمال أسرع منه إلى هناك، حيث سلك الطريق المختصر.... وهكذا عندما
وصل الصائغ وجد الشمعدان فى مكانه، ثم عاد أدراجه إلى المحل فوجد جمال
هناك ومعه الشمعدان، الذى كان قد أخذه مرة أخرى من الملكة وعاد به- عن
طريق الفتحة - إلى المحل قبل الصائغ.

مضت فترة من الزمن على هذه الواقعة وبعدها اقترح جمال على الملكة أن
يتزوجا، فوافقت واصطحبها معه إلى محل الصائغ وقال له: يا أسطى، أنا أريد
الزواج من هذه الفتاة.

قال الصائغ فى الحال:

بارك الله لكما، وسنقيم لكما بإذن الله حفلة زواج عظيمة.

لكن عندما رأى الصائغ الفتاة عرف أنها الملكة فغضب بشدة لكنه تحكم فى أعصابه وهرع إلى المنزل - وقد سبقته هى وجمال عن طريق النفق إلى هناك- وعندما دخل إلى غرفتها وجدها هناك، وعندما لمحت فى وجهه الاضطراب سألته عن سبب قلقه فقال لها: جاعنى جمال وبصحبتة فتاة تشبهك تماماً وقد عزم على الزواج منها، وأنا على يقين من أنك أنت التى رأيتها معه فى المحل ؛ قد يكون هذا من أعمال الجن والشياطين.

قالت له:

حسناً قد تشبهن تلك الفتاة، لكن لا ينبغي أن يكون ذلك داعياً لاضطرابك.

عاد الصائغ إلى المحل من طريقه المعتاد فسبقته الملكة أيضاً إلى المحل عن طريق النفق. ولكي يزيل الصائغ الشك من نفسه عاد مرة أخرى إلى المنزل فوجد الملكة هناك، وهكذا حتى تأكد فى النهاية وأطمأن إلى أن تلك الفتاة ليست هى الملكة خاتون.

استعدوا لاحتفالية عقد القران، وحضرت الملكة للزواج من جمال.

مضت فترة على هذه الواقعة إلى أن قال جمال ذات يوم للملكة خاتون:

محبوبتى، لقد حان الوقت الآن لكى نرحل من بيت أبيك.

قالت الملكة: ما هذا الذى تقول؟ لو علم أبى ما حدث لقتلنا.

قال جمال:

لم! وكل ما حدث بيننا قد تم بموافقتة.

ذهب جمال والملكة إلى الصائغ وقال له جمال:

عزمنا أنا وزوجتى على الرحيل وقد جننا إليك لنودعك.

ما أن رأى الصائغ الفتاة مع جمال حتى ساور الشك قلبه واستولى التردد على عقله، ولكى يطمأن أكثر ويزيل الشك، استأذن منهم لأن يذهب الى غرفة ابنته

ثم يعود، لكن جمال منعه أن يفعل ذلك، وأخذ يشغله بالحديث ويحكي له الحكاية - كما سمعتموها - من أولها الى آخرها ويعيد ويكرر،

وفى النهاية قال له: إن كل ما تم بيننا كان برضاك وموافقتك.

أدرك الصائغ أن الأمر قد خرج من يده، وليس لديه حيلة إلا أن يرضخ للواقع، فدعا لهما بالخير والتوفيق وودعهما، والتفت إلى جمال وقال له:

لتعلم أن الملكة خاتون مخطوبة لأمير هذه البلاد، وكنت مضطر لأن أذهب إليه وأروى له ما حدث، لكنكم تعجلتم السفر، وسأذهب إليه بعد أربعين يوماً، حتى تمر فترة من الزمن لا يستطيع بعدها العثور عليكما.

جهز جمال والملكة أمتعهما استعداداً للرحيل، وأحضر لهما الصائغ أقوى جوادين في البلاد ليستعينا بهما في سفرهما.

ودع جمال والملكة الصائغ وامتطيا جواديهما واستقلا طريق السفر.

وبعد أن مرت أربعون يوماً ذهب الصائغ إلى الملك وقال له: إن شاباً اختطف ابنتى من المنزل وهرب بها.

بأمر من الملك، خرج الجيش للبحث عنهما في جميع النواحي والجهات لكنهم لم يصلوا إلى شيء.

وصل جمال والملكة خاتون إلى منزل التاجر ففرح التاجر كثيراً لرؤيتهم وقال: لقد جاءت الملكة للزواج منى .

أدرك جمال أن التاجر سيحصل عليها بالقوة فهرب ومعه الملكة في منتصف الليل.

فى صباح اليوم التالى اكتشف التاجر هروبهما فهرع خلفهما حتى التقوا جميعهم فى بلدة جمال.

أسرع التاجر إلى ملك المملكة وقال له:

هناك شاب اختطف زوجتى وجاء بها إلى هنا.

أصدر الملك أمراً بالقبض على الشاب المتهم وقتله، حتى يكون عبرة لغيره.
قبضوا عليه وأحضروه أمام الملك ثم ساقوه- بأمر الملك - إلى المشنقة، فأخذ
جمال يضحك فسأله الملك: لماذا تضحك، وأنت تساق إلى المشنقة؟.
قال: سمعت أن بعض الملوك ظالمين، لكننى لم أرهم بعينى من قبل.
قال: وما وجه الظلم هنا؟.
قال: لأنك أصدرت أمراً بإعدامى بناءً على إدعاء من التاجر ولم تسألنى وتسمع
قولى.

قال: لكنك اختطفت زوجة التاجر وهى معك الآن.
قال: هذه الفتاة التى معى هى زوجتى، ودعنى أقص عليك كل ما حدث معى.
سرد جمال حكايته - من البداية - أمام الملك (من الواضح أنهما ولظروف
وصروف الزمن لم يعرف أحدهما الآخر من أول وهلة)، فعرف الملك من ذلك
أن جمال هذا هو ابنه الذى كان ينوى إعدامه من قبل، لكنه عدل عن ذلك
بتوصية من الوزير الحصيف ومن ثم قام بطرده من البلاد، فقام واحتضنه وقبله
بين عينيه.

أصدر الملك- بعد ذلك- أمراً بإعدام زوجته باعتبارها خائنة، وكذلك التاجر الذى
يريد اختطاف زوجة غيره، لكن جمال قال للملك: أرجوك أن تغفو عن زوجتك
وهى سوف تتدارك خطأها. وافق الملك على طلب جمال، وأقيمت الأفراح فى
البلاد لمدة سبعة أيام متصلة، وعاش جمال والملكة خاتون عمراً مديداً فى
سعادةٍ وونام.

لعلكم سعدتم معنا أيضاً.

* * * * *

٣- حكاية جُل ونسترن

كان وما كان، فى العصور القديمة، كان هناك ملك يحكم فى أرض حلب ، وكان لهذا الملك ولدان، أحدهما يُدعى " جُل " والآخر يُدعى " نسترن "، وكان الملك يرسل أبنائه يومياً إلى الكُتّاب؛ وفى يوم من الأيام مرضت أم الأولاد ومن ثم توفيت إلى رحمة الله، حزن الأولاد حزناً شديداً وسالت من أعينهم الدموع غزيرة، وبعد أن دفنوها لم يذهبوا إلى الكتاب لمدة أربعين يوماً، لبسوا فيها الملابس السوداء وجلسوا لتقبل العزاء .

بعد الأربعين يوم تعاهد الأولاد مع بعضهم أن يزوجوا أباهم. ذات عصر - طاب عصركم أيها القراء- حضر الملك إلى منزله فبادره جُل قائلاً: يجب عليك أن تتزوج يابى، واسمح لنا أن نخطب لك. قال الملك:

أوافق بشرط أن تخطبوا لى ابنة ملك مصر.

قال جُل:

نحن موافقون ونستطيع ذلك.

فى صباح اليوم التالى أخذ جُل ونسترن طريقهما متجهين إلى مصر برفقة جيش عرمرم فوصلا هناك عند الغروب ودخلا قصر الملك وطلبا منه خطبة ابنته. (كان اسم ملك مصر " زور شاه" وكان ملوك البلاد من حوله يدفعون له الجزية والخراج بنفس راضية)، وافق ملك مصر على أن يزوج ابنته لملك حلب. عاد جُل ونسترن ومعهم الفتاة إلى حلب بالغناء والطبل وآلات الطرب.

ظنت الفتاة أنهم زوجها لجُل ففرحت لذلك كثيرا، لكن عندما حل المساء أتى الملك إلى حجرة الفتاة على أنها زوجته الجديدة، تعجبت الفتاة عندما رأت أن رجلاً كث اللحية يدخل عليها حجرتها لأول مرة ويقف أمامها منتصباً بلا خجل، فسألته: من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ هيا اخرج، فسيأتى الآن الشاب الذى خطبنى.

حضر أولاد الملك بهدايا وجوائز كثيرة إلى الفتاة، فأمسكت بتلابيب جُل ولادت به ففهم مقصدها وأوماً إلى أبيه وأخيه أن أخرجاً، فخرجاً وتركوه معها ليوضح لها الأمر.

قالت الفتاة:

ما هذا الهراء الذى تقومون به؟ ألم تخطبنى لك أنت؟.

قال جُل:

لا يا سيدتى! نحن خطبناك لأبيننا وستكونين فى مقام أمنا.

قالت الفتاة:

لا! أنا تزوجتك أنت، وأنا أحبك أنت ويجب أن تجمع رأسينا وسادة واحدة. حاولت الفتاة أن تقترب منه وتداعبه فلطمها على وجهها فتألمت وصرخت من شدة اللطمة، فاندفع الملك والوزير ونسترن وبعض الحاضرين إلى الغرفة، قررت الفتاة فى الحال أن تنتقم، فقالت والدموع فى عينيها: أراد جُل أن يغوينى بالقوة.

صدّق الملك صاحب القلب الطيب كلام الفتاة فأصدر فى الحال أمراً باستبعاد أبنائه إلى مكان بعيد، فتم تنفيذ الأمر؛ وبينما كان الولدان يسيران إذا بهما قد دخلا غابة، فنام نسترن وقام جُل بحراسته، وأثناء حراسته رأى عصفورتان على فرع شجرة وقد جلستا تتسامران، فسمع احداهن تقول للأخرى: تعرفين يا أختاه حقيقة هؤلاء الأولاد! إنهم أبناء ملك حلب، أصابهم القضاء والقدر بموت أمهما، فخطب الأولاد ابنة ملك مصر زوجة لأبيهم، فظنت الفتاة أنهم خطبوها لجُل وليس للملك، وبناءً على هذا طلبت من جُل أن يناما فى غرفة خاصة وعلى سرير واحد، فلطمها فصرخت وقالت إن جُل أراد أن يمسك بى، وصدّق الملك كلامها ثم طرد إبنيه.

قالت الأخرى:

آه يا أختاه ! إن كل من يأكل كبدي يصبح ملك، وكل من يأكل رأسي يجد تحت رأسه كل ليلة كيس من الذهب.

ما أن سمع جل هذا الحوار حتى أخرج سهماً من كنانته وأسقط به العصفورة وأكل كبدها واحتفظ لأخيه برأسها؛ فى نفس اللحظة امتدت يد من السماء والتقطت نسترن ورفعته لأعلى، كانت تلك اليد لواحدة من بنات الجان، لم تقل له أنها كانت قد رآته من قبل وأحبته، بل قالت:

إنى أحبك يا بنى! وعليك أن تتزوجنى.

قال لها نسترن: لا يمكننى أن أتزوجك.

من ناحية أخرى، كان جل قد نهض من نومه وانتبه إلى أن أخاه نسترن ليس فى مكانه، فأخذ يبحث عنه دون جدوى، وهام على وجهه فى الأرض يبكى ويئن حتى وصل إلى بلدة أخرى، فوجد أهلها يستعدون للرحيل عنها، فسأل أحدهم: إلى أين هؤلاء يودون الرحيل؟.

فأجابه:

إن ملك هذه البلدة قد مات، وسوف يتجمعون فى مكان خارج البلدة و يطلقون حمامة فى الهواء، ومن تقف على رأسه هذه الحمامة سيختارونه ملكاً عليهم. ذهب جل معهم إلى مكان التجمع، أطلقوا الحمامة فطارت إلى السماء ودارت فى الفضاء، ثم دارت ثم دارت، وأخيراً حطت على رأس جل، وأعلن أهل المدينة أن جل هو ملكهم الجديد.

حكم جل وكان عادلاً وعاقلاً وحكيماً وذو إحساس مرفه.

لعلكم نسيتم نسترن!

بقى نسترن عام كامل فى قبضة ابنة الجان، وذات يوم ظل متربصاً ومنتظراً حتى تغفل عنه أو تغفو، وما أن راحت فى نوم عميق حتى أغمد فى صدرها خنجراً وماتت فى الحال وغادر المكان وسار لمدة اثنتا عشرة يوماً إلى أن وصل

به السير إلى أبواب مدينة، فلم يسمح له حراس القلعة بالدخول وقالوا له:
إن ملكنا جُل لم يسمح بدخول أى أحد إلى المدينة إلا بإذنه. جال نسترن بعينيه
فى المكان من حوله فوق نظره على أماكن خربة ومهدمة فسألهم عنها:
لماذا هذه الأماكن خرابات.

قالوا:

يوجد هناك تتين ضخمة، مما جعل الناس يهجرون تلك الأماكن فأصبحت خراباً،
ومن أجل ذلك ضربنا حول المدينة سور.
سألهم نسترن عن مكان التتين بالضبط واتجه نحوه، وما أن رأى التتين نسترن
حتى فتح فمه ليبتلعه، وفى الحال استل نسترن سيفه وطعن التتين عدة طعنات
فترنح وسقط على الأرض؛ شاهد حارس القلعة هذا المشهد وكان قريباً، فهجم
على نسترن من الخلف وضربه على رأسه بقوة فأغشى عليه ثم لفه فى سجادة
ووضعه جانباً وذهب بعد ذلك إلى الملك وقال له: أنا قمت بقتل التتين وروح
الجماعة أنقذتني من الهلاك؛ فأنعم عليه الملك بعطايا وفيرة فأخذ العطايا وقصد
منزله؛ فى نفس اللحظة التى ذهب فيها الحارث إلى الملك كان خطاباً اسمه
"أحمد" يجمع الحطب حول المكان، فرأى فى طريق عودته سجادة مطوية
وبداخلها شىء، فقام بفردھا وإذا به يرى ولد جميل وجريح كان ملفوفاً فى
السجادة ولا يزال يتنفس وقلبه ينبض، فحمله على كتفه فى الحال وهرع به إلى
منزله وقام بعلاجه حتى تماثل للشفاء وقد أنفق على علاجه مبلغاً كبيراً فوق
طاقته، وكان قد اقترض هذا المبلغ ولم يتمكن من سداده.

تفهم نسترن الوضع وقال له: يا عمى العزيز! لا تشغل بالك، فعندما أستيقظ
مبكراً فى كل صباح سيوجد تحت وسادتي كيس من الذهب، لك أن تأخذه.
تهلل وجه الخطاب وسعد كثيراً، ففى كل صباح كان يحصل على كيس الذهب
وودع الفقر والعوز إلى الأبد، واستراح من هم الدين، وفضلاً عن ذلك شيد

لنفسه منزلاً جميلاً.

فى يوم من الأيام، وبينما كان نسترن يتجول فى المكان إذ بحارس القلعة يلحق به ويقبض عليه ومن ثم ذهب به إلى السجن وقال للسجّان (زوراً وكذباً): إن الملك يأمر بحبس هذا الشخص حتى نتعرف على شخصيته ومهمته. بحث الحطاب كثيراً وسأل عنه الجميع لكن لم يجد له أى أثر، حيث قضى فى السجن عاماً كاملاً يتعذب دون أن يدري أحد عنه شيئاً، وفى أحد الأيام حضر إلى السجن تاجر من التجار الكبار وقال للحارس:

هناك تمساح ضخم يسد الطريق على سفينتى فى النهر، فلو وهبت لى أحد المحكوم عليهم بالإعدام عندك بحيث لا يكون له أهل يسألون عنه لنلقى به إلى التمساح فينشغل به ونستطيع أن نعبر بالسفينة. أثناء هذا الحديث كان حارس القلعة - الذى قام بتسليم نسترن للسجّان- متواجداً وسمع الحوار فقال للسجّان:

أيها السجّان! عليك أن تسلّم نسترن لهذا التاجر فوراً. أخذ التاجر نسترن وانصرف به إلى حيث ترسو السفينة، وركبوا فيها وساروا إلى مكان التمساح، وعندما همّوا بإلقاء نسترن فى النهر قال لهم: إعطونى سيفاً واربطوا فى وسطى حبلأ وأمسكوا بطرف الحبل ثم القوا بى فى النهر، فإذا تمكنت من قتل التمساح فاسحبونى إلى داخل السفينة. وافق التاجر وأعطاه خنجر وربطوه من وسطه بحبل وألقوا به فى النهر؛ تمكن نسترن من التمساح ومزقه إرباً إرباً فصبغ دم التمساح النهر باللون الأحمر، وقاموا بعد ذلك بسحب نسترن إلى السفينة، واتخذ التاجر نسترن ابنأ له. سارت السفينة فى طريقها، سارت طويلاً حتى وصلت إلى مدينة أخرى. كان التاجر رجلاً خبيراً ومتمرسأ، فقد كانوا يعرفونه فى كل مكان يذهب إليه، وكان قد حمل معه فى رحلته هذه هدايا قيّمة إلى ملك تلك البلاد، فرح الملك

فرحاً شديداً وتقبلها منه وقام باستضافته هو وابنه فى قصره، فقبل التاجر الإستضافة، وأثناء وجودهما بالقصر رأت ابنة الملك نسترن وهامت به وعشقه كما لم تعشق من قبل.

طلب التاجر المحنك من الملك خطبة ابنته لابنه نسترن فوافق الملك فى الحال؛ أقاموا حفل الزواج لمدة أربعين يوماً بلياليها ثم عقدوا الزواج، وما أن رأى التاجر ابنة الملك حتى كاد يطير عقله من فرط جمالها وحسنها، فقد كانت كما يقول المثل: " تقول للقمر عليك أن تغادر فأنا اليوم مكانك ".

أحب التاجر الفتاة حين رآها؛ فكر وفكر كيف يأخذ الفتاة لنفسه، هداه تفكيره فى النهاية بأن يلقي بنسترن فى البحر أثناء السفر، فخطط لذلك، من نظرات التاجر فهمت الفتاة ما يخطط له فقالت لنسترن:

إن هذا التاجر يخطط لقتلك، فإذا رأيتهم يحاولون قتلك فاطلب من التاجر أن يضعونك فى صندوق ويلقون به فى البحر.

أمر التاجر عماله بتحميل السفينة بالبضائع وأمتعة السفر، وأبحرت السفينة فى طريق سفرها، قام العمال فعلاً بمحاولة إلقاء نسترن فى البحر فتوسل إلى التاجر وقال له:

إرحمنى أيها التاجر ولا تلقى بى فى البحر، فإن كان لا بد فأرجوك أن تضعنى فى صندوق وتلقيه فى البحر كى لا أختنق أو تأكلنى التماسيح.

قام التاجر بتجهيز الصندوق حسب رغبة نسترن؛ وكان قد فكر من قبل فى نفسه أن يذهب بالسفينة إلى مكان واسع وعميق بعيداً عن الشاطئ ويلقى فيه بالصندوق فتحطمه التماسيح وتلتهم نسترن قبل أن يصل إلى الشاطئ.

بينما الفتاة تبكى وتزرف الدموع على حبيبها نسترن، كانوا يضعونه فى الصندوق ويغلقون عليه بابه، ثم قذفوا به فى البحر؛ حملته الأمواج بعيداً عن العيون وأوصلته إلى شاطئ فى تلك البلدة التى اختارت جُل ملكاً عليها؛ كان

هناك بستانى يقف على الشاطئ فرأى الصندوق والأمواج تتلاطمه فتقدم إليه وتناولته من الماء وخرج به على البر، كان مقفلاً وكان ثقيلاً، فرح الرجل أيما فرح وقال لنفسه: بماذا ياترى قد أنعم الله علينا اليوم؟.

فتح الصندوق فوجد صبي بهى الطلعة، أخذه معه إلى منزله واتخذته ولداً. لنترك نسترن فى بيت البستانى ليسترىح ويقص عليه قصته، وتعالوا بنا نتعقب أثر ذلك التاجر.

أتى التاجر إلى الفتاة - بعد أن فرغ من أمر نسترن- بقصد التودد والتقرب، فقالت له:

سأقتل نفسى اذا اقتربت منى، أنا مخطوبة وأنت فى مقام أبى.

الوضع كان محرّجاً للتاجر، ومن الواضح أن المهمة لن تتم مع الفتاة ولن يتمكن من الدخول إلى قلبها بسهولة كما كان يظن، ولواستخدم القوة معها فسيظهر أنه عديم الشرف والمروءة، انتهى بهم السفر إلى شاطئ فى مملكة جُل، ذهب التاجر إلى الملك وأهداه الفتاة وحصل فى المقابل على منح وعطايا من الملك؛ ما إن رأى جُل الفتاة حتى وقع فى حبها فطلب منها الزواج، فقالت له: عشت أيها الملك! امنحنى مهلة، أربعة أشهر وعشرة أيام لا تقربنى فيها، لأن زوجى قد توفى منذ عدة أيام.

وافق الملك جُل على طلب الفتاة وأمهله.

سمع نسترن عن وصول السفينة إلى نفس المدينة، وعرف ما حدث للفتاة فى قصر الملك وعن طلبها المهلة.

فى يوم من الأيام كان البستانى يقطف الزهور لجناح الحريم فى بلاط الملك فسأله نسترن: لمن تقطف هذه الأزهار يا أبى؟.

- لجناح الحريم فى قصر الملك يا بنى .

قام نسترن أيضاً بقطف بعض الأعشاب وقال للبستانى:

اعطِ هذه الأزهار لمن دخلت حديثاً إلى جناح الحريم فى القصر.
قال البستاني: إنها ليست أزهار، إنها أعشاب.
قال الفتى وهو يضحك:
يا أبى العزيز! قل لها إنها أزهار نسترن.
سكت البستاني، وأخذ منه الأزهار وهو متعجب ووضعها مع الأزهار التى قام
بجمعها، وفى جناح الحريم وزع أزهاره على النساء هناك واختص الفتاة
الجديدة بالأعشاب.
قالت الفتاة: لماذا أنا بالذات تعطينى هذه الأعشاب؟
- إن أزهارك هذه أفضل من كل الأزهار.
- لا، لكن لأننى غريبة وجديدة تعطينى إياها.
- هذه يقال لها أزهار نسترن، قطفها لك ابنى نسترن.
فهمت الفتاة الموضوع و بذلك عرفت أن خطيبها نسترن حى يرزق وموجود فى
منزل البستاني فقالت له:
ابعث إلى بذاك الفتى الذى قطف هذه الأزهار.
- بكل سرور سيدتى.
عاد البستاني فى الحال ونقل إلى نسترن ما قالته الفتاة بالضبط ثم قال له:
إن الفتاة تريد أن تراك، فما رأيك فى ذلك؟
قال له نسترن:
لتعلم ياوالدى أن تلك الفتاة هى زوجتى؛ فأحضر لى ملابس نسائية لأرتديها
وأتخفى، وتأخذنى معك على أننى جارية أو خادمة.
وافق البستاني على ذلك، بل سعد أيضاً وتم ما اتفقا عليه وهناك قال للفتاة: إن
كل النساء هنا لهن خادمت، وأنت فقط ليس لديك خادمة، وقد أحضرت هذه
الفتاة لتقوم على خدمتك.

رضيت الفتاة بذلك، وبعد أن تفرقت النساء وانصرفن من حولها كشف لها
نسترن عن وجهه فسعدا سوياً بالتقائهما مرة أخرى سعادة بالغة.
قال نسترن لفتاته:

يا عزيزتى! إن ملك هذه البلاد هو أخى، فاذهبى إليه وقولى له:
عندى لك سؤال فإذا أجبتنى عليه فساقبل طلبك، وعندما يسألك، ما هو سؤالك؟
قولى له: ماذا فعل جُل بنسترن؟.

نهضت الفتاة فى الحال وذهبت إلى الملك فقال لها حين رآها:
حسناً فعلت، أخيراً رضيت.

- عندى لك سؤال فإذا أجبتنى عليه فسوف أقبل طلبك.
- إسألينى عما تشائين.

- أيها الملك! أخبرنى، ماذا فعل جُل بنسترن؟.

ما أن سمع الملك هذه الجملة حتى أغشى عليه؛ أفاقته الفتاة، وحين أفاق
سألها: أين نسترن الآن؟.

فى نفس اللحظة فتح نسترن الباب ودخل على أخيه وتبادلا الأحضان والقبلات،
فرحاً فرحاً شديداً لإلتقائهما مرة أخرى؛ سرد نسترن على مسامع أخيه كل
الأحداث التى مر بها أو مرت به حسب ما طرأ على ذهنه؛ غضب جُل غضباً
شديداً وقام فى الحال وارتدى الزى الأحمر وجلس على منصة الحكم، وكان قد
أرسل فى استدعاء كل من حارس القلعة والتاجر، وقال للحارس: إن الذى قتل
التنين هو نسترن ونسبت أنت هذا العمل إلى نفسك، وفوق كل ذلك أصبته وكنت
تريد قتله، فجزائك الموت.

استدعى الملك السياف وأمره بقطع رقبة الحارس.

حضر التاجر فقال له الملك: هل يحق لك أن تعشق زوجة ابنك؟ فضلا عن أنك
قمت بإلقاء نسترن فى البحر بغرض قتله والتخلص منه ليخلو لك المجال، فما

جزاء ذلك كله الذى أظهر خستك ونذالتك إلا الموت.

أحال الملك التاجر أيضاً إلى السياف لإعدامه.

استضاف الملك كل من الحطاب والبستاني وشكرهم على صنيعهم مع نسترن،
وقام بتعيين أحدهم فى منصب وزير والآخر فى منصب وكيل.

أقام الملك لأخيه حفل العرس لمدة سبعة أيام بلياليها.

بعد مدة من الزمن وفى إحدى الأيام قال جُل لأخيه:

هيا بنا يا نسترن لنرى أبينا ثم نعود إلى هنا مرة أخرى.

ركب كل منهم فرسه وانطلقا فى طريقهما، وعندما اقتربا من مدينة حلب أرسلوا
من يخبر أباهما بأن الأولاد الذين طردتهم صغاراً من قبل يريدون أن يروك،
فهل تسمح لهما أم لا؟

بمجرد أن سمع الملك خبر سلامة أبناءه أسرع ومعه الوزير والنائب وكبار
رجال الدولة والأعيان لاستقبالهم؛ احتضن الملك أولاده وقبل بعضهم بعضاً ثم
اتجهوا صوب القصر الملكى؛ كان الملك قد علم بكل ما حدث وبذلك اتضح له أن
طرده لأولاده كان بغير حق فتضايق بشدة، خاصة وأنهم قد أوضحوا له أنهم
غير مذنبين ولم يرتكبا أى أخطاء.

أصدر الملك أمراً بأن تقام الإحتفالات فى أرجاء المملكة وتضاء طرقات المدينة
بالمصابيح.

مكث الأولاد مع أبيهم مدة من الزمن ثم طلبوا الإذن من أبيهم بالرحيل وسلما
عليه وودّعاه وعادا من حيث أتيا، إلى مملكتهما الجديدة؛ أكلوا وشربوا
وانشغلوا بالأرض.

أنتم أيضاً، كلوا واشربوا، لكن لا تنشغلوا بالأرض.

* * * * *

٤- حكاية شير زاد

كان وما كان، فى قديم الزمان، كان هناك ملك ليس لديه أولاد؛ وفى يوم من الأيام، بينما كان الملك فى حالة من الحزن والكآبة واضعاً يده على جبينه، غارقاً فى التفكير إذ أفاق فجأة على صوت قادم من مكان قريب، ونظر فرأى درويشاً يقف على باب القصر.

ألقى الدرويش السلام على الملك ثم قال:

لما أنت مشغول بهوم الدنيا أيها الملك، مما تشكو؟.

- نعم أيها الدرويش ، أنا غارق فى بحر الهموم فعلاً، فليس لدى ابن يرث - بعد موتى- عرشى وتاجى وأموالى وضياعى؛ فبدون الوريث ينكسر ظهري وينقطع من الدنيا ذكرى.

- أيها الملك! سأعطيك تفاحة، إذا أكلت أنت نصفها وأكلت زوجتك النصف الآخر فبمشيئة الله ترزقان بمولودين، بشرط أن تعقد معى اتفاقاً، أن تهبني أحد الأطفال، وسأتى بعد مدة لأخذ أحدهما، فإذا لم تقبل بالشرط فلن تنجب، وإذا لم تنفذه فلن ترى فى حياتك خيراً.

- أيها الدرويش! أنا فقط والد الطفل، وإذا لم يكن هناك ما يمنع فسأعطيه لك على أن يكون الولد حيثما يكون هو ابنى.

أعطى الدرويش التفاحة للملك وغادر القصر ففرح الملك بشدة وأكل نصف التفاحة وأعطى نصفها الآخر لزوجته فأكلتها، أى أن كلاهما أكل من التفاحة. مضت فترة من الزمن وحملت زوجة الملك، وبعد تسعة أشهر وتسعة أيام وتسع ساعات وتسع دقائق وضعت حملها، وجاء إلى الدنيا مولود جديد؛ فأصدر الملك أمراً بأن يشعلوا قناديل المدينة كلها، ويطعموا الفقراء، كما أمر باستضافة العلماء والزُّهاد وكبار رجال الدولة والأعيان؛ وأثناء انعقاد المأدبة أعلنوا اسم

المولود الجديد، حيث أطلقوا عليه اسم "مُحمد".

عندما بلغ مُحمد سن الثامنة من عمره أرسلوه إلى الكُتّاب ليتعلم القراءة والكتابة، وعند سن الخامسة عشر كان مُحمد قد أتقن القراءة والكتابة تماماً.

لا تنسوا ما أخبرناكم به عن ذاك الدرويش ، لأنه فى يوم من الأيام، وحين كان الملك خارجاً من القصر الملكى قاصداً الاستراحة إذ به يفاجأ الدرويش وقد دخل بدون سلام أو كلام وقال للملك: ها أنا ذا قد أتيت لآخذ الولد.

- أيها الدرويش! إنه ولد واحد وليس توأم، وهو الآن فى سن الخامسة عشر.

- إذاً لنقسم الولد نصفين، نصف لى ونصف لك.

- ولماذا نقسمه أيها الدرويش! قمت أنا على رعايته وتربيته خمسة عشر سنة، وعليك أن تقوم برعايته وتربيته خمسة عشر سنة أخرى.

وافق الدرويش على ذلك، وودع الملك وزوجته ابْنهما مُحمد بالدموع والقبلات وتركوه للدرويش.

أخذ الدرويش مُحمد إلى جزيرة نائية، فسأله مُحمد:

ما هذا المكان الذى أحضرتنى فيه؟.

قال الدرويش: هنا بيتى، وهنا سنعيش.

قال مُحمد فى نفسه:

يا إلهى! ما هذا البلاء الذى حل على رأسى، فقد نقلنى هذا الدرويش من حياة القصور إلى جزيرة خربة وبعيدة، يالها من مأساة أن أعيش هنا.

قال الدرويش لمُحمد بصوت فيه حنان الأبوة حين شعر بقلقه: إن منزلى هذا يا مُحمد لهو أفضل من قصركم الملكى ذاك بكثير، وسترى ذلك فيما بعد.

أخذ الدرويش مُحمد إلى كهف فى الجزيرة وأدخله، فنظر مُحمد حوله فلم يجد فى هذا الكهف سوى ثلاث جلود وفتاة، ولا يوجد أى شىء آخر؛ وكأن المكان حظيرة حيوانات، فسأل الدرويش:

يا أبى! هل هذه كل لوازم بيتك، أين فراشك وغطائك؟.

قال الدرويش: إحدى هذه الجلود هى فراشى والأخرى غطائى والثالثة وسادتى؛ هذا كل ما أملك ولا شىء آخر.

أصابته مُحمد العصبية وقال فى نفسه: ياليتنى ما أتيت معه الى هنا.

مضت مدة من الزمن حين طرأت للدرويش فى يوم من الأيام فكرة السفر خارج الجزيرة، فقال لمُحمد والفتاة: لكما أن تناما على هذه الجلود حتى أعود من السفر، وكونا أولاداً طبيين، وهاك هو العشب والكلأ، فكلا واشبعا.

أوصى الدرويش الأولاد بما يجب عمله ثم انطلق فى طريقه؛ كان مُحمد مضطرب العقل ومشوش الفكر ولا يعلم ما يفعله وما لا يفعله؛ فقد كان ابن ملك، وكعادة أبناء الملوك، لم يمازح ولم يتذوق طعم مر الأيام، وما كان يشعر ببرد الزمان ولا حرّه.

نعم! أكل مُحمد والفتاة أياماً من الأعشاب والأعلاف التى حولهم حتى شبعا، وفى الليل يستخدمون الجلود، فرش وغطاء ووسادة، للنوم سوياً، وكانا يقضيان أوقاتهما فى اللهو واللعب؛ عاد الدرويش فى يوم هبّت فيه الرياح بشدة وهطل المطر فيه بغزارة، وبدون سلام أو سؤال عن الأحوال قال: مُحمد، يا بُنى! سوف أعلمك ورداً وأتمنى أن تحفظه عن ظهر قلب.

- علمنى يا أبى.

- أولاً: تقدم النية لما تتمناه أو تطلبه،

ثانياً: قل (ب - ت) فتحصل على مرادك فى الحال؛ أسمعنى الآن لأرى إن كنت حفظت أم لا.

فكر مُحمد فى أن يراوغ الدرويش، فقال فى نفسه:

أنا حفظت فى ذاكرتى (ب - ت)، لكن إذا سألتنى فلن أجيبه بما يريد.

ثم قال الدرويش نعم تعلمت وحفظت، (د - ذ).

- لا لم تحفظ جيداً؛ قل (ب - ت).

- (ر - ز).

وكلما كان الدرويش يقول لمحمد: قل (ب - ت) كان محمد يقول: (ر - ز)، خلاصة الكلام أن محمد ما كان يقول (ب - ت) كما كان يطلب منه الدرويش، بالرغم أن ذلك فيه فائدة له.

مرة أخرى أراد الدرويش السفر، فكانت ساعة نحس يوم أن غادر المكان حيث بقى محمد والفتاة مرة أخرى وحيدين، فارتبطا ببعضهما أكثر وتزوجا؛ بعد مدة من الزمن شعر محمد أن زوجته أصبحت حاملاً، ولم يعرفا ما الذى يجب عليهما عمله فى مثل هذه الأمور، فقد أدركا أخيراً أنهما تسرعاً فى هذا الأمر، وقد يأتى الدرويش اليوم أو غدا فيقتلهما على فعلتهما هذه؛ راودتهم فكرة أن يبتعدا عن هذا المكان، فسارا على نفس الطريق الذى أتيا منه، وفى الطريق وضعت المرأة طفلاً جميلاً، فقال محمد: ماذا نفعل الآن! لو رأى الدرويش الطفل فسيقتلنا جميعاً.

قالت الفتاة:

ذاك الدرويش يعشقتى، ولو جاء الآن فسيمزقنا إربا، فهيا بنا نقتل الطفل. لم يطاوعهما قلبهما على قتل الطفل، ولم يتفقا على هذه الفكرة، واهتديا فى النهاية إلى أن يتركا الطفل فى مكان بجوار شجرة فى الغابة، وبالصدفة عاد الدرويش فجأة من سفره فى نفس هذا اليوم وعلم بطريقته ما حدث فصاح عليهما بعصبية: يا فلان، يافلانة، تعالوا إلى هنا، ألم أقل لكما ألا تبرحا مكانكما بأى حال من الأحوال، وما هذا الذى فعلتموه.

قال محمد:

والله ما فعلنا شىء.

قال الفقير:

ها! ظننتم أننى لن أعرف شيئاً عن المولود الذى أنجبتماه وألقيتما به فى الغابة، ماذا لو مزقتكما الآن إربا؟.

بذلك أدرك الشاب والفتاة أن الدرويش لديه خبر عن كل شئ، فجلسا صامتين. تنحى الدرويش جانبا ولم يتخذ معهما أى إجراء. فى أحد الأيام قال الدرويش:

أسمعنى يا محمد، الدرس الذى علمتك إياه، هل حفظته جيداً؟.

- والله، إنى نسيتته منذ اليوم الذى غادرت أنت فيه المكان.

- حسنا، قل الآن (ب - ت).

- يا والدى العزيز، إن لسانى لم يستطع أن يردد (د - ذ).

تعصب الفقير وأخذ الجلود وألقى بها بعيداً، وصاح بغضب:

لتبقوا الآن بدون أردية حتى يعود إليكما صوابكما.

فكر الدرويش فى أن يقتل محمد ويثتأثر بالفتاة لنفسه لأنه يحب الفتاة، وفى النهاية قرر أن يبعده عن عين الفتاة فى مكان آخر حتى تنسى الفتاة جريمتها ولا تشغل بها.

أدرك محمد ما يدور فى خلد الدرويش فقرر هو الآخر ألا يبتعد عن الفتاة.

قال محمد فى نفسه ذات يوم: حسنا! كان الدرويش يقول (ب - ت)، فإن كان كل المطلوب هو قراءة (ب - ت) فسأسمعه إياها، ثم أختبر نفسى و أنوى نية ثم اقرأ فى سرى (ب - ت) وأنفخ فى وجهه لأرى ما إذا كان الفقير سيتحول إلى حجر أم لا!.

كان الدرويش جالسا فقال محمد (ب - ت) ثم نفخ فى وجهه بسرعة فتحقق ما كان يرجوه، حيث تحول الدرويش إلى حجر فى الحال واستقر على الأرض. فرح محمد والفتاة بذلك كثيراً وألقيا به بعيداً.

قالت الفتاة ذات يوم لمحمد - وكان قد مضى سبع سنوات على ذلك اليوم الذى

تركاه فيه وليدهما بجوار شجرة فى مكان ما فى الغابة:-

هيا بنا نذهب لنبحث عن طفلنا الذى تركناه تحت شجرة لنرى ماذا حل به.
قال: بالتأكيد، بعد كل هذه المدة لن يكون على قيد الحياة، فإما مات وإما أكلته
الحيوانات المتوحشة، فلماذا نجدد أحزاننا؛ من الأفضل أن ننسى ذلك الأمر.
قالت وهى تستعطفه:

ماذا لو ذهبنا إلى هناك، وسواء وجدناه أو لم نجده، فتستريح نفسى ويهدأ بالى
ويطمئن قلبى على وليدى.

رق محمد لحالها، وحتى لا ينفطر قلبها قال لها: هيا نذهب الآن ونبحث عنه
عسى أن نستدل على شىء.

انطلق محمد والفتاة سوياً إلى حيث الشجرة التى تركا تحتها الطفل.
فكّروا أنتم معى وتصوروا، ماذا يا ترى قد راو هناك؟.

كان الطفل يلهو فى نفس المكان، هرعوا إليه، لكنهم فجأة سمعوا صرخة قوية
فاختبأ بسرعة بين الأشجار وإذ بهما يروا أسداً ضخماً قد جاء وأخذ يلهو مع
الطفل، رفعه فترة ثم أنزله وقبّل وجهه وتركه وانصرف، وبعد أن اطمأنا اتجها
بحذر تجاه الطفل، فإذا به حين رآهم يطلق صرخة قوية اهتزت لها الأرض،
وعاد الأسد مسرعاً حين سمع الصرخة، فظن محمد والفتاة لأول وهلة أن الأسد
لا محالة سيفترسهم، لكن ذلك لم يحدث، بل توقف حين رآهم ونظر إليهما
بهدهوء وهمس فى أذن الطفل وأفهمه بطريقته الخاصة إن هؤلاء والديك فاذهب
إليهما، لكن الطفل أخذ يعضض فى يدي الأسد وقدميه ويلكمه فى صدره، فهدأ
الأسد من روعه وأخذه إلى أبويه ثم قبّل رأسه ووجهه وسلّمه إليهما؛ ولأنه
تربى على يد الأسد كل هذه الفترة فهو لا يفهم لغة البشر، فبذل والديه معه
جهداً كبيراً لتعليمه الكلام، وأخذ معهما فترة كان يصدر فيها صوت كأصوات
الحيوانات وبالذات صوت الأسد، حتى بلغ من العمر إحدى عشر عاماً، وعند

هذه السن انحلت عقدة لسانه و بدأ فى نطق الكلمات؛ ومنذ ذلك اليوم أطلقوا عليه اسم " شير زاد" أى "الشبل"، وحين نطق قال لوالديه عاهدانى على أن تستمعوا لكل ما أقوله لكما وتوافقانى عليه، وإلا سيصيبكما الأذى والضرر. فى يوم من الأيام كان شير زاد يلهو قريباً من الكهف إذ لفت نظره حجر أسود اللون، فقال آهه، الدرويش أصبح حجراً، ما هذا؟ تبدل الدرويش إلى حجر، إنه لشىء طيب، فهذا الملعون لم يأتِ على رؤوس الناس إلا بالشر. قال مُحمد: أنا حولته إلى حجر.

قال الشبل: دعونى ألتقط هذا الحجر وأقذف به إلى أبعد ما يمكن حتى يسقط فى نهر النيل، لأنه لو بقى فى مكانه هنا فقد يجر عليكما مصائب لا تطيقونها. كان مُحمد يخاف الدرويش، لذا كان يظن أنه لو حركه من مكانه فقد يعود إلى حالته الآدمية، ولذلك لم يوافق على ما قاله الشبل وقال له: لا يا بُنى، من الأفضل ألا تحرك هذا الملعون من مكانه، فإنه لا يصيبنا من ضرر ما دام حجراً، فلا تلمسه وهيا بنا نرحل من هنا.

- ولماذا نرحل من هنا ؟

- لأن لك جد وجدة وسنذهب لزيارتهم.

- ما معنى جد وجدة؟

- أبى وأمى.

كانت المسافة من هذه الجزيرة إلى ذاك المكان الذى يعيش فيه والدى مُحمد تقتضى سبع سنوات سيراً على الأقدام؛ ساروا وضلوا الطريق، وفجأة تذكر مُحمد ذلك الورد الذى علمه إياه الفقير، فقرأه فى الحال على نية الوصول إلى بلده، ووصلوا فعلاً إلى مدينة قريبة من مدينة أبويه، وأثناء تجوالهم فيها رأوا جمع غفير من الناس فسأل الشبل والده: ما هؤلاء المتزاحمين المكდسين كالنمل؟

قال : إنهم آدميين مثلنا.

كان الناس يتدافعون إلى ساحة ليشاهدوا شيئاً، فاستأذن الشبل والديه ليشاهد ما يحدث هناك ثم يعود إليهم بسرعة، واتجه إلى هناك ولم يستطع أن يرى أى شىء، فانتزع جذع شجرة جميز من الأرض وأخذ يفرق بها الناس يميناً ويساراً حتى وصل إلى داخل الساحة فرأى هناك بطل فتوة يقف فى الوسط ويصيح بأعلى صوته طالبا من الملك الجزية والخراج لسبع سنوات.

كان الناس يرتعدون من الخوف، فسأل الشبل أحد الواقفين:

لماذا يخاف هؤلاء؟ ما الذى يمكن أن يفعله لهذا الحشد الكبير من الناس؟.

فقال الرجل: ماذا تقول يا أخى العزيز! إنه من الشجعان الذين لا يقهرهم أحد، حتى أن عشرة من الرجال لا يستطيعون أن يحركوه من مكانه.

كان الملك يجلس فى ناحية من الساحة حزينا فاتجه الشبل ناحيته وقال: لماذا أنت حزين أيها الرجل المغلوب على أمره؟.

قال الملك: أنا لست مغلوباً على أمرى، بل أنا ملك، ألا تعلم ما معنى كلمة ملك؟! - الملك هو رئيس كل أفراد مملكته ومالكهم.

قال الشبل: كيف تكون أنت مالك ورئيس ولم تستطع أن تتغلب على شخص واحد! فكيف إذاً يمكنك التحكم فى كل هؤلاء جميعاً؟.

- لم أستطع التغلب على هذا الشخص لأن كل أبطالى قُتلوا فى المعارك.
- سأفصل أنا الآن رأسه عن جسده.

- أنت لا زلت طفل ولم تبلغ مبلغ الرجال فى القوة.

- نعم أنا طفل، وهو بطل ضخم الجثة، لكنك سترى الآن ... كيف سأنهى حياته.

- إنصرف من هنا والعب بعيداً مع الأطفال.

اتجه الشبل إلى البطل وقال له:

ماذا تريد من هؤلاء؟ لماذا لا تتركهم وشأنهم وتنصرف إلى عملك، أم أنك عاطل

وليس لك عمل؟

ضحك البطل وقهقهه ثم قال: ألا ترى أن هذا أفضل عمل! فإني أريد أن أزيح هذا الملك عن عرش السلطنة وأجلس مكانه.

قال الشبل: ارحل من هنا أيها الرجل، وابحث لك عن عمل تتكسب منه لتعيش، وإلا لن ترى منى خيراً.

قال البطل: ولأنك طفل صغير فمن الأفضل لك أن تبحث لك عن بلية تلعب بها، هيّا أغرب عن وجهي قبل أن أدقك مكانك على الأرض وأهشم عظامك هيّا. قال الشبل:

ولأن عقلك حل مكان عينيك فتخيلت أن القوة والمقدرة تتمثل في القوام والقُد؛ فعليك أن تذهب من هنا الآن وإلا قمت بخلع يديك ورجليك.

دقق البطل النظر في الشبل فلاحظ أن سواعده تشبه سواعد الأسد، فقال له: أنت شاب شجاع فتعال معي لأعلمك أسرار وفنون القتال والبطولة وتبقى بجانبى باستمرار.

قال الشبل:

إن قوتك قد تكون وبالاً عليك وتحطّمك أنت نفسك، فلا تعلمها لأحد وارحل من هنا بأسرع ما يمكن.

انتابت البطل حالة من العصبية الشديدة، وبينما هو يرتعد من شدة الغضب صاح قائلاً: إذا لم ترحل أنت من هنا فوراً فسوف تجلس أمك لأخذ عزائك.

قال الشبل: هيّا إضربنى بسيفك لأرى مدى قوتك.

غضب البطل واستل سيفه وأراد أن يضربه على رأسه إلا أن الشبل أمسكه من يديه وضغط عليهما بشدة حتى سقط السيف من يده، ثم رفعه إلى أعلى وألقى به على الأرض، وقبل أن ينهض كان الشبل قد فصل ذراعيه عن جسده بحركة واحدة، وقبل أن يصرخ كانت قدماه أيضاً قد فصلتا عن جسده؛ هلل الناس

وكبروا وفرحوا لذلك كثيراً، وعاد الشبل إلى أبيه مرة أخرى فودعه الناس بأفضل توديع.

لاحظ محمد أن ابنه مسرورٌ فاستفسر منه عما حدث هناك، فقال الشبل: كان هناك بلطجي خسيس، وكان الناس يهابونه ويتضررون منه، فقتلته وأرحت الناس منه.

قال محمد: ما شألك يا بُنى! أنت لازلت طفل، وكان من الممكن أن تُصاب بأذى، فلا تفعل مثل ذلك مرة أخرى.

قال الشبل: سأفعل ما يمكنني فعله، فقد كانت مجموعة من الناس أسيرة لدى شخص واحد، وغير قادرة على عمل شيء؛ دعنا الآن من هذا الموضوع فأنا جوعان، هل لدينا ما يؤكل؟.

قال محمد: كان لدينا كمية من الخبز وأكلناها فاذهب إلى أى مطعم وتناول طعام وتعال.

- ماذا تقصد بمطعم؟.

- المحل الذى يطهون فيه الطعام ويبيعونه للناس.

سعد الشبل كثيراً عندما سمع هذا الكلام وأخذ مبلغ من المال وانطلق يبحث عن مطعم، دخل المطعم وطلب لنفسه طعاماً فأحضر الطباخ الطعام وأعطاه له.

أكل الشبل الطعام ثم قال للطباخ:

أنا رجل بالغ ولست طفلاً، احضر لى وجبة كاملة وكافية.

أحضر الطباخ مرة أخرى طعاماً للشبل، فأكله وطلب طعاماً آخر، وهكذا، كلما أحضر له الطباخ طعاماً أجهز عليه تماماً، وفى النهاية قال الطباخ:

ليس لدينا طعام نهائياً.

قال الشبل:

حسنًا، قل لى ما هو حساب الطعام الذى تناولته لأدفع لك؟.

أعطى الشبل للطباخ مقداراً من المال أكثر مما قال به، ثم قال له: أعدّ لى فى الغد طعاماً جيداً، وليس من الضرورى أن تطهو اللحم كالمعتاد، بل فتنه داخل القدر حتى يشبعنى.

اهتم الطباخ بطلبات الشبل وقال: من عينى! سأقطعه وأجهّزه كما طلبت، وإن شاء الله سيعجبك عندما تأتى لتتناوله فى الغد.

فى صباح اليوم التالى، وبعد أن تبادل التحية مع والديه، أخذ الشبل طريقه إلى المطعم وهناك سأل الطباخ: هل أعددت الطعام؟.

قال الطباخ: نعم، إنه جاهز.

قال الشبل:

ليس من الضرورى أن تضع الطعام فى الأطباق، يمكنك أن تحضره بإناءه.

استدعى الطباخ بعض الأشخاص لمساعدته فى حمل الإناء الكبير، حملوه

ووضعه أمام الشبل؛

جثا الشبل على الأرض وأخذ يلتهم الطعام حتى أتى على آخره، و لعق أصابعه

ثم قال للطباخ:

ليرحم الله أباك، فقد كان الطعام على ما يرام، هكذا فى كل مرة أعدّه لى؛ والآن

قل لى ما هو حسابك؟.

دفع الحساب، واستمر على ذلك، يأكل كل ما يقدمونه له.

تناقل الناس خبر الشبل وطريقته فى تناول طعامه فقالوا: لو بقى الشبل هذا

بيننا عدة أيام أخرى فسيأكلنا أيضاً.

اجتمع الناس وقرروا أن يبلغوا الملك، فذهب بعضاً منهم إلى الملك وقالوا له:

ظهر بيننا فى هذا البلد إنسان يطلب من الطاهى فى المطعم أن يطهو له

الخروف أو العجل كما هو ثم يأكله فى نفس قدر الطهى بلحمه وعظامه، ولو لم

نفكر بأسرع ما يمكن فى طريقة لإبعاده من هنا فقد يلتهم وحده كل الأبقار

والأغنام آجلا أو عاجلا.

أمر الملك باستدعاء الشبل ليمثل أمامه، وعندما أحضروه عرفه الملك وعلم أنه هو الذى قتل ذاك البطل الذى أراد أن يطيح به من كرسى العرش، ولأن الملك كانت لديه معرفة سابقة عن قوة الشبل وشجاعته وقوة سواعده، وأنه ليس له فى ذلك ند يباريه، فقد بدّل الحديث معه، حيث قال له:

يا بُنى، أنت ساعدتني من قبل وقتلت عدوى، ولم تطلب منى شيئا، وكنت أود أن أعوضك بأحسن مما يخطر فى بالك.

قال الشبل للملك: ليس لدى مطلب خاص بى.

فقال له الملك: لتبقى معى، وأزوجك بابنتى، وتحكم الشعب من بعدى.

قال الشبل:

ليحفظ الله لك إبنتك وصحتك وتاجك وعرش مملكتك، وخرج من عند الملك وذهب إلى والديه، فقال له مُحمد:

إننا مكثنا هنا بما فيه الكفاية، فلنجهز أنفسنا للرحيل.

وافق الشبل وأخذوا طريقهم، واصلوا السير حتى وصلوا إلى مدينة قريبة من تلك التى خرج منها مُحمد وفيها والده؛ فجأة وقع نظر مُحمد على وزير أبيه بين حرسه الخاص، فناداه وهرع إليه، وما أن رآه الوزير حتى عرفه واستلم كل منهم الآخر بالأحضان والعناق والتقبيل والترحاب الشديد والسؤال عن الأحوال، والتفت الوزير إلى الشبل وقال: ابن من هذا؟.

قال مُحمد:

إنه ولدى، فاتجه الوزير ناحية الشبل وسلّم عليه وعندما أراد أن يعانقه بادره الشبل وأمسك بأذنيه وقطعهما، فغضب محمد لذلك ونهره وصاح به: ما هذا الذى فعلته أيها الشبل! إنه وزير أبى.

قال الشبل:

أنا ظننت لأول وهلة أنه يريد أن يصارعنى ويلقى بى على الأرض، فكنت أدافع عن نفسى.

تأسف محمد للوزير وقال له:

عفوا أيها الوزير، فإنه لا يفهم مثل هذه الأمور؛ والآن اذهب إلى أبى وأخبره بمجئنا، فسوف يغدق عليك بالعطايا ويعالج أذنك.
فى نفس الوقت ذهب الوزير بنفسه إلى الملك وبشره بقدوم ابنه محمد وأسرته.
قال الملك للخازن:

أعطِ الوزير كل ما يطلبه من الخزانة، فأعطوه من المنح والعطايا ما أنساه ألم أذنيه؛ فأخذها وهرع إلى منزله.

ذهب الملك فى صباح اليوم التالى ومعه الحاشية الملكية لملاقاة ابنه وأتوا به إلى القصر مكللين بالفرح والسرور وكل أنواع الزينة.
كانوا يقولون إن الشبل لم يتكيف مع البشر، لكن جده الملك عمل على تسييسه بالتدريج، حتى أنه لم يصبر على البعد عنه.

حسنا! دعونا نترك الملك والشبل فى شئونهم ونذهب لنتعقب أثر الدرويش.
كان الدرويش على حاله كما تركناه، حجراً أسوداً؛ وفى يوم من الأيام جاءت أمه لكى تطمئن على حاله فوجدته وقد تحول إلى حجر أسود، فقرأت عليه طلاسـم الدجل والتعاويذ فأعادته إلى حالته الأولى، فقال لأمه: أينما يكون محمد سأجده وأقتله، لأنه هو الذى فعل بى هذا.
قالت له أمه:

يا بُنى! إن محمد لديه ابن اسمه الشبل وقد قام على تربيته أسد، وأن السحر والطلاسم وأى أشياء أخرى لن تجدى معه نفعاً، فأخرج هذه الأفكار من رأسك.
قال الدرويش: لا، لن أتخلى عما فى رأسى وسأنتقم لنفسى، فلا يغسل الدم إلا الدم.

قالت له أمه:

إذا من الأفضل لك أن تبقى حجراً كما كنت، فطالما الشبل موجود فلن تستطيع تنفيذ انتقامك من محمد.

نعود الآن بسرعة، فقد ورد إلينا خبر عاجل، بأن ملك غريب قد هجم على مملكة والد محمد، وقد طلب من الملك أن يتنازل له عن العرش ليصبح هو صاحب المملكة؛ من يا ترى هذا الملك الغريب؟

- كان هذا الملك والد تلك الفتاة التي أخذها الدرويش وأصبحت فيما بعد زوجة محمد، وهو لا يعرف ذلك، وكان قد أرسل رسالة إلى والد محمد يطلب منه فيها أن يسلمه العرش والتاج في ظرف يوم واحد، يعرف الملك - والد محمد - جيداً أن ذاك الملك أقوى منه بكثير، لذلك لا يدرى بماذا يجيبه، وكان يجلس منحنيًا يلفه الحزن والغم، جاء إليه الشبل وسأله: لم أنت مهموم؟.

لم يستطع الملك أن يخفى حالته التي عليها، فقال له: يا بُنى، إن حالى سىء للغاية.

قال الشبل: لا بد أنك أصبت بنزلة برد، دعنى أدلك.

قال الملك: دلكنى قليلاً.

قام الشبل بتدليك ظهر الملك لفترة قليلة، وكادت عظام ظهره أن تتهشم، تألم الملك وقال:

كفى الآن، فقد شفيت وأصبحت أحسن حالاً.

عندما انتهى الشبل وهمَّ بالجلوس بجوار جده، لفت نظره رسالة على وسادة الملك فقرأها خلصة وعلم بمحتواها.

كان مكتوباً فيها:

لديك فرصة ليوم واحد فقط لكى تسلم لى الجزية والخراج عن السبع سنوات السابقة، وأن تتخلى عن العرش والتاج.

خرج الشبل دون أن يتحدث مع جده فى شىء، ولقى فى الخرج رجلا فسأله: ما معنى الخراج والجزية؟ وما معنى أن تتخلى عن المملكة؟.

قال له الرجل: إن جدك ضعيف، وأن الملك الآخر يطمع فى العرش والتاج ويريد أن يزيح جدك ليسيطر على مملكة.
قال الشبل:

أريد منك يا عم أن تأخذنى إلى ذلك الملك الذى أرسل هذه الرسالة.
قال الرجل:

إن ذهبت معك إلى هناك فسيمسك بى رجال الملك ويقتلوننى.
أمسك الشبل- الذى كان غاضبا بشدة- برقبة الرجل وضغط على وريده حتى صرخ وصاح:

آى، اترك رقبتى، سأذهب معك إلى.
أخذ الرجل الشبل إلى تل مرتفع وقال وهو يشير بيده ناحية خيام الجنود:
"أنظر، إنهم يعسكرون هناك، اسمح لى الآن أن أعود".
قال الشبل:

اسمع، أنا لا أمزح معك، اذهب إلى ذاك الملك الغريب وقل له إننا أحضرنا الجزية والخراج عن السبع سنوات السابقة كما طلبتم، فأصدر أمرا لجنودك بأن يأتوا معى ليحملوها إليك.
يعلم الرجل تماماً أنه لو نطق بكلمة أخرى فلن يسلم من يد الشبل، فقال فى نفسه:

إنهم لن ينزلوا الأذى بحامل الرسالة، فلأذهب، فلن يعتقلونى.
انطلق الرجل إلى الملك وقال له:

نحن أحضرنا لكم الجزية والخراج لسبع سنوات كما طلبتم، وهى فوق تلك التبة، فأرسل جنودك ليأتوا بها.

أرسل الملك جيشاً بقيادة أحد أبطاله إلى أعلى التبة، وهناك رأى البطل الشبل فسأله: أين الجزية والخراج؟.

قال له الشبل:

هى تحت وقريبة من هنا قليلاً، هيا تعال تقدم وخذها.

ما أن تحرك البطل قليلاً إلى الأمام حتى أطبق الشبل على رقبتة ورفع له لأعلى ودقه على الأرض دقة لم يستطع معها النهوض مرة أخرى، فأخذ سيفه واتجه إلى الجنود فأجهز عليهم جميعاً بالسيف إلا واحداً استطاع الفرار والنجاة بنفسه، فأتى إلى الملك ويرتعد من شدة الخوف وقال له: يوجد بطل هناك، قتل بطلك وكل من معه.

على الفور أصدر الملك أمراً بأن ينزل الجيش على رأس الشبل كالسيل العارم. واجه الشبل الجيش وقتل بعضهم وأسّر من بقى منهم على قيد الحياة، واقتاد الأسرى إلى ملكهم، وعندما رأى الملك هذا الوضع هم بالفرار فأمسك به الشبل وقيده بحبل واقتاد الجميع إلى حيث جده الملك، ونادى على جده: بابا، تعال إلى تحت، فقد جاء الذين يريدون أن يجلسوا مكانك.

نزل الملك من مكانه على كرسى المملكة ورأى الملك الغريب وقد ربط الشبل فى عنقه حبل وكذلك بقية الجيش المأسور، وسلم الشبل الملك لجده وقال له: مصيره الآن بين يديك، أنت حر التصرف معه.

وعندما اقتادوا الملك الغريب مقيد اليدين إلى السجن، رآته زوجة محمد فوقعت على قدميه لتقبلها وهى تبكى هق هق وتقول: آه يا أبى العزيز، لا تأخذوه إلى السجن، إنه أبى،

فحرروه من القيد وعانق الملك ابنته وفرحاً وابتهجاً لذلك كثيراً.

ذهل محمد لما رأى، وقد كان منشغلاً عن أمور المملكة، فسأل: ما هى الحكاية؟! ما هذا الذى يحدث؟.

قال الملك الغريب:

هذه ابنتى، كان الدرويش قد أخذها من قبل.

قال مُحمد:

عجيب هذا الموضوع، فابنتكم هذه هى زوجتى.

اعتذروا للملك واستقبلوه باحترام، واستضافوه حيث بقى معزراً مكرماً لعدة أيام.

ودع المضيفون الملك الغريب ورفاقه حين قرروا العودة إلى ديارهم.

طلب الشبل من جده أن يأذن له فى السفر لفترة من الزمن.

علم الفقير بخبر هذا السفر، وجاء بعد ذلك إلى منزل مُحمد، وما أن رأى مُحمد الدرويش عرفه فأسرع مع زوجته واختبأ فى حظيرة الدواجن.

قال الدرويش للملك:

لو لم تسلمنى مُحمد وزوجته فى التو والحال فسأخسف بك وبتاجك وكرسى مملكتك الأرض فى غمضة عين وأغادر.

لم يقبل الدرويش توسلات الملك ولم يرحم ضعفه أو عجزه، فقرر أن يخسف بالمكان كله ويذهب إلى حيث أتى.

لكن ماذا عن الشبل!

كان الشبل نائماً تحت شجرة على حافة نهر، فرأى فى منامه أن أباه يغرق فى بحر من الدم، فاستيقظ مذعوراً من نومه وفهم من ذلك أن أباه فى محنة، وأن هناك خطراً يهدده، فعاد مسرعاً إلى البيت وهناك رأى الدرويش، وما أن

تواجهها قال له الشبل:

مرحباً بك أيها الدرويش.

خاف الدرويش وتردد وقال بلسان متلعثم:

أنا عدت كما كنت الف..ق..ير وافتقدت أشياءى وجئت أبحث عنها...دع..دعنى

أذهب.

قال له الشبل:

لا تخف، لن أفعل لك شيئاً فقد كنت أبحث عنك فى الفضاء فوجدتك على الأرض.
لم يستطع الدرويش الهرب، فكلما حاول وجد الشبل يراقبه.
ذهب الشبل إلى جده يسأله عن أبيه وأمه، فقال له الملك:
بمجرد أن رأو الدرويش هرعوا وتواروا من الخوف، ابحت عنهم، قد تجدهم
هنا أو هناك.

بحث الشبل فى كل مكان حوله وفى النهاية وجدهم فى حظيرة الدواجن، غضب
كثيراً وقال: أكان على الإنسان من أجل ألا يسكب قطرة دم أن يختبئ فى
حظيرة دواجن؟! ما أقبح ما فعلتموه، أنتما الآن لستم أبواى، إن أبى وأمى
ليس من أنجبانى وتركانى إنما من ربيانى وحفظانى ونمّيانى.

جاء الشبل إلى الدرويش وصاح به قائلاً:

أذهب وأخرجهم من الحظيرة.

قال الدرويش وهو يرتعد من الخوف:

بالله عليك أتركنى أذهب من هنا فأنا لست ندا لأى أحد.

قال الشبل:

أنا أمرك أن تذهب وتخرجهم من الحظيرة.

لم ينطق الدرويش من الخوف وذهب ليحضر محمد وزوجته من الحظيرة،
وأمسك الشبل بكتفى والديه وهزهم بشدة وقال لهما: أنتما أخجلتمانى جداً
وجعلتمونى مطأطأ الرأس أمام الكل، فسيقولون إن والد الشبل ووالدته يفرون
من مواجهة العدو ويختبئون فى حظيرة الدواجن، ياليتنى لم أنفصل عن الأسد،
فالأسد لا يفر من مواجهة أى شخص.

أنهى الشبل كلامه وحمل والده وأطاح به لأعلى فى عنان السماء، وجاء جده

يتوسل إليه ويبكى ويقول له: أقتلنى أيضا يا بُنى حتى لا أرى موت ابنى أما م عيني، إرحم ضعفى، ولا تدع قلبى يتحسر على ابنى.

عندما رأى الشبل دموع جده رق قلبه وهدأ من روعه وطمأنه، فى نفس الوقت الذى كان أبيه يهبط من عليائه إلى الأرض استقبله الشبل فى الهواء على يديه وأوقفه على الأرض.

كان الدرويش الذى رأى ما يحدث أمام عينه متحيراً وأراد أن يهرب، لكن الشبل أمسك به وقال له:

إلى أين تفر أيها الملعون؟ إذا تمكنت من الخلاص منى الآن فسأبحث عنك وأجذك ومن ثم أطيح بك فى الهواء لتسقط عند أمك، وتجلس أمك لتأخذ عزائك. أمسك الشبل الدرويش من وسطه وأطاح به فى الهواء، فقطع مسافة السبع سنوات فى سنة واحدة ليسقط بجوار أمه بالضبط.

كان الدرويش يسير فى الهواء كسهم انطلق من قوسه، وكان الشبل يرافقه ويطير معه كطائر يطير فى الفضاء.

جمعت أم الدرويش سبعون قطعة من جسم ابنها المتناثر على الأرض، وكانت تقول وهى تبكى:

ألم أقل لك فى النهاية لا تذهب؟ كنت أعلم أنك ستقتل على يد الشبل؛ حتما سأقتص لدمك، ولو غاص الشبل تحت الأرض كالماء سأبحث عنه، وأجعله يسبح فى دمه.

خرج الشبل من مكانه الذى اختبأ فيه - حين هبط إلى الأرض- وأمسك بخناق المرأة العجوز وقال لها: كأنك تريدان أن تقتصى لدم ابنك، وهناك آلاف من الناس الذين سالت دمائهم وتحولوا إلى حجارة وتراب على أيديكم؛ ها أنا قد جئت إليك بقدى فاقتلينى إن استطعت.

صكت المرأة أسنانها وتشكلت على هيئة تنين كى تنتقم؛ أطبق الشبل بدون

خوف أو وجل على رقبة المرأة وعصرها، فتضرعت وتوسلت إليه حين رأت قوته وقالت له:

بالله عليك لا تقتلنى، فليس لى بك شأن، ولن أتعرض لك بعد الآن.
رفع الشبل المرأة العجوز - التى تحولت إلى أفعى وهو لا يزال ممسك برقبتها- إلى أعلى وأدارها فى الهواء عدة مرات، ثم أطاح بها بعيداً حتى سقطت فى جزيرة نائية فى نهر النيل، فقطعت بذلك مسافة السبع سنوات - سيرا على الأقدام - فى سنة واحدة وتفتت واختلطت بالتراب.

عاد الشبل ولملم حاجاته وذهب إلى والديه وقال لهم:
أنا لا أستطيع أن أعيش مع أبوين أخرجانى، فأبى وأمى هو الأسد.
لم تجدى تضرعات وتوسلات والديه معه أن يبقى معهم نفعاً؛ فى نفس الوقت الذى قرر فيه المغادرة سمع زئير الأسد، فنظر فى اتجاه الصوت فإذا بالأسد يأتى ناحيته، حمل الأسد الشبل وغاب به عن العيون، إلى أين هم يا ترى ذاهبون؟.

حتى الآن لا يعرف أحد عنهم أى خبر.

* * * * *

٥- الملك عباس والشقيقات الثلاث

ارتدى الملك عباس ووزيرهُ وردى خان ذات يوم ملابس الدراويش وأخذَا يتجولان فى طرقات المدينة، سارا وسارا حتى وصلا إلى منزل كبير، وهناك سمعا مدائح تنطلق من داخل هذا المنزل، ونظرا فرأوا ما يشبه العُرس، ورأوا فى جانب من المنزل ثلاث فتيات جميلات منشغلات بأنفسهم عن الجميع ويتسامرن مع بعضهن، فقال الملك لوزيرهِ:

هيا بنا نتخفى ونتسمع لما يقولون.

قال الوزير:

الملك هو صاحب القرار.

تواروا فى مكان قريب بحيث لا يراهم أحد وأخذَا يتصنتون .

سمعوا الفتاة الكبرى تقول:

أنا لو خطبني ابن الوزير فلن أتألم أبدا بقية حياتي.

قال الملك:

هيا استلم يا وزير فهذه لك أنت.

وسمعوا الفتاة الوسطى تقول:

وأنا لو خطبني ابن الوكيل فلن أحزن طوال عمري.

فقال الملك وهو يضحك:

وهذه ذهبت إلى الوكيل.

وقالت الصغرى:

أما أنا فلى رغبة أخرى فى حياتي وهى أن أشرب لبنا خالصا حتى لو تزوجني ابن راعى غنم، ولا يهم إن كان أصلع أوقبيح، لكن المهم هو أن أحبه ويُحبني أيضاً، ويأتى ليخطبني ونتزوج ، ونذهب فى رحلة، ويحمل متاعنا الملك عباس ووزيرهِ ووكيله على أكتافهم ، ونلقى بآلامنا وأحزاننا على رأس الملك ووزيرهِ

ووكيله، ولا يشرب أى واحدٍ منهم اللبن الخالص.

غضب الملك بشدة حين سمع هذا الحديث وقال: هذه الخسيصة التى لا تعرف قدرى، تدعوا ألا أشرب لبناً خالصاً، وتفضلّ علىّ الوضع والأصلع وغيرهم؛ إن لم أمزقها غداً قطعة قطعة فلن أكون جديراً بتاج أبى وكرسى المملكة.

كان الملك فى حالة هيجان حين عاد من هناك، وفى المساء اعتراه القلق حتى الصباح.

وما أن أشرقت الشمس حتى نهض وارتدى الزى الأحمر وجلس على كرسى العرش وأمر بأن يحضروا الفتيات الثلاث من ذاك المنزل إلى القصر.

أطاعوا الأمر وأتوا بالفتيات إلى حضرة الملك.

أمر الملك بعقد قران كلاً من البنت الكبرى على ابن الوزير، والبنت الوسطى على ابن الوكيل، ثم التفت بعد ذلك إلى البنت الصغرى وقال لها: أيتها الفتاة الوقحة! تكلمى لأعرف، كيف أكون أنا أقل قدراً فى نظرك من راعى الغنم والأصلع، وأن أحمل أمتعتك على كتفى، ولا أشرب أبداً شربة لبن نقية.

أخذ الملك يدق الأرض بقدميه بعصبيةٍ وصاح على الجلاد فحضر الجلاد فى التو والحال وألقى التحية على الملك ثم قال:

يا قبلة العالم، ءأمرنى؛ رأس من تعيس الحظ هذا التى سأفصلها الآن؟.

أشار الملك تجاه الفتاة وقال:

إفصل رأس هذه الفتاة، بحيث لا تسقط منها قطرة دم على الأرض.

ضحكت الفتاة وقالت:

حقاً إنك فى الواقع منحط وحقير.

قال الملك:

كيف تتجراين وتلصقين تهمة الانحطاط والحقارة بملك المملكة؟.

قالت:

لأنه ليس من المألوف من أى إنسان، فضلاً عن ملك أن يتخفى فى ركن ويسترق السمع لأحاديث الناس، فربما كان فى بيتنا أناس يتحدثون مع بعضهم بأسرار ولا ينتبهون إلى شخص غريب يتلصص عليهم؛ وبناءً على ذلك يُعتبر الاستماع خلسة على أحاديث الناس عمل منحط وحقير.

كان دم الملك يغلى من شدة الغضب، فأمر الجلاد:

إفصل رأس هذه الفتاة الوقحة بأسرع ما يمكن، واقطع لسانها أيضاً.

قالت الفتاة: هذه خسة كبيرة وعدم شهامة.

كان الملك يرتجف من شدة الغضب، وأخذ يهمهم ويتكلم بدون وعى: خسة، عدم شهامة! من أين فهمت ذلك؟.

قالت الفتاة:

فهمت ذلك، حيث أنك لا تقف فقط عند حد الخطأ الذى ترتكبه، بل تتجراً

وتتمادى إلى أبعد منه، فتأمر جلادك بأن يفصل رأسى عن جسدى، ويقطع

لسانى أيضاً، وأنا ليست لى إلا روح واحدة أسلمها لله، لكن تصرفك هذا يُعتبر

خسةً وندالة، وسوف تتداوله السنة الخاصة والعامة على مر السنين.

أدى الوزير واجب التحية للملك وقال له: تسلم لنا يا قبلة العالم، لو أصدرنا أمراً

بفصل رقبتها عن جسدها فسيتحدث الناس عنا كما قالت، ومن الأفضل أن تغضَّ

الطرف عن هذا العمل.

صاح الملك بغضب:

لو تفكر، أن أطلق سراح هذه الفتاة الوقحة والجريئة يكون هذا خطأ كبير.

قال الوزير:

تسلم أيها الملك، اصدروا أمراً بإبعادها عن المدينة، وعندما لا تجد مكاناً تذهب

إليه ستكون فى النهاية من نصيب الذئاب.

يعلم الملك فى نفسه تماماً أن الفتاة ليس لها ذنب إلا أنها تقول الحقيقة، لكنه

أخذ بنصيحة الوزير وأمر بإخراج الفتاة من المدينة ؛ سارت الفتاة فى طريقها،
قطعت الصحارى واجتازت الوديان والتلال والبوادر، وفى النهاية رأت على بُعد
شاباً أقرعاً، اقتربت منه وقالت له:

أين كنت يا فتى؟ من مدة طويلة وأنا أبحث عنك.

نظر الأقرع إلى الفتاة من أعلى إلى أسفل وقال لها وهو مندهش:
من أين تعرفيننى أيتها الجميلة؟.

قالت:

منذ سبع سنوات وأنا أراك كل ليلة فى منامى، ومن المرة الأولى التى رأيتك
فيها فى منامى أحببتك، وحُبُّكَ هذا حرمنى من أهلى ودارى وديارى ومدينتى
كلها.

همس الأقرع فى نفسه:

بارك الله لك يا الأقرع، عشت ورأيت أن فتاة أحببتك.

نظر مرة أخرى بدقة، فرأى أمامه فتاة ذات قدٍ رائع وجميلة جداً فقال لها:
آه، فى الحقيقة أنا أيضاً كنت أراك فى منامى، تذكرت ذلك الآن فقط.
سألته:

إذاً لماذا لم تبحث عنى وتقتفى أثرى؟.

رد عليها:

الآن فقط راودتنى فكرة أن أقتفى أثرك، لكن كنتُ لا أعلم أين أجدك، وحسناً،
فها أنت قد أتيت بنفسك.

قالت له:

نعم نعم، فهمتُ الآن؛ فى الحقيقة أنا جائعة جداً، ألا أجد عندك ما يؤكل؟.
قال:

حالا سأجهزه لك طعاماً.

عُرف أقرع قصتنا هذه بالأقرع البليد (أى الكسول)، والدليل على ذلك أنه لم يبذل جهداً يذكر فى إعداد الطعام لها، فقد أمسك بعنزة هزيلة كانت قريبة منه وقد تخلفت عن الركب، فصل رأسها وفتت لحمها ووضعها فى قدر على النار وبعد أن نضج أكل هو والفتاة.

قالت الفتاة:

حسناً، لقد تناولنا طعامنا، ماذا علينا بعد ذلك، هل سنبقى هنا؟.

قال :

لا، لماذا هنا، نذهب إلى بيتى.

قالت:

لا، ليس ذلك جيداً، عليك أن تذهب وحدك أولاً لتُخبر والدتك ثم تأتى لتأخذنى.

ذهب إلى بيته على مهل، وهناك قال لأمه:

يا أماه، لقد ارتبطتُ بفتاةٍ فاذهبى وأحضريها إلى هنا.

تعلمُ الأم جيداً عدم فصاحة ابنها ومدى كسله، فصرخت فى وجهه بعصبية: يا تعيس؛ أنت لا تستطيع رفع سجادتك من الماء وتريد أن ترتبط بامرأة، حظ أهلها سيء تلك التى ترتبط بك.

قال بإصرار:

يا أمى العزيزة! لا تعيدى هذا الكلام مرة أخرى وهيا بنا لنأتى بخطيبتى.

رأت الأم أن الأصلح لن يتوقف عن إصراره فرضخت للأمر وذهبت معه إلى الفتاة، وعندما رأت الأم جمال الفتاة انبهرت بها فظنت أنهم سيذهبون لخطبة ابنة أحد الأمراء أو الوزراء، فقالت له: أيها الولد اللعين، ألم تكن قد تحايلت على هذه الفتاة الجميلة بلباقة لسان حتى توافق على الارتباط بك؟.

قال:

لا يا أمى العزيزة! هى رأتنى فى منامها وأحبتنى، أنا أيضاً قد رأيتها من قبل فى

منامى.

اصطحب الابن والأم الفتاة معهم إلى البيت.

رأت الفتاة أن الأقارع كسول جداً، ولا يهتم بالعمل ولا يبالي بالحياة، وعندما يهم بأى عمل لا ينيهه على الوجه الأكمل.

أعطت الفتاة كل ما تملك من ذهب وجواهر وأموال للأقارع وقالت له:

عليك أن تذهب إلى السوق وتبيع هذه المجوهرات وهذا الذهب وتشتري بثمنها ثورين وتأتى بهما إلى هنا.

أنجز الأقارع ما طلب منه وأحضر الثورين إلى المنزل.

قالت له الفتاة:

اربط الثورين بالمحراث وقم بحراثة أرض آبائك وأجدادك وانثر البذور، وعلمته فنون العمل وسر المهنة، فربط الثورين فى المحراث وانشغل فى تهيئة الأرض للزراعة، فكان يقوم بحراثة ناحية من الأرض وزراعتها ثم يقوم بعد ذلك بحراثة الناحية الأخرى وزراعتها حتى انتهى منها كلها عند الظهر.

كان محراثه قد تعثر بحجر أثناء العمل، فأزاح الحجر عن مكانه فإذا تحته فتحة، فنظر فيها فوجدها مملوءة ذهباً، فأعاد الحجر إلى مكانه واستكمل عمله ثم عاد ومعه الثورين إلى المنزل وأطلع فتاته على ما حدث.

قالت الفتاة العاقلة:

لو أردت أن تحضر الذهب كله مرة واحدة فسينتبه إليك الجميع، إذاً أنصت جيداً لم أقول؛ عليك فى كل يوم تأخذ المحراث معك وتنشغل فى فلاحه الأرض ثم تملأ الخرج بالذهب وتعود آخر النهار، وهكذا يمكنك نقل الذهب كله دون أن يلتفت إليك أحد.

أخذ الأصلع بالنصيحة، فقضى عشرة أيام حتى انتهى من نقل كل الذهب إلى المنزل.

ذات يوم قالت الفتاة العاقلة للأقرع:

عليك أن تبحث لنا عن بناء ماهر وتحضره إلى هنا.

ذهب الأقرع وعاد وبصحبه أفضل أسطى ببناء في المدينة.

قالت الفتاة للبناء:

يا أسطى، أريدك أن تبني لى عمارة من أربعين غرفة، وترسم على جدران كل
غرف أربعون رسما متنوعا وجميلاً، وتضع فى كل غرفة أربعون شيئا مختلفاً،
ويكون لكل غرفة باب، وأن تؤدى كل هذه الأبواب فى النهاية إلى باب العمارة.
قال الأسطى:

النقود يا سيدتى، هى التى تقيم الدنيا وتقدها وهى التى تصنع كل شيء، فإن
كان معك نقود فسيكون كل شيء على أفضل ما تودين.

قالت:

كل ما ستطلبه ستجده بإذن الله.

تم اختيار مكان البناء وأعطت البناء مبلغاً من المال تحت الحساب فبدأ عمله
على الفور، وبعد انقضاء عام كان البناء قد انتهى من بناء العمارة المطلوبة
وتحصل على باقى التكاليف.

قامت الفتاة بتوظيف أربعين خادمة فى هذه العمارة، وارتدت الخادومات ملابس
بلون الغرف، بحيث لا يمكنك تمييز الخادمة من الغرفة التى هى فيها.
ذاع صيت العمارة فى كل مكان فهرع الناس من أنحاء المملكة لمشاهدتها،
ووصل المدح والثناء عليها إلى أسماع الملك عباس فقال لوزيره:
يا وزير، هيا بنا نرتدى ملابس الدراويش وننطلق لنرى تلك العمارة التى
يمدحها الجميع ويثنون عليها.

انطلق الملك ووزيره فى ملابس الدراويش حتى وصلوا -أخيراً- إلى مكان
العمارة، كانت على قدر كبير من الروعة والجمال مما أعقد لسانهما عن الكلام.

قال الملك للوزير يسأله:

هل تم صنع هذا البناء الجميل والفخم بيد إنسان؟ قد يوجد مثل هذا البناء الجميل، لو نستطيع رؤيته من الداخل سيكون أفضل.

كانت الفتاة تطل من الشرفة ووقع بصرها على الملك عباس ووزيره وهم بلباس الدراويش فعرفتهم، ونادت على خادمتها وقالت لها:

اذهبي إلى أولئك الدراويش القادمين وانظري ماذا يريدون، وادعيهم إلى هنا إذا كانوا يريدون الضيافة.

ذهبت الخادمة وقالت لهم:

ما تريدون هنا أيها السادة؟

قال الملك:

نحن ضيوف على باب الله.

قالت:

تفضلوا، يوجد مكان هنا للضيوف في هذه العمارة.

أخذتهم الخادمة إلى أول غرفة في العمارة، وعندما دخلوا قام الملك بتحريك باب صغير ونظر فقال للوزير:

هذه بدايتها فاصبر حتى نرى آخرتها.

قدموا لهم شاي وفاكهة وحلوى.

نظر الملك عباس فرأى الخادمت تمر أمامه واحدة واحدة ذهاباً وإياباً فقال: ما كل هذا يا وزير! أنا الملك وليس لدى مثل هذا العدد من الخدم.

قال الوزير:

يا قبلة العالم، أنا مثلك مندهش.

بعد أن أكلوا وشربوا جاءتهم الخادمة وقالت لهم:

من فضلكم أيها الدراويش، غادرا هذه الغرفة إلى غرفة أخرى.

قال لها الملك:

يا هانم، لم ننته بعد من مشاهدة كل محتويات هذه الغرفة حتى ننتقل إلى غرفة أخرى.

قالت:

اتبعاني لو سمحتم.

سارا خلفها، وما أن وصلا إلى جدار الغرفة الأخرى حتى تحرك الباب، ففتحه الملك والوزير ودخلا إلى الغرفة.

اندهش الملك وأصابته الحيرة وقد ألقى هو والوزير نظرة في الغرفة فرأوا أن ألوانها تختلف تماما عن الغرفة السابقة، كما لاحظا أن جميع مقتنيات الغرفة قد صُنعت من الذهب.

هكذا كانوا يصطحبوهما كل يوم إلى غرفة أخرى.

في نهاية الأمر قال الوزير:

أيها الملك، ماذا ستفعل الآن؟ هل سيطيب لنا البقاء هنا؟.

قال الملك:

طالما لم نكتشف سر هذا البناء، فلن نغادر من هنا قبل أن نعرف من صاحبه!.
حتى هذه الأثناء لم يكونا قد رأوا إلا تسعة وثلاثون غرفة، وبقيت غرفة واحدة لم يشاهدها بعد، وكانت كل الغرف التي رأوها من قبل في نظرهم كالجنة، ولم يكن قد رأوا مثلها حتى في المنام.

حان وقت الغداء ودخلت الخادمة الغرفة وقالت لهم:

أيها الدراويش ، إن الهانم أمرتني أن أسألكم عما تطلبون؟

قال الملك:

نريد أن نلتقى مع صاحبة المكان ونحدث معها، أليست هي سيدة؟

قالت:

نعم، صاحبة هذه العمارة سيدة، ولا تستطيع مقابلتكم فى هذا الوقت بالذات.
قال:

أمر عجيب جداً! أبلغى سيدتك أننا لن نأخذ من وقتها الكثير، نريد فقط التحدث معها قليلاً.

أبلغت الخادمة سيدتها برغبة الضيوف.
قالت لها الفتاة العاقلة:

قولى لهم أننى أود التنزه الآن فى الحديقة وسأنقل أغراضى إلى هناك، لأنه لا يوجد معنا فى العمارة رجال، وإذا لم يكن لديهم مانع إما أن يأتوا معنا أو ينتظروا بعد عودتى لنتحدث سوياً.

عادت الخادمة أدراجها ونقلت رسالة الفتاة إلى الدراويش.
توجه الملك ناحية الوزير وقال له:

لا يعرفنا هنا أحد، فهيا نذهب معها ونحمل عنها أمتعتها فقد نكتشف سر هذه العمارة وصاحبيتها.

قال الوزير: فداك، أنتم صاحب القرار، ولن أعترض، فلنذهب.
قال الملك للخادمة:

أبلغى الهام أنه ليس لدينا مانع أن نأتى معها، وسنحمل عنها أمتعتها إلى الحديقة.

كانت الفتاة قد أعدت وجهزت لفافتين من القماش، كل واحدةٍ منهما كانت تزن حوالى عشرة كيلو جرامات، قامت الخادمة بضم اللفافتين إلى بعضهما؛ وقفت الفتاة بجانب اللفافات وذهبت الخادمة إلى الملك عباس والوزير وقالت لهما: أيها السادة تفضلاً فالسيدة تنتظركم .

وصل الملك والوزير إلى أسفل العمارة فرأوا اللفافتين الكبيرتين، وقام الخدم بوضع إحدى اللفافتين على ظهر الملك والأخرى على ظهر الوزير، وبعد قطع

مسافة من الطريق تصيب كل من الملك والوزير عرقاً من الرأس والوجه؛ كانت الفتاة ترشدهم إلى الطريق الأبعد في الحديقة بقصد إرهابهم، فوصلا متعبين ومرهقين وقامت الهانم بمساعدة الخادمت بإعداد حفل، فأكلوا وشربوا وتمتعوا حتى العصر، وعند الغروب جمعوا كل حاجياتهم وأمتعته مرة أخرى وربطوها استعداداً للعودة، وطلبوا من الدراويش قبول مشقة إعادتها مرة أخرى إلى المنزل، فوافقا دون تردد وقاما بإيصال الأمتعة وهم في حالة لهات وصب العرق، وما أن وصلا إلى المنزل حتى هرعا إلى حجرتهم (التاسعة والثلاثون) وذهبت الفتاة إلى الغرفة الأربعون.

بعد أن استراحوا جميعاً أرسلت الفتاة خادمتها إلى الدراويش تدعوهم لمقابلتها والتحدث معها كما وعدتهم من قبل .

جاءت الخادمة إلى الملك والوزير واصطحبتهم إلى هناك، فأوا، وما أروع ما رأوا، فكل ما رأوه كأنه رؤيا منامية، كانت الفتاة تجلس وسط أزهار متفتحة ومتألأة وحولها الجواهر والياقوت والدرر، كان الملك والوزير في حالة دهشة وحيرة، فظنا أن كل هذا إنما هو أسطورة من الأساطير التي كانوا يسمعون عنها.

رحبت بهم الفتاة وقالت وهي تبتسم:

أهلاً وسهلاً ومرحباً أيها الملك عباس وأيها الوزير وردى.

قال الملك وهو في حالة اضطراب و حيرة من أمره:

لا يوجد هنا ملك اسمه عباس ولا وزير اسمه وردى، لقد اختلط عليكم الأمر.

فقالت الفتاة ببرود أعصاب:

إذا أردتم أن تخفوا عنا حقيقة أمركم فلا داعى لأن نجلس سوياً ونتحدث.

قال الملك- وهو يحاول السيطرة على أعصابه-:

إنما نحن دراويش من أصفهان.

قالت:

حسناً جداً شرفتمونا، يمكنكم المغادرة الآن.

فهم الملك من ذلك أن الفتاة كشفت أمرهم، ولا داعى للإنكار أو إخفاء الحقيقة.

فقال فى نفسه:

الفتاة أصابت الحقيقة، ولا بد الآن من توضيح أمرنا.

قالت الفتاة:

أيها الملك، أخبرنى عما فعلتموه بالفتيات الفضليات، تمت إحداهن أن تتزوج

بابن الوزير، وتمنت الأخرى أن تتزوج بابن الوكيل، والصغرى تمت لو تتزوج

بشربة لبن نقية ويكون الملك والوزير أيضا فى خدمتها.

هل تذكرت الآن؟.

قال:

عقدت للكبرى على ابن الوزير، وعقدت للثانية على ابن الوكيل، وطردت

الصغرى.

قالت:

أيها الملك، لتعلم أننى أنا تلك الفتاة التى طردتها، وقد حصلت على رغبتى؛ فقد

تزوجت بشربة لبن نقية، وكنتم أنتم كخادمين لنا، حملتانا على أكتافكما؛ وقد

استخدمتكما فى هذا العمل بالذات ليكون ذلك لكم عبرة ودرس لا ينسى، حتى لا

تتلصصوا على بيوت الناس مرة أخرى وتسترقوا السمع لتطلعوا على أسرارهم.

قال:

حسنا يا عزيزتى الفتاة، أرينا كيف أصبح صاحب هذا القصر أكثر احتراماً

ووقاراً؟.

أمرت الفتاة بأن ينادوا على زوجها ليتعرف على الملك والوزير؛ وقالت:

أنظروا، بالمشقة والجهد الذى عانىناه أنا وزوجى أصبح هذا البيت وهذه الحياة

التي نعيشها حقيقة، فبناءً الحياة على قواعد راسخة وقوية لا يتم إلا بالعمل الجاد.

قال الوزير: أهدرت كرامتنا يا قبلة العالم، فبعد سنوات فى الوزارة وفى النهاية أعمل كخادم وشيال وبدون أجر أيضاً.
قال الملك لصاحبة المنزل:

لى عندك طلب، هو ألا تخبرى أحداً عن مجيئنا إلى هنا وعمّا حدث معنا.
قالت:

حسناً، لكم ما تريدان.

سألها:

هل أعتبر هذا وعد منك؟.

أجابت:

نعم ، على أن تعاهدونى أيضاً ألا تتدخلوا فى شئون الناس، ولا تتجسسوا عليهم ولا ترهبوهم، وأن تتعاملوا معهم بالصدق وال صداقة.

ودّع الملك والوزير الهانم سيدة البيت وعادا أدراجهما إلى القصر الملكى، بعد أن تعاهدا على ألا يتجسسا على أحدٍ أبداً.

* * * * *

٦- حكاية الملك جمشيد

فى العصور الغابرة، كان يعيش ملك له زوجتان، الأولى منهن كانت إبنة ملك، أما الأخرى فكانت من عامة الشعب، وكان له من الزوجة الأولى ولدان؛ الإبن الأكبر منهما كان اسمه "الملك محمد" والثانى اسمه "الملك أحمد"؛ أما الزوجة الأخرى فقد أنجبت له الإبن الثالث -الأصغر- واسمه "الملك جمشيد".

كان الملك جمشيد بهى الطلعة، قوى البنيان، عاقل وعالم، لكن كانت أخوات الملك دائما ما يكيدون المكائد، ويسعون بالدسائس وإثارة الحقد والحسد والبغضاء بين الملك من ناحية وبين جمشيد وأمه من ناحية أخرى لإبعادهم عن القصر وعن عيون الملك.

كان أولاد الملك من زوجته الأولى يعيشون فى رغدٍ من العيش والترف واللهو والسرور.

كان لدى الملك جمشيد بستان من أبيه، وكان يعيش فيه مع أمه. فى يوم من الأيام إستلقى جمشيد- من فرط التعب بعد يوم عمل شاق- تحت شجرةٍ وراح فى نومٍ عميق، فرأى فى منامه طائراً عجيباً، رأسه رأس فتاة جميلة، وجسده جسد عصفور، وكان يقفز من فرع إلى فرع على الشجرة ويغرد بصوت جميل؛ أراد الملك جمشيد أن يمسك به لكن الطائر قال بلسان الآدميين: أيها الملك جمشيد، أنت لا تستطيع الإمساك بى، فأنا خادمة ملكة الكون، السيدة جهان أفروز، وإسمى "الطائر الضاحك"، ومكانى عند عرش سليمان. فى ذات اليوم أيضاً رأى الملك رؤيا؛ رأى الملك طائراً غريباً، رأسه رأس فتاة جميلة وجسده جسد طائر، وكان يقف على سور الحديقة.

أراد الملك أن يمسك بالطائر فقال له الطائر: أيها الملك، أنت اليوم ستصاب بالسكر والشعوذة، وإذا لم يستطع أحداً من رجالك الإمساك بى وإحضارى

أمامك فلن تشفى من هذا المرض أبداً.

وقبل أن ينطق الملك بأى كلمة رفرف الطائر بجناحيه وطار بعيداً.

نهض الملك من نومه مذعوراً، وصاح فى كل أفراد القصر أن يأتوا أمامه بأسرع ما يمكن.

قال لهم الملك: أيها الوزير، أيها الوكيل، يا أفراد الحاشية، ويا كل من يحبني، فكّروا معي ودبروا لي؛ رأيت فى منامي طائراً فأحضروه لي، ولو لم تحضروه فلن أتخلص من آلامى وأمراضى.

أرادوا أن يسكتوه فلم يستطيعوا فظنّوا أنه قد أصيب بالجنون.

طلب أبناء الملك- محمد وأحمد- من أبيهم أن يأذن لهم فى السفر للبحث عن ذاك الطائر؛ سمح لهم الملك فخرج الولدان فى حاشية من الفرسان واستقلوا طريق السفر.

من ناحية أخرى، جاء الملك جمشيد إلى أمه وقال لها:

يا أمى، إذهبي إلى أبى واطلبي منه أن يأمر لي بتجهيز حصان سريع وطاقم من ملابس البطولة أو أذهب بنفسى، فإمّا أنجح فى المهمة أو أهلك فى الطريق. نهضت الأم مسرعة إلى الملك ونقلت إليه كل ما قاله جمشيد، لكن الملك لم يأبه لكلامها، فذهبت من هناك إلى بيت أهلها وقامت ببيع حديقة لها واشترت بثمنها حصان سريع، كما اشترت طقم من ملابس البطولة، وسيف ودرع وسهم وقوس، ووضعت كل ذلك تحت تصرف ابنها.

إرتدى الملك جمشيد الملابس، وحمل السيف والدرع والسهم والقوس، وامتطى حصانه السريع وخطا به على طريق طويل وملء بالحوادث والمخاطر.

نظرت الأم على ولدها وهو فى زى البطولة وقالت له:

تصحبك السلامة يا ولدى، وأتمنى لك التوفيق فى حياتك وألا تقابلك مخاطر.

أسرع جمشيد بالحصان حتى وصل إلى مسافة بعيدة على الطريق، وسار وسار

حتى وصل إلى مفترق طرق، فوجد خيمة أخويه (محمد وأحمد) وقد نُصبت على جانب من الطريق، وكانوا هم من همكين في جدال ونقاش حاد، ثم تحول النقاش إلى شجار، فدخل عليهم الملك جمشيد وقال لهم:

أخبروني لأرى، ما الموضوع الذى جعلكم هكذا تتشاجرون مع بعضكم؟. أشار الملك محمد إلى صخرة سوداء كبيرة قابضة وسط مفترق الطريق، فذهب إليها الملك جمشيد وقرأ ما هو مكتوب عليها، كان مكتوبا عليها:

كل من يسير فى الطريق الأيمن يعود سالماً غانماً، وكل من يتنكب الطريق الأوسط سيكون فى انتظاره مصائب وبلاوى، وكل من يتجه يساراً فلن يعود أبداً.

بعد أن قرأ الملك جمشيد هذه الكتابة عرف سبب الشجار الذى وقع بينهما، وقال: الملك محمد أخانا الأكبر، وواجب علينا احترامه، فهو يذهب فى الطريق الأيمن، والملك أحمد يتنكب الطريق الأوسط، أما أنا فسوف أتجه يساراً، وقبل أن تغادر هذا المكان يضع كل واحدٍ منّا علامة بإسمه تحت الصخرة السوداء، وكل من يعود منّا إلى هنا يأخذ علامته فيعرف الباقي أنه عاد.

وافقوا على ذلك فوضع كل منهم خاتمه تحت الصخرة وانطلقوا.

انتظر الملك محمد والملك أحمد حتى يغيب الملك جمشيد عن الأنظار، ثم عاد الملك أحمد ولحق بشقيقه الملك محمد فى الطريق الأيمن وسارا سوياً.

مشى الملك جمشيد وقطع مسافة بعيدة حتى وصل إلى قلعة بجوار البحر، وقد بُنى حولها سور عظيم؛ دار الملك جمشيد حول القلعة لكنه لم يعثر على طريق ليدخل منه إلى داخل القلعة فقرر أن يقفز إلى أعلى السور، فألقى بحبل وتمسك به وصعد عن طريقه ونزل داخل القلعة.

كان فى القلعة أشياء ثمينة وأمتعة، وكان أعلى ما فى الدنيا قد وُضع هنا.

فجأة رأى الملك جمشيد أربعة أحصنة، كانت مربوطة فى ركن، قامت بكسر

قيودها وهجمت عليه فقام بالإمساك بها واحداً تلو الآخر وأعادها إلى مكانها مرة أخرى وقيدَها، ثم تلفت حوله فرأى غرفة بداخلها صندوق كبير ومغلق، فتحه فوجد فيه لوحة مكتوباً عليها:

أيها الملك جمشيد، فى هذه القلعة تسكن ساحرة عجوز مأكرة، وهى أخت الجان الأبيض، فلا تخف منها ولا من حيلها وطلاسمها ومداهناتها.

دخل الملك جمشيد غرفة أخرى فوجد فيها عجوزاً وكأنها تكنس الأرض من حولها، وكانت تمسك بيدها سبع طلقات محشوة خيوط، كل طلقة لها لون. وما أن رأت العجوز الملك جمشيد حتى قامت بتقطيع طلقة الخيط الأسود ونثرتها فى المكان فتحول المكان كله إلى سواد وظلام حالك، فسحب الملك جمشيد سيفه ووقف متأهباً ومستعد لتقطيع أى شئ يتحرك ولو كانت زبابة، لكنه لم يخشى ألا عيب تلك الساحرة؛ ولما رأت العجوز أن حيلها وطلاسمها لم تجدى نفعا مع هذا الشاب، قامت بتقطيع كل الرصاصات التى معها وألقته فى اتجاه الملك جمشيد، فانطلقت نيران بيضاء وحمراء وخضراء وصفراء وكانت تهجم عليه بشكل لولبى، لكنها لم تضره؛ فعرفت العجوز من هذ أن كل سحرها وطلاسمها لم ولن تجدى نفعا مع الملك جمشيد، فأخذت تتوسل إليه بالمداينة والكلام المعسول وقالت له: يا بُنى! يا جمشيد، أنا كنت أختبرك، فمرحبا بك وأتمنى أن تبقى معى هنا، وستكون مطمئناً وسوف أساعدك.

وأثناء حديثها مع جمشيد، كانت العجوز تقترب رويدا رويدا منه، وكلما اقتربت أكثر كان جمشيد يشعر بالحرارة أكثر، حتى ظن أنه سيحترق، وفجأة تذكر الكتابة التى كانت على اللوحة ، وعلى الفور أمسك بخناق العجوز الساحرة ونزل بالسيف على رأسها، وبضربة واحدة سقطت على الأرض وساد المكان ظلام حالك، ووصلت إلى مسامعه ضوضاء وجلبة وأصوات عجيبة، فقد قامت العجوز الساحرة بإبطال سحرها وطلاسمها وأنهت حياتها.

ذهب جمشيد ليبحت عن باب القلعة فوجده وخرج منه وأغلقه خلفه، وامتطى حصانه وانطلق فى طريقه، واصل السير شهوراً وسنوات حتى وصل إلى قلعة أخرى فدخلها بطريقته وقام بتفتيشها، وأول غرفة دخلها وجد فيها فتاة جميلة، ذات حواجب محدبة، وعيون بلون زهرة النرجس، ولها جدائل طويلة، وكانت معلقة فى السقف من شعرها، فقام الملك جمشيد بفك صفائرها وأنزلها إلى الأرض، فقالت الفتاة: أهلاً بك ومرحباً يا جمشيد؛ إن صاحب هذه القلعة هو العفريت الأبيض، لو أن طائراً مرَّ من هنا لقص جناحيه، ولو أن حصاناً خطأ هنا لقطع ساقيه، فكيف وصلت بنفسك سالماً إلى هنا؟.

قال الملك جمشيد: من أين لك أن تعرفيننى؟.

قالت الفتاة: كان هنا أخوين وأختهما، ومن المؤكد أنك قتلت أختهما، وإلا ما كنت تعرف أن تأتِ إلى هنا.

قال الملك جمشيد:

متى يعود العفريت إلى هنا؟.

قالت الفتاة:

الآن وقت عودته.

ما أن أنهت الفتاة جملتها حتى سمعوا صوت كالرعد يصم الآذان، حيث صاح العفريت الأبيض بصوتٍ جهورى مخيف: إني أشمُّ رائحة آدمى هنا.

خرج الملك جمشيد من الحجرة، وما أن رآه العفريت حتى صاح به قائلاً: أحسنت يا ملك جمشيد إذ أتيت إلى قلعتى، فسأمزق لحمك قطعة قطعة وأريق دمك، أين كانت أختى السحرة حتى تستطيع أنت أن تصل إلى هنا؟.

قال الملك جمشيد:

الرجال الشجعان يمسون ألسنتهم عند القتال، ويطلقون أيديهم، وأنا بضربة سيف واحدة أوصلت أختك الساحرة إلى جهنم، وسأرسلك حالاً إليها.

بنظرة واحدة فتت العفريت ثلاثة أحجار كبيرة، كان قد اقتلعها من الطاحونة التي كانت فى ركن من أركان القلعة، ورفعها على رأسه بكل قوة وقذف بها على رأس الملك جمشيد، فرفع الملك جمشيد درعه إلى أعلى فارتدت الحجارة مرة أخرى ناحية العفريت، وعندما رأى العفريت هذا الوضع قرر الفرار من شدة الخوف، لكن على الفور، سحب الملك جمشيد سيفه وأغمده فى قلبه فخرج سن السيف من ظهره، فصرخ العفريت صرخة مرعبة وسقط على الأرض وسبحَ فى دمه.

اندهشت الفتاة التى كانت تشاهد المشهد من شجاعة وبطولة الملك جمشيد وأطلقت لسانها بكلمات الإستحسان والشكر والتمجيد ثم قالت:

هيا بنا نفر من هنا إلى مكان آخر، وكل أملاك وثروة الساحرة العجوز فى هذه القلعة، وقبل أن يعلم العفريت الأسود بالخبر، نأخذها ونخرج من هنا فوراً.
قال الملك جمشيد:

يجب أن أذهب لأقتل العفريت الأسود، ثم بعد ذلك أذهب إلى عرش سليمان لأجد الطائر الضاحك وأذهب به لعلاج والدى، عليكِ لو أمكنكِ، أن تساعدینى وترشدینى على الطريق.

قالت الفتاة:

عرش سليمان هناك، عند المكان الذى تشرق منه الشمس، وهناك يوجد مكان العفاريت، وهناك تقع مملكة السيدة الملكة جيهان أفروز، ابنة الملك بريّان، وذاك الطائر إسمُهُ " طائر الملكة ذو الصوت الجميل"، حيث هناك لم تطأ قدم أى إنسان حتى الآن، لأن حرارة الشمس هناك تحرق، والرماد يخنق؛ وتلك الفتاة عندها جيشٌ كبير من الجنّ والشياطين، بحيث لو اجتمعت كل جنود العالم وكل واحد منهم بطل مثلك، ما استطاعوا التغلب عليهم؛ وأنا لا أستطيع أن أدلك على أى طريق إلى هناك، لكن أختى الأكبر أسيرة لدى العفريت الأسود؛ وإذا

استطعت أن تُخلّصها من قبضة هذا الجنّي الخسيس فإنها قد تستطيع مساعدتك.
ودّع جمشيد الفتاة وأخذ طريقه إلى قلعة الجان الأسود.

فى عدة أيام وليالى من التعب والانهاك قطع فيها طريق غير ممهد، وصل الملك
جمشيد إلى قلعة الجان الأسود.

هناك أيضاً وجد فتاة جميلة، وكانت مُعلقة من ضفائرها الطويلة فى السقف،
فأنزلها على الأرض وسألها عن مكان العفريت الأسود.

قالت الفتاة: إن روح العفريت ليست فى جسمه، لكنها فى زجاجة والزجاجة
داخل علبة من الفولاذ وهذه العلبة موجودة فى إحدى الغرف فى أعلى القلعة
ومُحكمة الغلق.

أخذ جمشيد إحدى رماح العفريت وصعد به إلى أعلى برج فى القلعة، وفتح باب
الغرفة وكسر قفل الصندوق الفولاذى بالرُمح وأخذ الزجاجة وسَلَّمها للفتاة وقال
لها: أنا لا أريد أن أستمّد الشجاعة من روح العفريت، أنا أريد أن أبارزه وجهاً
لوجه.

نظرت الفتاة إلى زجاجة حياة العفريت التى فى يدها وقالت لجمشيد: يجب أن
نحافظ جيداً على هذه الزجاجة التى فى أيدينا، لأنه لن يستطيع أى أحد،
غير العفريت الأسود أن يدخلك إلى عرش سليمان، والمسافة من هنا حتى عرش
سليمان مدتها أربعون يوماً، لكن العفريت فقط يستطيع أن يقطعها فى ليلة
واحدة ذهاباً وعودة.

يجب قطع المسافة فى الليل، وإلا لو أشرقت الشمس على أحدٍ هناك لأحرقته،
وأنا أحتفظ بزجاجة روح العفريت، وسأطلب منه أن يقطع معنا عهداً وميثاقاً
بأن يأخذك إلى هناك و يعود بك سالماً، وإمّا سألقى هذه الزجاجة فى النار.
قال لها جمشيد: العفريت مغرور، وسيرفض هذا العرض.

قالت: لمَ؟! لو عاهد فسيفى بعهد، لأن زجاجة حياته بين أيدينا؛ ولخوفه على

حياته لن يؤذينا، علينا الآن أن نوقظه من نومه ونريه الزجاجة.
أحضروا كمية من الحطب وأشعلوا فيها النار ووقفت الفتاة بجوار النار وذهب
جمشد وأيقظ العفريت... وما أن رأى العفريت الزجاجة فى يد الفتاة حتى أخذ
يتضرع ويبكى، وقال لها:
بُنيتى العزيزة، إعطنى هذه الزجاجة وأنا أفعل من أجلك كل ما تريدن.
قالت له:

أقسم بأمك أن تأخذ الملك جمشيد إلى عرش سليمان وتعود به سالماً غانماً، وأنا
أيضاً سأقسم على أن ألقى بزجاجة حياتك هذه فى النار، لو أصابه أى ضرر.
أقسم العفريت؛ وحمل معه جمشيد، وأخذاً طريقهما، فوصلا إلى عرش سليمان
فى نصف ليلة.

كانت المدينة تقع تحت الأرض؛ عند بوابة المدينة تقف العفريت وقال لجمشيد:
تقدم أنت وأنا سأنتظرك هنا؛ وأشار له على الطريق المؤدى إلى العرش.
كان فى القصر عُرْف كثيرة؛ بدأ يبحث فى العُرْف، وعندما دخل إحدى العُرْف
رأى الطائر الضاحك فى قفص ذهبى فوق الباب وكان يصيح، فقال له الملك
جمشيد: أيها الطائر الجميل، لا تصرخ؛ إتَّفَقْ معى، فقد جئتُ من أجلك.
سكت الطائر؛ ونظر جمشيد فرأى فتاة جميلة، كانت نائمة على سرير من ذهب،
هذه الفتاة كالحورية ليس لجمالها مثل، وكالمثل المعروف "كالقمر ليلة أربعة
عشر" ولها أربعون ضفيرة، وكل ضفيرة موضوعة فى طبق وكانت غارقة فى
نوم عميق.

بُهِت جمشيد عندما رأى كل هذا الجمال، وفى نفس الوقت تذكر أنه يجب عليه
أن يغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن، فكتب رسالة ووضعها تحت وسادة الفتاة
وأخذ الطائر الضاحك معه ووصل إلى العفريت الأسود عند البوابة؛ حمله
العفريت فى نفس الليلة وعاد به إلى قلعته.

بمجرد أن هبط العفريت على الأرض بالملك جمشيد، ألقت الفتاة بزجاجة حياة العفريت فى النار، فصرخ العفريت الأسود صرخة خروج الروح وتدحرج على الأرض، وتحول إلى دخان وتناثر ثم غاب فى السماء.

قال جمشيد للفتاة:

لماذا فعلت ذلك؟ إنه كان لطيفاً معى، ولم يسبب لى أى أذى.

قالت الفتاة:

مهما يكون العدو حسناً فهو عدو، بالرغم من أنه كان حسناً معك فقد مكث سنوات يصنع من صفائرى حبلاً وعلقتى به فى السقف؛ الآن حدث ما حدث، ألا تريد أن تغادر هذا المكان؟.

أخذ الملك جمشيد الفتاة وذهب بها عند أختها الصغرى، ومن هناك وصلوا إلى قلعة الساحرة العجوز وجمعوا كل ما خفّ وزنه وغلا ثمنه؛ ومضوا حتى وصلوا عند الصخرة السوداء، وهناك نصبوا خيمة.

نظر الملك جمشيد تحت الصخرة فوجد أن الخواتم التى وضعوها لا زالت فى مكانها، فعرف بذلك أن أخويه لم يصلوا إلى هنا بعد، فقال للفتاتان: انتظرانى هنا حتى أعود.

رحل من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى، باحثاً وسائل ومتقصياً عن أخويه؛ سار وارتحل حتى وجدهم فى مدينة، فالتقاهم وعرف منهم أنهم قد باعوا كل ما معهم ليستطيعوا العيش، وعمل أحدهما صبى قهوجى، وكان يجلب الماء؛ أما الآخر فكان يعمل صبى فى حمّام ويشعل النار.

تجهز كل منهم بملابس فاخرة، وحصان وسيف ودرع، ثم ارتحلوا إلى مكان الصخرة السوداء؛ عرّف الملك جمشيد أخويه بالفتيات، وصمم الجميع على أن يقضوا هذه الليلة ساهرين سوياً، فقال الملك جمشيد: اذهبوا أنتم إلى خيامكم وناموا، وأنا سأتولى الحراسة.

لم يوافقوا، وقالوا:

أنت تعبت كثيراً، ومن حقك علينا أن تستريح، فإذهب واخذ للنوم الآن، ونحن سنتولى الحراسة.

وافق الملك جمشيد وذهب إلى خيمته.

وضع الأخوين مع بعضهما خطة ليقضوا على الملك جمشيد، فقالوا: إن المهمة التي خرجنا من أجلها ولم ننجزها، ووقتنا الذي ضاع سُدَى، سيجعل والدنا يوبخنا عندما نقف أمامه، ولن يهتم بنا بعد ذلك، فمن الأفضل أن نقتل الملك جمشيد ونأخذ الطائر الضاحك ونذهب به إلى أبينا.

مضى جزء من الليل، واطمأنوا إلى أن الملك جمشيد غطَّ في نومٍ عميق فدخلوا عليه بسيوفهم ومزقوه قطعاً، ودفنوه بجوار الصخرة السوداء.

عرف الفتيات بتآمر إخوة الملك جمشيد، ومن شدة الخوف لم يدخلن عليهم.

توجهوا بعد ذلك إلى بلدتهم بستان ارم؛ وصل الخبر إلى الملك، فأسرع لاستقبال أولاده وأمر بأن تقام الزينات في المدينة.

كان العازفون يعزفون، والمنشدون يُنشدون، وكان الناس مشغولون في الغناء والرقص؛ فقد أقام الملك لكل واحدٍ من أبناءه عرساً للزواج لمدة أربعين يوماً بليلاتها؛ وكان الكل سعيداً ومسروراً.

فقط كانت أم الملك جمشيد في بكاءٍ مستمر، وكان الطائر الضاحك حزيناً وهزياً، فلم يرفرف بجناحيه، ولم يُغرّد.

- سأحدث إليكم الآن عن الخضر.

أنتم تعرفون أن الخضر كان قد شرب من ماء الحياة، وكان يتجول ويسيح في كل مكان في الأرض، وكان يتقصى عن الحق والباطل، وكان يستمع إلى المظلومين والعجزة والمساكين ويستجيب لهم، وأحياناً كان يأتي ويصلى على الصخرة السوداء.

بعد أن قتل أبناء الملك أخاهم الملك جمشيد ودفنوه بجوار الصخرة، شاء القضاء والقدر أن يكون الخضر، في نفس الوقت، فوق الصخرة مشغولاً بالصلاة، فوصل إلى سمعه صوت أنين وتوجع قريباً من الصخرة، فذهب على الفور إلى مكان الصوت، وفجأة توجه إلى المكان الذي دُفن فيه الولد الجميل الممزق إرباً؛ أخرجته وأعاد كل عضو من جسده إلى مكانه، وأخذ من ريقه ومسح به على الأعضاء الممزقة فعادت سليمة كما كانت، ووضع ثلاث قطرات من ماء الحياة في فم الملك جمشيد فعطس الملك جمشيد عطسة وانتصب واقفاً وألقى نظرة هنا وهناك فلم يرى أى أحد، فقد اختفى الخضر. فهم جمشيد حيلة أخويه ومكرهم، وشقَّ طريقه في الحال. وصل بعد عدة أيام، قطع فيها المسافة، إلى بلدته بستان ارم، فوجد المدينة في حالة فرح وسرور، حيث كان العازفون يعزفون، والمُنشدون يُنشدون، ففكَّر لو أنه ظهر بنفسه فإن إخوته سيمكرون به مرةً أخرى ويقتلونه، فقرر أن يبقى مجهولاً؛ بناءً على ذلك أخذ يبحث عن عمل، فعثر على عمل في محل خياطة كصبي خياط.

- نعود الآن إلى عرش سليمان.

عندما بزغت شمس الصباح في عرش سليمان، وأصبح الجميع بخير وسعادة، وعندما استيقظت الملكة جيهان أفروزهانم من نومها، وجلست أمام المراة منشغلة في النظر إلى جمالها رأت علامة على وجنتيها، فأظلمت الدنيا وضاعت في عينيها، فصاحت على جميع خادوماتها وقالت لهن: أتمزحن معي! من منكن دخلت غرفتي وأنا نائمة، ووضع هذه العلامة؟.

ارتعدت الخادومات من فرط خوفهن، وأقسمن على أنهن لا يعرفن أى شيء عن هذا الموضوع وقلن: إن الطائر الضاحك دائماً يقظ وقد يعرف شيئاً. بحثوا عن الطائر الضاحك ولم يجدوه فذهلوا لذلك.

قالت الفتاة بعصبية:

إن الجان لا يتجرأ على دخول غرفتي، ولا يستطيع أحد على وجه الأرض أن تطأ قدميه مكان عرش سليمان، والهوريات، نساء وفتيات لا يفعلون هذا الأمر؛ إذاً ما سرّ هذا الأمر؟.

فى هذه الأثناء، وحين كانت الخادمة تنظف غرفة السيدة وجدت رسالة فقدمتها للسيدة وهى خائفة ترتعد.

فتحت السيدة الرسالة وهى فى حالةٍ من الاضطراب والهيجان؛ كان مكتوباً فى الرسالة: يا ملكة العالم أفروز! أنا الملك جمشيد، ابن ملك مدينة بستان ارم؛ أولاً، قتلت الساحرة العجوز و بعدها قتلت أخيها العفريت الأبيض، ثم أجبرت العفريت الأسود أن يأخذنى إلى عرش سليمان، ومررت أمام أعين الحراس ثم دخلت حجرتك وأخذت الطائر الضاحك معى؛ المقصود من وراء كتابة هذه الرسالة هو أن أقول لك:

حتى الآن، ما أحببت فتاةً غيرك، ولن أحب بعدك أى فتاة. ظلت ملكة العالم أفروز، بعد قراءة الرسالة صامتة، وبعد أن استعادت هدوءها، أمرت بأن يحضر مائة ألف جنّى، و مائة ألف حورية ويستعدوا للتحرك إلى مدينة بستان ارم.

تحرك الموكب بعد ثلاثة أيام، وكانت الملكة مُتكنة على عرش مصنوع من الياقوت واللؤلؤ والماس، ومحمولاً على أكتاف أربعة من الجنّ، ويحيط به مائة ألف من الحوريات، فوصلوا إلى مدينة بستان ارم. وصل الخبر إلى الملك فقال فى نفسه:

معنى ذلك أن تاجك وعرشك قد سلبوا، وأصبح سرج حصانك وسيفك ملوثان بدمك.

بعدد العفاريت التى دخلت المدينة .. كل المون والماشية، حتى الحجارة أكلوها

وكذلك التراب.

نظر الملك حوله مذهولاً، ورأى عفريتاً يقدم له رسالة، كان مكتوباً فيها:
"أيها الملك! لا تظنوا أننا قدمنا إلى أرضكم هنا لإحداث مشاكل لكم، إنما جئنا
بقصد الصداقة، ونحن رُسُل صلح وسلام، مطلبنا الوحيد هو، أن ترسلوا لنا
الفتى الذى أحضر الطائر الضاحك إلى هنا". توقيع: الملكة جيهان أفروز.
دعى الملك ابنه الأكبر، الملك محمد وقال له:

ما هو موضوع الطائر الضاحك؟، ثم أرسله مع العفريت إلى الملكة جيهان
أفروز وظل منتظراً فى قلق، وقد تغير لون وجهه.

أقلت الفتاة نظرةً على الملك محمد من رأسه حتى أخمص قدميه،
وقالت له باستهزاء:

ها! أيها الفتى العزيز، أرنى كيف أحضرت الطائر الضاحك إلى هنا.

قال الفتى، وهو يرتعد من الخوف:

أنا اشتريت ذلك الطائر من صيَّاد.

أصدرت الفتاة للعفريت أمراً:

اضربوه لكن لا تقتلوه.

أمسك العفاريت بالملك محمد وأوسعوه ضرباً حتى الموت، لكن لم يمُتْ،

وأوثقوه على حصان وأعادوه، فأخذ الحصان طريقه ودخل الحظيرة.

أخبروا الملك بما حدث، فصاح بغضبٍ وعصبية على الملك أحمد وقال له: تذهب

غداً إلى الملكة وتخبرها كيف أحضرت الطائر إلى هنا.

ذهب الملك أحمد فى صباح اليوم التالى إلى الملكة، فكان حاله أسوأ من حال

أخيه، وأركبوه حصاناً وأطلقوه.

استدعى الملك زوجته ابنيه وقال لهما:

سأجلدكم غداً أنتم وأزواجكن حتى تقولون لى حقيقة الأمر.

أوضح الفتيات للملك - وهنّ يذرفن الدموع - كل ما جرى من أحداث مع الملك جمشيد، أمّا ما حدث فى الليلة الأخيرة فلم يعلما عنها شيئاً، وقالوا يجب عليك أن تسمع من لسان أزواجنا عن بقية الأحداث.

أمهلت السيدة الملكة جيهان أفروز، الملك ثلاثة أيام حتى يأتيها بالفتى الذى أحضر الطائر إلى هنا.

انتهت المهلة، وفى اليوم الرابع أصدرت جيهان أفروز أمراً بأن ينزع كل عفريت فى كل يوم طوبة من مباني المدينة، وتأخذ كل حورية حفنة من ترابها؛ فى اسبوع واحد فقط كان نصف المدينة قد تدمر.

قد جاء الدور على منزل الخياط؛ كانت زوجة الخياط تبكى من شدة الحزن على ما يجرى؛ فكان الملك جمشيد ينظر إلى هذه المرأة الحنون نظرة عطف، ولم يتحمل دموعها، وبناءً على هذا قال للخياط: اذهب إلى الملك وقل له، ماذا تعطينى إذا أنا أتيتُ لك بالملك جمشيد؟.

نظر الخياط إلى تلميذه نظرة دهشة وتعجب وسأله: وإذا طلب منى الملك جمشيد فماذا أفعل، وأى شخص آخر أقدمه له؟.

قال الملك جمشيد: أنا هو.

ذهب الخياط وأخبر الملك.

سرّ الملك كثيراً وأعطى الخياط حصان وملابس الملك جمشيد الخاصة بالمسابقات البطولية حتى يأتيه به.

ارتدى الملك جمشيد عُدّة الحرب، ووضع قلنسوته على رأسه وركب الحصان وضربه بالسوط فصهل الحصان، وفى غمضة عين انتفض الحصان وأوصل الملك جمشيد إلى مكان السيدة الملكة جيهان أفروز ومرافقيها.

صاح الملك جمشيد بصوت عالٍ وقال:

أهلاً وسهلاً بك فى مدينتنا يا ملكة العالم، أفروز هانم؛ إن الناس هنا ليس لهم

ذنب، أنا ذاك الشخص الذى قتل ساحرتك العجوز وعفريتيك، الأبيض والأسود،
وكنت قد ركبت على كتفى العفريت الأسود وقطعت مسافة الأربعين يوماً ذهاباً
وعودة فى ليلة واحدة، لكنى لم آخذ حجراً من عرش سليمان ولم أضرب أى أحد
هناك، ودخلت كل حُجراتك ورأيتُ غرفة نومك وأخذتُ طائرَكَ الضاحك من
القفص الذهبى، لكنى لم أذى أى واحد؛ وبعد، لم أنتِ تُخرِبين مدينتى؟.
قطعت جيهان أفروز كلام الملك جمشيد وأمرت الجان أن يُنزلوا السرير على
الأرض، وعندما هبط السرير على الأرض نزل جمشيد من فوق حصانه.
رفعت الفتاة تاج مملكتها من فوق رأسها ووضعتَه على رأس الملك جمشيد،
وأمرت الجان بأن يعيدوا كل ما تخرَّب فى المدينة من جديد كما كان.
أمسك الملك جمشيد بيد خطيبته وذهباً إلى حضرة والده الملك.
أراد الملك أن يقطع رأسى إبنيه، الذين هم من إبنة ملك، لكن الملك جمشيد
رفض ذلك.
أقيم الإحتفال بزواج الملك جمشيد والملكة جيهان أفروز لمدة أربعين يوماً
بلياليها ورفرف الطائر الضاحك بجناحيه وأخذ يُغرِّد بأصواتٍ جميلة.
أكلوا وشربوا وفرحوا وحصلوا على مراد قلوبهم.
آمل أن تحصلوا أنتم أيضاً على مراد قلوبكم.

* * * * *

٧- حكاية سيف الملك

فى الماضى البعيد ، كان يعيش فى مصر القديمة ملك اسمه "صفقان" ، وكان له وزير خبير ومُحنَّك اسمه "صالح".

فى يوم من الأيام لاحظ الوزير أن الملك حزين وقلق، فقال له:

يا ملكنا العظيم! من أى شىء تشكو؟ وما سبب حزنك؟

قال الملك:

أيها الوزير، كيف لا أتألم وليس لدى ابن يرث من بعدى عرشى وتاجى.

قال الوزير- الذى ليس لديه ولد أيضاً- بعد تفكير وتدبر: سلمت لنا أيها الملك،

يجب علينا إطعام المساكين والفقراء لمدة أربعين يوماً وليلة، فندخل السرور

عليهم ونكسب قلوبهم، فيدعون لنا بالخير، ويكون ذلك موجباً لأن يرزقنا الله

الولد؛ فقد قيل:

إن دعاء المحتاجين مُجاب.

استحسن الملك فكرة الوزير وأمر بفتح أبواب الخزانة ليحصل المحتاجون على

كفايتهم من الأموال.

وصل خبر عطاء الملك إلى كل مكان فى البلاد، فهرع الفقراء من كل صوب

وحذب، فرادى وجماعات لأخذ نصيباً من الأموال.

مضت أربعون يوماً على هذا المنوال، واستجيب دعاء المساكين بالخير،

وحملت كلاً من زوجتى الملك والوزير.

وبعد تسعة أشهر و تسعة أيام وتسع ساعات وتسع دقائق وتسع ثوانٍ بالضبط

وضعت كلاً منهما مولوداً.

دُعِيَ العجائز المحنَّكين والعلماء والزهاد والتجار والأعيان إلى القصر الملكى

بغرض إختيار اسم لكل مولود من المولودين الجدد.

كانت التسمية الأولى لابن الملك؛ قامت إحدى العجائز وقالت:
أنا أطلق عليه اسم " سجين قلى " فقد يعمر طويلاً مثل سجين المُعَمَّر ؛ فأوسعوها
ضرباً وأخرجوها من القصر.

وقالت عجوز أخرى:

أنا أطلق عليه اسم " ثور كن قلى " لكى يصير قوى البنية مثل ثور كن، فلا
يمرض أبداً؛ فضربوها وطردها خارجاً أيضاً.

وقالت ثالثة:

من الأفضل أن نسميه " الله قلى " حتى تشمله رعايت الله وحفظه ويكون على
الدوام فى أحسن حال ؛ فكان مصيرها مثل سابقتها.

فى هذه الأثناء دخل درويش له وجه مضى، وقال:

أنا أطلق على ابن الملك اسم "سيف الملك" وأطلق على ابن الوزير " الصاحب"
على أمل أن يعيش الإثنان حياةً سعيدةً.

استحسن الجميع هذه الأسماء وأجزلوا المنح والعطايا للدرويش.

فى ذات اليوم أخذوا الأطفال إلى المربيات، وكانوا يهبون لهن العطايا كل يوم
ليُقْمَنَ على رعاية الطفلين على أكمل وجه.

وكما يحكى فى القصص، يمر القرن كالثانية، وصل طفلى قصتنا هذه إلى سن
الثامنة من العمر وعليهم - فى هذا السن- أن يلتحقوا بالكتاب ليتعلموا القراءة
والكتابة.

قام مُعَلِّمٌ حكيم- لمدة سبع سنوات- على تربية وتعليم الأولاد القراءة والكتابة
ومن شتى العلوم.

ذات يوم طلب الملك إحضار الأولاد أمامه ليرى بنفسه نتيجة عمل المُعَلِّم معهم،
وما تحصلوا عليه من العلوم؛ أشار الملك أولاً إلى الصاحب (ابن الوزير) ليطلعه
على ما تعلمه فى السنوات السبع الماضية، ثم بعد ذلك اختبر ابنه - سيف

الملك- أيضاً.

تأكد الملك أن الأولاد استوعبوا كل ما تعلموه وحفظوه عن ظهر قلب، ثم قال:
أيها الوزير، حان الوقت لأن يتعلم الأولاد فنون القتال وقواعد وأصول
البطولات.

فى الحال قام الوزير باختيار مدرب بطل وكفاء وأوكل إليه مهمة تدريب الأولاد.
بعد فترة من الزمن، استدعى الملك الولدان أمامه وقال لهم: يا أولادى، أرونى
كيف تعلمتم فنون القتال وقواعد البطولات.
قال سيف الملك:

يا أبى العزيز، لا يمكن تعلم هذه الفنون بالكلام فقط، بل يجب علينا أن نذهب إلى
مكان أكثر مناسبة للتدريب فيه على مثل هذه الفنون.

وافق الملك، وأصدر أمراً لضباطه بأن يأتوا بأسرع الأحصنة، وامتطى مع
الوزير والوكيل وكبار رجال القصر والأعيان الأحصنة وساروا على هيئة
صفوف حتى وصلوا إلى مكان فسيح فى الصحراء؛ هناك وأمام الجميع، انطلق
الصاحب بحصانه وجال به فى أرجاء الميدان، كان يقف فى كل ركن من أركان
الميدان فرسان يطلقون عليه السهام، وكان يستمع إلى صوت الوتر وانطلاق
السهم فيتعلم بذلك معرفة وقت ومكان إنطلاق السهم، واستفاد من هذا التدريب
العملى كيفية استخدام الرمح والسهم والقوس والدرع والهراوة، من ذلك تعلم
البطولة والشجاعة التى ليس لها نظير.

جاء الدور على سيف الملك، فركب حصانه وبدأ بالدوران فى أرجاء الميدان،
ثم أطلق سبعة سهام من قوسه، متتابعة فى اتجاه السماء.

امتدح الملك بطولتهما، وأنعم عليهما بالمنح والعطايا، وأعطى لإبنه رداء
منقوش عليه صورة لفتاة جميلة اسمها "بديعة الجمال"؛ ما أن رأى سيف
الملك هذه الصورة الجذابة حتى أحبها كما لم يحب من قبل.

فى النهاية؁ عادوا أءراجهم من الصءراء؛ وفى المساء أغلق سيف الملك عليه غرفته وأخذ يفكر فى صاحبة الصورة؁ وءزن ءزناً شءىداً ولم يستطع النوم من الضيق والتألم والءسرة وءاار ءجرتة إلى ءرة الإستقبال وبقى فيها حتى الصباء.

فى صباء اليوم التالى؁ ذهب ءءم سيف الملك إلى غرفته فلم يءءوه؁ بءءوا عنه فى كل مكان حتى وءءوه فى ءرة الإستقبال وكانت ءموة تنهمر من عينية وملابسه ممزقة؁ فسأله الصاءب:

ماءا ءء بالضبء؁ وأنا أراك فى هءة الءالة البائسة باءياً؟
لم يخفى سيف الملك سرّه عنه فأشار له على صورة كانت منقوشة على ملابسه وقال: يا أءى؁ أنا عشقت بءبعة الءمال هءة؁ ولا أستطيع الءاة بءونها.
فى الءال؁ ذهب الصاءب إلى الملك وءكى له ما سمعه من سيف الملك.
على الفور؁ بءء أن سمع الملك عما ءء نزع التاء من فوق رأسه وألقى به على الأرض وقال:

كأننى بىءى ابتليت نفسى؁ بءبعة الءمال هءة ابنة ملك إسمه " شاهبال" وهى تعيش فى ءءقة إرم؁ وءتى الآن لم يصل إليها أى إنسان؁ فكيف يمكننا أن نتءمل عبء مثل هءا العمل؟؁ ثم صاء على الوزىر وقال له: فكّر وءبرنى يا وزىر؁ ابنى قء يضيع منى؁ فهو أءب بءبعة الءمال ونحن مهما بءلنا من الءهد فلن نءثر لا على ءءقة إرم ولا على الملك شاهبال؁ فأسرع إلى سيف الملك وأقنعه أن يطرد هءة الفكرة من رأسه.

قال الوزىر: أيها الملك المّعظم! إن الرءاء الذى منءته لإبنك كان هو السبب فى الألم الكبىر الذى ألمّ به؁ وقء قىل قءىما:

"أشرك غيرك فى مشكلتك تشاركه فى عقله".

قال الملك:

لقد فات وقت النصيحة ولا يفيد الندم الآن، عَجَلْ بالذهاب إلى سيف الملك.
نهض الوزير وذهب للالتقاء بسيف الملك، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال
ومن باب حب الخير قال له:
أيها الأمير الشاب سنزوجك فى الحال من أى واحدة تحبها، بشرط أن تُخرج تلك
الخيالات الباطلة من رأسك.
قال سيف الملك:

أيها الوزير، الموت أفضل عندى مما تقول، لأنى لا أستطيع أن أطرده صورة
حبيبتي من ذهني أبدا.
الخلاصة، أنه كلما تكلم الوزير أكثر كان سيف الملك يسمع أقل، وفى النهاية قال
الوزير: أيها الأمير، تحمّل قليلا وانتظر حتى نسأل ونبحث عن مكان حديقة إرم
هذه ونتأكد من وجود ملك اسمه شاهبال وله ابنة اسمها بديعة الجمال هناك أم
لا؟.

طلب الوزير من سيف الملك مهلة لمدة أربعين يوماً ثم ذهب إلى الملك ليطلعه
على ما جرى ودار بينه وبين سيف الملك فقررا أن يرسلوا فرساناً فى كل اتجاه،
استمر بحث الفرسان أربعون يوماً توجهوا فيها إلى كل مكان وسألوا كل من
يقابلهم، اتضح أنه لا أحد يعرف شيئاً عن حديقة إرم أو الملك شاهبال.
ما أن سمع سيف الملك بأن فرسان البلاط عادوا بعد بحث لمدة أربعين يوماً
بدون نتيجة حتى جنّ جنونه، وأخذ يمزق ثيابه ويهجم على كل من حوله، حتى
أن الوزير نفسه نال نصيباً من الضربات والألفاظ النابية.

وحين سمع الملك ما حدث من ابنه ألمّ به الغم وحزن حزناً شديداً وأصابه
المرض، فأصدر أمراً بأن يعتقلوا سيف الملك ويودعوه السجن.

مضت أيام على هذه الواقعة ثم استدعى الملك الوزير وسأله:
ماذا أفعل وأنا الذى قيدت حرية ابني بنفسى؟ فهذا الأمر آلمنى فى جسدى

وروحى.

قال الوزير:

سلمت لنا أيها الملك! لا وسيلة للعلاج إلا أن نطلق سراحه ليخرج ويتمشى،
فربما نستطيع بذلك أن نمحو صورة بديعة الجمال من رأسه.
أمر الملك بأن يأثوا له بابنه سيف الملك، فأحضروه من السجن إلى أبيه.
قال الملك مخاطباً ابنه بصوتٍ فيه رقةٍ وعطف:

يا بُنى! إن فرساننا ذهبوا فى كل مكان للبحث عن محبوبتك، لكن للأسف لم
يعثروا على أى فتاة باسم بديعة الجمال، فأخرج هذه الفكرة من رأسك، وسأبحث
فى كل بلاد الدنيا من أجلك، لأجد لك عوضاً عنها، ابنة ملك تناسبك وأخطبها
لك.

قال الابن:

أيها الملك! إمنحنا أنا والصاحب الفرصة للبحث عنها، فإذا فشل سعيانا فسنعود.
قال الوزير للملك:

أيها الملك! إعطهم الفرصة، فإما أن يجدوا ضالتهم وإما أن ييأسوا فيعودوا.
وافق الملك مضطراً على هذا الرأى، وأرسل معهما اثنا عشر ألف فارس
لمرافقتهم فى هذه الرحلة.

ودّع كل من سيف الملك والصاحب والديه وأخذاً طريقهما برفقة الفرسان؛
ساروا وساروا، حتى وصلوا إلى تخوم الصين.
وصل الخبر إلى ملك الصين بأن ابن ملك مصر سيف الملك قد حضر إلى الصين
ويقىم الآن، هو ومرافقيه فى مدينة أطراق.

بعد أن سمع ملك الصين هذا الخبر أرسل وزيره إليه.

وصل الوزير إلى هناك والتقى بسيف الملك وقال له:

نأمل أن يكون الهدف من زيارتكم لبلدنا خيراً.

رد عليه سيف الملك قائلا:

إلى هذا الحد يخاف ملككم من كل من يأتى إلى بلدكم، ويرسل إليه ليستفسر منه؟.

قال الوزير:

نعم، إنه يخشى قليلا.

قال سيف الملك:

لو كنت أعلم من قبل أن ملككم يخشى من القادمين إلى هذا البلد ما أتيت إلى هنا. عاد الوزير وروى للملك كل ما دار بينه وبين سيف الملك، فحضر الملك برفقة وزيره لمقابلة سيف الملك، فاستقبله سيف الملك بعزة واحترام؛ وبعد السلام والتحية والسؤال عن الأحوال، طلب الملك من سيف الملك أن يقيم هو ومرافقيه عنده ضيوفاً، وقال له أيضاً: أنت شاب شجاع ومناسب، وأنا لدى ابنة وأريد أن أزوجه لك.

رد عليه سيف الملك وقال:

أنا أعتبر إبتكم أختى، لكن أنا لى طلب، لو سمحت أن ترسل معى بعض المرشدين والخبراء بالطرق فى بلادكم ليرشدوننى.

أمر الملك باستدعاء كل من له خبرة بالبلاد أو تجربة بالطرق.

حضرُوا، وسألهم سيف الملك:

هل يعرف أحدا منكم، أو سمع عن ملك اسمه شاهبال، ويعيش فى مكان اسمه حديقة إرم؟.

قالوا:

لا، حتى الآن لم نسمع بهذا الاسم.

وقال أحدهم:

أنا أعرف عجوزاً عمره أربعة آلاف سنة، ربما يعرف.

أمر الملك بإحضار العجوز ذو الأربعة آلاف سنة؛ وسأله سيف الملك:

أبى العزيز! هل سمعت يوماً عن ملك اسمه شاهبال، ومكان اسمه إرم؟.

قال العجوز:

نعم، وللوصول إلى هناك عليك أن تتجه شرقاً، سيقابلك أولاً بستان زهور إرم،

ومن هناك ستصل إلى حديقة إرم؛ وهى بعيدة جداً، وستقنون بلاداً كثيرة

للوصول إلى هناك.

فرح سيف الملك والصاحب لسماعهم هذا الخبر فرحاً شديداً.

بأمر من الملك تم إعداد خمسين سفينة تكون تحت تصرف سيف الملك لمواصلة

رحلته عن طريق البحر.

أبحروا لمدة سبعة أيام بلياليها، وفى اليوم الثامن هبت عاصفة هوجاء، وهاج

البحر فتعالت أمواجه عاتية فتحطمت السفن.

نجا سيف الملك ومعه أربعة أفراد، كانوا على جزء من خشب سفينتهم

المحطمة، كذلك نجا الصاحب ومعه إثنا عشر رجلاً كانوا على متن جزء من

سفينتهم التى تفككت أوصالها بينما لم يأتهم خبر عن أى فرد آخر من المرافقين

لهم؛ فقد ابتلعهم البحر.

أدرك الصاحب أن هذا البلد المجهول يسكنه أناس غير عاديين أوهمج، وتصور

الناس هناك أن الصاحب ورفاقه طيور سقطت من الجو، فأمسكوا بهم وأخذوهم

إلى الملك فقام الملك بتقطيعهم قطعاً قطعاً والتهمهم، ما عدا الصاحب، فقد أبقاه

حيّاً وحبسه فى قفص، وأرسل به هدية لـ "دولت شاه" ملك البلد المجاور له.

لكن دولت شاه كان يعرف الكثير عن الأشياء والناس فى البلاد الأخرى، لذلك

أخذ يستفسر منه عن الأحوال والعباد.

حكى الصاحب حكايته من أولها إلى آخرها، فقال له الملك:

أيها الشاب! أنا كنت مثلك بالضبط، فقد أتيت إلى هذا البلد على قطعة خشب

بقيت من المركب التى كنتُ فيها، وفى أول الأمر عملت فى خدمة الملك، وفى النهاية أصبحتُ أنا الملك؛ أنت أيضا ستبقى هنا معى حتى تخلفنى بعد موتى. رأى الصاحب عند غروب الشمس ما أدهشه، فقد رأى عصا وحجر تدق على الأبواب، صدرت أصوات وهمهمات شديدة تشبه الزلزلة؛ فقال له الملك: لا تشغل بالك، فإن كل واحد فى هذا البلد يكون فى النهار آدمى وفى الليل ينقلب إلى جنى.

أخذوا الصاحب إلى بلدة سرنديب ليعيش هناك.

لكن اسمعوا عما حدث مع سيف الملك.

وصل سيف الملك إلى جزيرة على قطعة من خشب سفينته الغارقة فقام هناك بصنع مركب، وواصل رحلته فى البحر مرة أخرى، وبينما كان ورفاقه نياماً فى المركب ليلاً قبل أن ينطلقوا فى سفرهم، إذ هجم عليهم وحش فقام أحد المرافقين بقتله وتقطيعه، فهجمت عليهم الوحوش كالسيل الجارف ، فنجوا من هذه المهلكة العظيمة بأعجوبة، وواصلوا سفرهم.

أربعين يوماً بلياليها قضوها فى البحر، حتى وصلوا فى النهاية إلى جزيرة أخرى، مرة أخرى وفى الليل، هجم عليهم وحش له ستة أرجل فتوجه مباشر إلى أحد رفاق سيف الملك والتهمه، كما أنهت الوحوش الأخرى على من تبقى من رفاقه، وأنقذ سيف الملك نفسه من بين مخالبيها بصعوبة، وواصل سفره حتى وصل إلى جزيرة أخرى، وكان جائعاً جداً لكنه لم يجد ما يأكله، وبينما هو كذلك إنقضَّ عليه من السماء طائر ضخم وأمسك به بمخالبه ومنقاره ورفعاه فى الهواء، وأخذ إلى صغاره الجوعى ليطعمهم به، وعندما وصل الطائر إلى وكره، إذ به يرى التنين يصعد إلى أعلى الشجرة ليلتهم صغاره، فألقى بسيف الملك على الأرض وهجم على التنين واشتبك معه فى صراع طويل حتى أنهك كل منهما الآخر.

أخذ سيف الملك طريقه فى الجزيرة حتى وصل إلى قلعة فدخلها، وإذ بها مخزن
للأسلحة، فأخذ لنفسه سيفاً ودرعاً وسهم وقوس، ثم دخل حجرة فوجد فيها
قدور كبيرة مليئة بالأرز المطبوخ الطازج- وكان قد مر عليه زمن لم يذق فيه
طعام- وما أن رأى هذا الطعام حتى انكب عليه ليخلص بطنه من ألم الجوع وبعد
أن انتهى من طعامه دخل إلى حجرة أخرى فى القلعة فوجد فيها فتاة جميلة
وكانت نائمة، وعند رأسها شمعدان مضاء.

قرأ سيف الملك بعض التعاويذ والأوراد فاستيقظت الفتاة على الفور، وما أن
رأته حتى قالت له:

قضيت هنا ثلاثة عشر سنة سجيناً عند جنى، وحياتى كلها ألم وعذاب.
قال لها سيف الملك:

أنا أيضاً قضيت مدة ثلاثة عشر سنة تائهاً وشريداً.

استفسرت الفتاة من سيف الملك عن سبب ذلك، فقال لها:

أحببتُ بديعة الجمال، وهى ابنة الملك شاهبال، وطوال هذه المدة كنت أبحث
عنها.

بمجرد أن سمعت الفتاة هذا الاسم أغشى عليها وسقطت على الأرض فقام سيف
الملك بإفافتها، وعندما عاد إليها وعيها قالت له:

أنا ابنة عم بديعة الجمال، وأنا هنا نتيجة لعمل سحرى من الجن.
قال سيف الملك وهو فى سعادة غامرة:

كيف أستطيع فك هذا السحر الشيطانى؟.

أرشدته الفتاة إلى الطريقة، فأخذ سيف الملك طريقه إلى شاطئ البحر وهناك
حصل على خاتم سليمان، وفجأة ظهرت أمامه حمامة فأمسك بها، وفى الحال
جاءه جنى وأخذ يتوسل إليه وقال له:

إرحمنى يا سيف الملك! أنا سألبى كل طلباتك بشرط أن تطلق الحمامة.

لم يأبه سيف الملك لكلام الجنى، بل فصل رأس الحمامة عن جسدها وألقى بها عليه فتحول الجنى إلى دخان وتبعثر فى الهواء.

بهذا الترتيب فك سيف الملك السحر وعاد إلى الفتاة، وقاما سوياً بصنع قارب، ووضعاً فيه بعض المتاع وسحباه إلى شاطئ البحر، وشقاً به طريقهما فى البحر.

نام سيف الملك من شدة التعب والإرهاق، وجلست الفتاة على وسادة بجواره مستيقظة، وسار بهم القارب، وفجأة ظهر أمامهم تمساح ضخم وفارغاً فاهه ليلتهم المركب ومن عليه. لم تشأ الفتاة أن توقظ سيف الملك وأخذت تبكى فسقطت قطرة من دموعها على وجهه، فاستيقظ فى الحال وسألها عن سبب بكاءها، فأشارت إلى التمساح، وقالت:

أنظر، إنه يريد أن يبتلعنا، ولم يطاوعنى قلبى فى أن أوقظك من نومك، فغلبتنى دموعى دون قصد منى.

ألقى سيف الملك نظرة على التمساح فرآه ضخماً، فاستل سيفه وأخذ يضربه على رأسه ضربات قوية وبدون توقف حتى شق رأسه نصفين. عندما رأت الفتاة شجاعة وقوة سيف الملك قالت له:

أيها البطل المغوار، أتمنى أن تكون زوجاً لى.

قال سيف الملك بصوت هادئ وجاد:

أنا كنت دائماً أعتبرك أختاً لى.

سكتت الفتاة على مضض، لكن قلبها تعلق بسيف الملك أكثر من ذى قبل.

قضوا فى سفرهما هذا اثنا عشر يوماً فى البحر وقد غلبهم الجوع، فطرات على بال الفتاة فكرة، فاتجهت إلى سيف الملك وقالت له:

لايوجد الآن إلا أن أقص بعضاً من صفائرى وبها نصطاد سمكاً، وبذلك نستطيع أن نأكل طعاماً ونسدّ جوعنا.

أعجب سيف الملك بهذه الفكرة وقامت الفتاة بنسج شبكة صيد بقليل من شعر رأسها الطويل.

إصطادوا سمكاً وأعدّوا منه وجبة مشوية، وأكلا وشربا وفرحا.
إستمعوا إلى الوزير مستشار الملك أكبر شاه "ملك سرنديب" الذي كان ضمن المسافرين عبر البحر هناك في ذات الوقت.

بمجرد أن رأى هذا المستشار الفتاة وسيف الملك على قاربهما في البحر، أرسل حراساً ليقبضوا عليهما ويحضروهما إليه؛ لكن سيف الملك قبض على سيفه بقوة، وما أن رأى الحراس ذلك حتى انخلعت قلوبهم وولوا مدبرين فذهب المستشار بنفسه إليهما واستفسر منهما عن حالهما.
قال سيف الملك:

أنا ابن ملك سرنديب وهذه أختي، وقد كانت منذ مدة تحت تأثير سحر الجن، فذهبت لقتال الجنّي الذي سحرها وأنقذتها منه.
قال المستشار:

ملك سرنديب ليس لديه ابن، فقط عنده ابنة إسمها الملكة، وقد اختطفها الجن وأخذها إلى قلعته.
قال سيف الملك:

هذه الفتاة التي معي هي نفسها الملكة، ابنة الملك.
فهم المستشار الموضوع فأرسل في الحال رسالة إلى الملك أكبر شاه، وقام الملك بدوره باستدعاء الأشراف والأعيان وكبار القادة ورجال المملكة لاستقبال ابنته، أخذوا الفتاة بكل حفاوة إلى قصر الحريم؛ واستقبل سيف الملك أيضا في قصر الملك وعاش فيه كاميرا.

أربعون يوماً مضت لم يلتقى خلالها سيف الملك بالفتاة، وعندما تمكن يوماً من لقاءها قال لها وهو في حالة من الضيق والضجر:

يا أختى! ما كنت أتوقع منك كل هذا الجفاء ونكران الجميل.

أقرت الفتاة بتقصيرها تجاهه وطلبت منه العفو والمعذرة، ثم قال له: أنا كنت طوال تلك الفترة فى انتظار قدوم بديعة الجمال إلى هنا، وبالرغم من أن خروجى من قصر الحريم بدون إذن والتقاءى بك يسبب لى مشكلة كبيرة إلا إننى سأوافيك بأخبارها كلما جد جديد.

مكث سيف الملك مدة أخرى فى قصر الملك قبل أن تصل إليه رسالة من الملكة تقول فيها، إن بديعة الجمال ستصل إلى هنا بعد عدة أيام.

فرح سيف الملك فرحاً شديداً وقرر أن يذهب إلى سوق المدينة؛ فى صباح اليوم التالى أخذ طريقه بصحبة بعضاً من خدم القصر إلى السوق، وبينما كان منشغلاً بالطواف والمشاهدة إلتقى بشابٍ نحيل الجسم فسأله عن اسمه وحاله، فقال له الشاب: أنا من أهل مصر، لكن إذا أردت أن تعرف إسمى ووضعى بالضبط فيجب أن نتحدث سراً وعلى انفراد، فطلب سيف الملك من بعض مرافقيه أن يصحبوه إلى مقر إقامته فى القصر حتى يتحدث معه بعد عودته من السوق؛ فأخذوه إلى جناح سيف الملك فى القصر، وهناك قيده، يأس الشاب وقال فى نفسه: أى ذنبٍ جنيتُ أستحق عليه القيد والحبس؟.

عاد سيف الملك من السوق طلب أن يرى ذاك الشاب، فأحضروه أمامه فباح الشاب بما يعرفه عن نفسه حيث قال:

أنا إسمى الصاحب، ابن وزير مصر؛ وقبل أن يتم كلامه شاهد سيف الملك وقد أغشى عليه وسقط على الأرض. وما أن رأى الخدم هذا الوضع قاموا بضرب الصاحب ضرباً شديداً، وبالكاد خلّص نفسه من بين أيديهم وولّى هارباً، ودخل سرداباً بجوار الطاحونة القديمة ليختبئ فيه.

عندما أفاق سيف الملك من إغماءته سأل عن الصاحب، فقالوا له: لقد نال ضرباً مبرحاً وولّى هارباً.

أرسل سيف الملك إلى الملك يُعلمه بما حدث وقال له:
أنا التقيت بصديق قديم، وما أن سمعت اسمه غبتُ عن الوعي قليلاً فقام الخدم
بطرده من القصر، وبحثت عنه وحتى الآن لم أعثر عليه.
بأمر من الملك، تحركت مجموعة للبحث عنه لكنهم لم يجدوا له أثراً.
نادوا في كل مكان وقالوا:
كل من يجد شخصاً - ذكروا أوصافه - يأت به إلينا وسيحصل على مكافأة كبيرة.
بالمصادفة، كان راعي غنم يرعى بغنمه بجوار الطاحونة، فاصطحبه إلى قصر
الملك؛ وبأمر من سيف الملك، وضعوه تحت الرعاية الصحية لمدة أربعين يوماً
حتى استرد عافيته، مرة أخرى بعد أن كاد يهلك من الضعف والهزال؛ ثم بعد
هذه المدة أخذه سيف الملك إلى الملك، فقام صاحب بأداء التحية الواجبة للملك
فطلب الملك من صاحب أن يحكى له حكايته.
حكى صاحب عن كل ما لاقاه وقابله من أحداث، فسمعوا منه حكايات شيقة
وعجبية.
فى تلك الأثناء كانت قد وصلت رسالة إلى يد سيف الملك من السيدة الملكة،
مكتوبٌ فيها: "سوف تأتى اليوم بديعة الجمال إلى حديقة الربيع".
وعلى الفور ذهب سيف الملك إلى الحديقة، وتوارى فى مكان مناسب.
بعد فترة قصيرة حضرت السيدة الملكة وبصحبتها بديعة الجمال إلى الحديقة،
وحكت السيدة الملكة لبديعة الجمال بالتفصيل عن سيف الملك وشجاعته
ورجاحة عقله؛ وبعد أن سمعت بديعة الجمال كلامها هذا قالت لها: نحن لا يجب
علينا أن نتواصل مع جنس بنى آدم.
قالت السيدة الملكة:

على كل حال كان أبوك فى حضرة سيدنا سليمان ، وبأمر منه نقشوا صورتك
على رداء وأهداها لسيدنا سليمان، وأعطاه سيدنا سليمان بدوره إلى صفقان،

ولو أن سيف الملك بن صفقان لم يرى تلك الصورة ما كان ليقع فى حبك، وما كان قد فكَرَ فى قطع كل تلك المسافة الطويلة فى السفر، ولبقيتُ أنا إلى الأبد أسيرةً لسحر الجن؛ فما قولك؟.

صمتت بديعة الجمال وراحت تفكر؛ وفى الليل وعندما نام كل الخدم، قامت وذهبت إلى الحديقة لتتجول فيها، وفى أثناء ذلك التقت بسيف الملك وجها لوجه، فما رأت لهذا الشاب وسط الجن والإنس وحسناوات الجنة مثيل فأحبهته كما لم تحب من قبل، وأغشى عليها وسقطت على الأرض، فحملها سيف الملك وذهب بها إلى مخدعه ووضع رأسها على ركبته، ورويد رويدا أفاقت ورفعت رأسها بغضب وكبرياء، وقالت له:

أيها الآدمى! هل أنا هنا ورأسى على ركبتك منذ مدة طويلة؟.

نهضت مسرعة فودَّعها سيف الملك وتبعها بنظراته حتى دخلت خيمتها. كانت بديعة الجمال مضطربة ولم تتحمل، وفى النهاية طلبت حضور السيدة الملكة إليها، فلما حضرت قالت لها:

إن قلبى لم يهدأ مُذ قابلت ذاك الشاب.

فرحت السيدة الملكة فرحاً شديداً وأسرعت إلى سيف الملك وأحضرتة إلى خيمة بديعة الجمال ووضعت يد كل منهما فى يد الآخر.

منذ ذلك اليوم وما بعده عاش سيف الملك وبديعة الجمال سوياً فى مكان واحد، وتعاهدا على أن يُخلص كل منهما للآخر.

ذات يوم، إلتقت بديعة الجمال بالسيدة الملكة وقالت لها: يا أختى! أريد أن أعود إلى أهلى، لكنى أخاف ألا تتم الأمور كما أود.

كتبت بديعة الجمال رسالة إلى عمتها- تلك السيدة العاقلة- تحكى لها فيها قصة سيف الملك من أولها إلى آخرها، وطلبت منها تدبير الأمر؛ و فى نهاية الرسالة قالت لها:

لتعلمى أننى أحببت سيف الملك بجنون، والأمر متروك لك؛ ثم أعطت الرسالة
لسيف الملك ليرسلها إلى عمتها بطريقته الخاصة.

قالت السيدة الملكة لسيف الملك، حين التفتته وقد رآته فى حالة من القلق
والحيرة:

أيها الشاب الجالب للمتاعب والمشاكل! أعلم إن ابنة عمى تحبك كثيراً فاطمن،
فهى فى النهاية ستقيم حفل مراسم الزواج بك؛ ثم أخذته إلى حديقة بديعة
الجمال، وهناك أخذت منه رسالة بديعة الجمال وأوصلتها بطريقتها إلى عمها
الملك شاهبال.

وصلت الرسالة وقرأها الملك شاهبال ثم قال لمن حوله: أحضروا لى ذاك الشاب
بأسرع ما يمكن، فإن أربعة عشر ألفاً من الجن يتعقبونه، لأن شقيق جورجون
شاه - ملك الديوان - قد قُتل على يديه.

وقبل أن يأتوا ليأخذوا سيف الملك إلى قصر الملك شاهبال، كانت الجن بقيادة
جورجون شاه قد علمت بالأمر فهجمت على الحديقة وأسروا سيف الملك
وأخذوه معهم.

وصل الخبر إلى الملك، وقام الملك بريان والملك شاهبال بتجميع جيوشهما
وتوجها لقتال الجن الذين أسروا سيف الملك.

استمرت المعارك الدموية بينهما ثمانية عشرة يوماً بالتمام والكمال، وفى
النهاية وقع جورجون شاه أسيراً فى يد بريان وهربت جنوده كلها.

قال الملك بريان لجورجون شاه: إذا كان سيف الملك سالماً وفى أمان فستكون
أنت فى أمان.

قال جورجون شاه:

إنه سالم، وهو محبوس فى بئر خارج المدينة.

كان سيف الملك مريضاً وخائر القوى حين أخرجوه من البئر، فقامت السيدة

الملكة على تمريريه ورعايته حتى استرد عافيته مرة أخرى.

قال الملك بريّان:

إذا كان سيف الملك يريد الزواج من ابنتي فعليه أن يجتاز عدة إختبارات؛ وأمر بإحضار سبعة آوان من الخمر ليشرّبها سيف الملك، وكان هذا أول إختبار، فقام سيف الملك بشرب الآنية السبعة فى دفعة واحدة دون أن يظهر عليه أثر الخمر. قال الملك:

برافو، لقد اجتزت الإختبار الأول، وعليك الآن أن تقول لى، هل عدد الرجال فى الكون أكثر أم عدد النساء؟

أجاب سيف الملك:

بالتأكيد عدد النساء أكثر.

قال الملك أيضا برافو على هذه الإجابة؛ ثم سأله مرة أخرى وقال له: هل تستطيع أن تقول لى عدد الموتى فى هذه الدنيا أكثر أم عدد الأحياء؟ قال سيف الملك: الأموات.

سأله الملك: الخراب أكثر فى هذه الدنيا أم العمران؟

أجاب سيف الملك: الخراب.

قال الملك شاهبال:

إن سيف الملك هذا شاب متكامل وذكى، وأنا موفق على زواجه من ابنتي؛ وأنت يا أكبر شاه، إحضر ابنتك السيدة الملكة لتتزوج من الصاحب. نعم، أقيمت الأفراح لمدة أربعين يوماً بلياليها، وفى نهايتها حضرت بديعة الجمال لعقد قرانها على سيف الملك، كما حضرت السيدة الملكة لعقد قرانها على الصاحب.

فى يوم من الأيام، وبعد فترة من الزمن قد مضت، جاء سيف الملك إلى حضرة الملك وقال له: سلمت لنا أيها الملك! نحن نرغب فى العودة إلى مصر، لأن

آبائنا وأمهاتنا ينتظروننا بفارغ الصبر، فاسمح لنا فى العودة.

سمح لهم الملك بالعودة، وطلب منهم أن يأخذوا معهم بعض الفاتنات إلى مصر؛ ثم قال سيف الملك: أيها الملك! أنت سمحت لنا بالرحيل، لكن علينا أولاً أن نزر بلاد الصين فى طريقنا إلى مصر.

إتجهوا، بعد مراسم التوديع إلى الصين ومعهم بعض الحوريات الفاتنات، وهناك لاحظوا أن كل الناس يرتدون الملابس السوداء وقيّمون العزاء، فسألهم سيف الملك: لماذا يلبس الناس هنا السود وقيّمون العزاء؟.

فأجابوه: ان ابن ملكنا بالتبنى، سيف الملك قد غرق فى البحر ومات، لذا فالناس هنا يرتدون السود وقيّمون العزاء حزناً على موته.

توجه سيف الملك على الفور إلى قصر الملك، وعندما رآه ملك الصين فرح فرحاً شديداً.

عمّ خبر عودة سيف الملك كل مكان فى البلاد، ونزع الناس الملابس السوداء وارتدوا ملابس الفرحة الزاهية الألوان.

مكث سيف الملك وكل من معه ضيوفاً لدى ملك الصين لمدة أربعين يوماً، أقيمت فيها الأفراح واحتفالات الزواج طيلة هذه المدة بأمر من الملك.

بعد الأربعين يوماً طلب سيف الملك من الملك السماح لهم بالعودة إلى مصر، فسمح لهم، وأمر بإعداد هودجين مُرَصَّعين بالذهب، جلس فى أحدهما سيف الملك وزوجته وجلس فى الآخر صاحب زوجته، وبصحبة إثنا عشر ألفاً من الفرسان، أخذوا طريقهم إلى مصر.

سارت القافلة وقطعت البلاد والوديان والجبال؛ وكان قد بقى ثلاثة أيام على الوصول إلى مصر حين وصل الخبر إلى الملك صفقان، الذى أعد العدة لاستقبال ابنه ومن معه، فخرج بصحبة وزيره وكبار رجال الدولة والأعيان والقادة لاستقبالهم خارج المدينة، وبكل الفرحة والسرور والإجلال سار الموكب إلى

المدينة؛ وبأمر من الملك أقيمت الإحتفالات ومآدب الطعام وعُلقت الزينات
والمصابيح لمدة أربعين يوما بلياليها.
ثمّ ... جلس سيف الملك على عرش المملكة وعيّن الصاحب وزيرا له وقضوا
عمرا مديدا فى سعادة وهناء.
كذلك أنتم، عيشوا زمانكم بسعادة وهناء.

* * * * *

٨- حكاية أبر

كان وما كان، فى مكان ما تحت القبة الزرقاء، كان هناك ملك يحكم، وكانت إحدى عينيه ضعيفة البصر ولذلك كان يُعرف بالملك الضرير، وفى يوم من الأيام جمع كل المنجمين فى بلاط القصر وقال لهم: من الضرورى جداً أن تضربوا الرمل وتعرفوا لى ما هو علاج رد بصرى.

ضرب المنجمون الرمل ثم قالوا للملك:

يا قبلة العالم! إن علاج بصركم فى سمكة حمراء تعيش فى بحر بلادنا، فلو تمكنتم من اصطياد هذه السمكة فستشفى عينكم المريضة بإذن الله.

استدعى الملك صياد القصر وأمره قائلاً: اذهب الآن إلى عرض البحر ومعك معدتك وأدوات الصيد واجلب لى السمك الأحمر فقط واحضره إلى هنا بأسرع ما يمكن.

بينما كان الصياد يجهز لرحلة الصيد إذ حضر إليه إبراهيم (ابن الملك) وقال له: أنا سوف أرافقك فى هذه المهمة.

ذهب الصياد ومعه إبراهيم إلى البحر، ألقى الصياد شبكته فى البحر، ألقاها مرات ومرات ثم فى النهاية وقعت فى الشبكة سمكة حمراء اللون، كانت السمكة جذابة جداً، فافتتن إبراهيم بهذه السمكة العجيبة الجميلة ورق قلبه لحالها فأعطى الصياد مقداراً من الذهب وقال له:

أطلق هذه السمكة المسكينة لتذهب لحال سبيلها.

وافق الصياد على كلام إبراهيم وأطلق السمكة، وعندما حل المساء ناما، وفى صباح اليوم التالى قاما، وكما فى اليوم السابق، ألقى الصياد شبكته واصطاد - بعد جهد وتعب- سمكة حمراء، فقال له إبراهيم:

أطلق سراح هذه السمكة المسكينة وسأعوضك عنها مقداراً من المال.

فقال الصياد :

إن والدك هو الذى أمر بأن أصطاد له هذا السمك الأحمر.

قال إبراهيم:

ليكن ما يكون، الكلمة هنا لى أنا وعليك تنفيذ كل ما أقوله لك، هيا اترك السمكة فى البحر.

نقذ الصياد الأمر، وفى اليوم الثالث أيضاً فعل كما فعل فى اليومين السابقين، فاصطاد سمكة حمراء مرة أخرى، فاغتاظ إبراهيم وتعصب وأخذ السمكة بنفسه من الصياد وألقى بها فى الماء.

استتبأ الملك الصياد فأرسل فى طلبه، وحضر الصياد فقال له الملك:

أما قلت لك منذ أيام أن تجلب لنا سمكاً أحمر من البحر؟.

قال الرجل وهو يرتعد من الخوف:

تسلم أيها الملك! مدة ثلاثة أيام كنت أصطاد السمك، لكن كان إبراهيم يطلقه منى فى البحر مرة أخرى.

أرسل الملك فى طلب إبراهيم وقال له:

ألم يرق قلبك لحال أبيك، أتكراه أن تسترد عيني بصرها مرة أخرى؟ أنت جاحد

ولا تستحق أن تكون ابناً لى، عليك أن تخرج من هذه البلدة إلى غير رجعة.

امتطى إبراهيم حصانه وتحرك فى الصحراء يهيم على وجهه، وسار حتى وصل إلى مشارف مدينة، فرأى على مسافة قريبة خيمة فدار حولها بفرسه ثم ترجل

عند ركن من أركان الخيمة وصاح :

ياصاحب المنزل، ياصاحب المنزل.

خرجت امرأة عجوزا فسلم عليها إبراهيم وسألها عن أحوالها ثم قال لها:

يا أماه! ألا تستقبلين ضيفاً؟.

قالت العجوز:

الضيف حبيب الله؛ قدوم الضيف على عيني.

دخل إبراهيم الخيمة وجلس في ركن منها وقدمت له العجوز الطعام والشاي.
سألها إبراهيم:

يا أمي العزيزة! هل لديك أخت أو أخ أو ابن؟
قالت:

ليس لدى أقارب، فأنا وحيدة يا بُنى.

- ألا تقبليني ابناً لك وتسمحين لي أن أعيش معك كأم وابنها؟.

- حسناً جداً يا بُنى، طبعاً أقبل.

أخذ إبراهيم حصانه إلى السوق وباعه واشترى لحم وأرز وسمن وحبوب وعاد إلى خيمة العجوز؛ كان إبراهيم دائماً ما يحضر الطلبات من السوق، وتقوم العجوز عادة بالطبخ وإعداد الطعام ويأكلان سوياً.

ذات صباح، ذهب إبراهيم إلى السوق كعادته فرأى حشداً من الناس يلتفون حول بائع يضع أمامه صندوقاً لبيعه وكان ينادى:

المشتري نادم والبائع أيضاً نادم وقيمته مائة تومان.

كان الناس يطلبون من البائع أن يفتح الصندوق ليروا ما بداخله،
لكنه كان يقول:

لن أفتح غطاء الصندوق، أنا أبيع على حاله وهو مُغلق.

أعطى إبراهيم البائع مائة تومان وحمل الصندوق إلى الخيمة، وهناك فتح غطاءه وهنا انعقد لسانه من الدهشة وفغر فاه وجحظت عيناه، إذ رأى داخل الصندوق صبي يافع، نهض وقال: كيف أنت يا إبراهيم كيف حالك وأحوالك.

إبراهيم الذي كان في حالة اندهاش سأل:

من أين جئت باسمي؟ وكيف عرفتني؟.

- أنا أعرفك جيداً.

- من أنت؟ وما هو اسمك؟.

- إسمى أبرّ.

بعد هذا الحوار والتعارف أعطاه إبراهيم ستة نقود شاهى (الشاهى: عملة جزء من الريال) وقال له:

اذهب واشترى لنا أرزاً وتعال.

ذهب أبرّ إلى دكان الأرز وقال للبقال:

يقول لك أبى، خذ هذه النقود واعطنى بها نصف كيلو أرز.

فقال البقال :

ولد غبى صحيح! وهل أعطيتُ أحداً من قبل نصف كيلو أرز بستة شاهى؟.

ضرب أبرّ البقال فسقط على الأرض مغشياً عليه وأخذ كيس أرز وذهب به إلى البيت؛

علم إبراهيم بما حدث من الصبى وقال فى نفسه:

إن الولد المجهول الهوية هذا قد يخلق المشاكل ويسبب لى متاعب كثيرة.

مرة أخرى، أعطى إبراهيم لأبرّ نقود (ثلاثة شاهى) ليشتري بها سمن، أخذ أبرّ النقود

وخرج من المنزل مسرعاً متجهاً إلى دكان الزيت والسمن، وقال للبقال:

يقول لك أبى، خذ هذه الثلاثة شاهى واعطنى نصف كيلو سمن.

اشتات البقال غضباً، وقال له بعصبية:

أيها المجنون! هل يوجد نصف كيلو سمن بثلاث نقود شاهية؟.

وجّه أبرّ إلى أذن البقال لكمة قوية فسقط - كالبقال الأول- مغشياً عليه، وأخذ

صفحة السمن إلى منزله، وهناك أعاد لإبراهيم النقود وقال له:

أبى العزيز! يقول لك البقال إن هذه النقود مزيفة.

تعجب إبراهيم من تصرفات هذا الولد وقال فى نفسه:

أعوذ بالله من هذا الولد! إنه قد يسبب لى صدام مستمر إذا استمر على هذا الحال.

صاح إبراهيم مرة أخرى على أبر وأعطاه ثلاث نقود شاهية وقال له:
اذهب إلى دكان العلف واشتر لنا شعيراً.

ذهب أبر إلى محل بيع الشعير وقال للبائع :
خذ هذه النقود الثلاثة واعطنى كيلو شعير.

- أيها الطفل العزيز! هل يعطون بثلاثة نقود شاهية كيلو شعير؟.
- ولم لا يعطون؟.

- إن هذه النقود أقل بكثير من ثمن كيلو الشعير.

وكعادته سدد أبر قبضة قوية إلى وجه بائع الشعير وأخذ كيلو شعير وعاد إلى البيت ووضع النقود أمام إبراهيم وقال له :
يقولون إن هذه النقود مزيفة.

كان أبر قد اشتهر بهذه المشاغبات وإثارة المشاكل فى المدينة، ففى كل مرة يرسله فيها إبراهيم لأى عمل كان يأتى ومعه مشاكل وصدام جديد، وعندما يرسله ليشتري شيئاً ما، لا يعطى للبائع النقود، بل يضربه ويأخذ السلعة ويهرع بها إلى البيت.

فى يوم من الأيام ساقته قدماه إلى ورشة حدادة، فقال للحدّاد:

ياأسطى ! أرغب فى أن تصنع لى رمحاً بطول أربعة أمتار ووزن اثنا عشرة كيلو جراماً.

قال له الأسطى الحدّاد:

من الآخر، إن رمحاً بهذه المواصفات يا بُنى لا يستوعبه كور الحدادة عندى.
قال أبر بعصبية:

يجب عليك الطاعة لما أقول والتصرف وإلا كسرت أنفك؛ وفى نفس الوقت

أخرج من جيبه مبلغاً من المال وأعطاه للحدّاد، كان الحدّاد يعلم مسبقاً أن أبرّ يحصل على أى شيء يريد به بالقوة ولا يدفع ثمنه، وعندما رأى النقود تهلّل وجهه وقال: حسناً، سأحاول بأى طريقة أن أجهزه لك.

فى النهاية، استطاع الحدّاد أن يجهز الرمح بالمواصفات الحسابية المطلوبة بدقة وبصعوبة و جهد مضمّن.

حضر أبرّ وأخذ الرمح وحمله على كتفيه وذهب به إلى المنزل، وعندما رأى إبراهيم أبرّ يدخل البيت وعلى كتفيه هذا الرمح الطويل والثقيل قال فى نفسه: يا ولى من هذا الولد! فإمّا أنه يبتغى رئاسة، وإمّا يريد إثارة الفتن والاضطرابات، لكنه لم يقل أى شيء ولم يسأل أبرّ عن شيء أيضاً. وعند الغروب رفع أبرّ رمحه على كتفه وقال لإبراهيم: هيا تعال معى يا أبى.

كان إبراهيم فى حالة قلق واضطراب، نهض وسار معه - مضطراً دون أن يسأله إلى أين هم ذاهبون- حتى وصلوا مكان به عمارة فخمة وأنيقة، فوقفوا على مقربة منها وقال أبرّ لإبراهيم:

إن هذه العمارة التى تراها يا سيدى هى منزل السيدة نجمة بنت الملك، وهى الآن نائمة وعليك أن تدخل إلى غرفتها وتقبلها على وجنتها وتعود إلى هنا دون أن تلمس أى شيء آخر، وإلا سحقت رأسك بهذا الرمح.

سار إبراهيم إلى العمارة ودخلها ثم دخل غرفة الفتاة فرأى جمالها ثم دنا منها بحذر حيث كانت نائمة وقبل وجنتها وعاد أدراجه؛ استيقظت الفتاة فى الصباح وارتدت ملابسها ثم اتجهت ناحية الحوض لتغسل يديها ووجهها، فنظرت فى

المرأة فرأت وصمة صغيرة على إحدى وجنتيها، لكنها لم تهتم بذلك كثيراً.

فى اليوم التالى وعند الغروب أيضاً كرر أبرّ ما حدث بالأمس، حيث حمل رمحه وقال لإبراهيم: هيا انهض يا سيدى لنذهب.

لم يبدى إبراهيم من الخوف أى اعتراض، فنهض وسار معه إلى أن وصلوا قرب تلك العمارة نفسها، فقال أبر لإبراهيم: فلتذهب الآن إلى غرفة الفتاة وتقوم بتقبيل وجنتها الأخرى، ثم ترجع دون أن تلمس أى شىء وإلا ضربتك بهذا الرمح ضربة تجعلك كقطعة مجنونة تدور دوران النحلة.

سلك إبراهيم طريقه السابق وقبل الفتاة على وجنتها الأخرى ثم رجع إلى أبر دون أن يلمس شيئاً؛ عادا إلى البيت وناما؛ وكالمعتاد، استيقظت نجمه هانم وذهبت إلى الحوض لتغتسل فرأت حين نظرت فى المرآة وصمة على وجنتها الأخرى، فقالت فى نفسها:

لأبقى الليلة القادمة مستيقظة حتى أرى ما الذى يحدث، ومن ذا الذى يدخل إلى غرفتى ليلاً و يفعل ذلك.

فى الليلة الثالثة أيضاً أخذ أبر إبراهيم إلى نفس المكان وقال له: اذهب إلى الفتاة كالعادة، فإذا سألتك أو طلبت منك شىء يجب عليك أن تخبرنى. دخل إبراهيم العمارة وذهب إلى غرفة الفتاة، كانت نجمة هانم يقظة وعيناها مغمضتين، وحين دخل إبراهيم الغرفة شعرت به فنظرت من بين جفניה فرأت الشخص الذى كان يأتى إلى حجرتها، إنه شاب راشد وليس له فى الجمال مثيل فأحبهته كما لم تحب من قبل، نهضت من مكانها وقالت:

أيها الشاب ، من أنت ؟ وماذا تفعل هنا؟.

- اسمى إبراهيم وابن الملك الضرير.

- يا إبراهيم! هل يمكنك أن تصطحبنى معك؟.

- اصبرى لحظة حتى أرجع إليك.

خرج إبراهيم وقال لأبر:

إن نجمه هانم سألتنى إن كنت أستطيع اصطحابها معى.

قال له أبر:

اذهب وقل لها يمكنني ذلك.

عاد إبراهيم إلى نجمه هانم وقال لها:

يمكنني أن أصطحبك معي.

خرجت الفتاة من الحجرة وجهزت جوادين احدهما لها والآخر لإبراهيم، ركبا وسارا في طريقهما وسار أبر خلفهما يراقبهما ويزود عنهما المهاجمين من الخلف؛ وحين أشرقت الشمس أدرك الخدم والوصيفات أن نجمه هانم لم تخرج من غرفتها حتى هذا الوقت، وذهبوا إلى غرفتها لكنهم لم يجدوها هناك فأخبروا الملك بأن نجمه هانم اختفت وربما تكون قد اختطفت في المساء.

أصدر الملك أمراً بأن يستعد الجنود للبحث وتعقب الخاطفين، استعد الجنود وخرجوا يتعقبونهم؛ شعر إبراهيم بالجيش يتعقبه، وعندما رأى أبر الجيش على بُعد قال لإبراهيم ونجمه هانم:

سيراً على مهل حتى أرجع إلى ذاك الجيش لأنظر ماذا يريدون وأعود إليكم. وعندما ولى أبر وجهته ناحية الجيش عائداً إليهم قال إبراهيم للفتاة: هيا بنا نسرع السير لنهرب من هنا، لأن هذا الجيش القادم خلفنا سوف يقتل أبر ويأخذونك مني ولا أدري ما حجم المصيبة التي ستحل على رأسي؛ فأطلق إبراهيم ونجمه هانم العنان لفرسيهما وفرّا من هذه المعمة؛ في ذات الوقت كان الملك قد حضر برفقة وزيره وعدداً من الحُرّاس للصيد، فرأوهما وهما يهربان فأمر حُرّاسه بالقبض عليهما.

بأمر من الملك، ألقوا بإبراهيم في بئر وأخذوا الفتاة إلى بلاط الملك.

إسمعوا الآن عن أبر.

عندما اقترب الجيش قام أبر بتدوير الرمح الحديدي عدة مرات في الهواء بقوة ثم قذفه لأعلى فارتفع الرمح ثم عاد إلى الأرض بقوة فأحدث بها فتحة كبيرة

وعميقة خرج منها الماء عالياً بشدة وتحول الماء إلى نهر له هدير فحال دون تقدم الجيش، ولولا هذا لاستطاع الجنود تنفيذ أمر الملك، لكنهم اضطروا للعودة.

عاد أبرّ ليلحق بإبراهيم والفتاة فلم يجد لهم أثر وتلفت حوله فرأى على بُعد عمارات فخمّة أن تكون هناك مدينة فसार إليها، وهناك رأى أطفال يلعبون وكان ولدٌ أصلع قريباً منهم ينظر إليهم فسأله أبرّ: أيها الأصلع ! لم لا تلعب معهم؟.

قال الأصلع:

لأنى أحنث بوعدي، لذا لا يسمحون لى باللعب معهم.
قال أبرّ:

هذا واضح من شكلك، سأفرض الآن أنك ذكى وعاقل، خُذ هذه النقود وأخبرنى عن الفتى والفتاة الذين قبضوا عليهما، إلى أين أخذوهما؟.
أخذ الأصلع النقود بسرور وقال لأبرّ:

ضع قبعتك على رأسى وأنا سأخلق فى الفضاء، وأى عمارة أعلق عليها قبعتك تكون هى المكان الذى فيه الفتاة، وأى مكان أهبط فيه على الأرض يكون فيه الفتى.

ارتدى الأصلع قبعة أبرّ وطار فى الهواء، وتتبعه أبرّ وهو يصيح:
أيها الفتى السىء الطبع، أيها الناس الحقوا بهذا الإنسان غريب الشكل.
كانت العمارة التى فيها الفتاة قريبة جداً من قصر الملك، علق عليها الأصلع القبعة وطار بعدها قليلاً ثم سقط بنفسه على الأرض حيث كان الفتى؛
ترك أبرّ قبعته وهرع إلى حيث نزل الأصلع، فإذا هناك بئر وعلى فوهته حجر كبير، أزاح أبرّ الحجر ونادى: يا إبراهيم!.

صاح إبراهيم من قاع البئر: أنا هنا يا عزيزى.

قال له أبر:

ألم أقل لكما قودا الجياد على مهل حتى أعود وألحق بكما؟.

ألقى أبر حبلأ الى إبراهيم ليمسك بطرفه وقام بسحبه من البئر.

أخبر الحرأس الملك بأن هناك بطلاً قد دخل المدينة وأخرج إبراهيم من البئر، وكان يتجسس على أحوال المدينة.

حمل أبر إبراهيم وجاء به إلى قصر الملك.

عندما رأى الملك أبر عرف أنه بطل حقاً، وأنه لا يهزم أبداً، ولو نطق معه بكلمة فقد يدمر المدينة ويذهب، فاتجه ناحية وزيره وهمس في أذنه: ما التدبير أيها الوزير؟.

قال له الوزير:

يا قبلة العالم! أنا أرى أن تزوجه من ابنتكم، فيصبح من العائلة.

سأل الملك أبر:

ما أسمك أيها الشاب؟.

- إسمى أبر.

- يا أبر! أنا عندى ابنة وأريد أن أزوجه لك، فهل تقبل الزواج منها؟.

قال أبر بحزم ولهجة قاطعة: لا، فليس فى نيتى الزواج، لكن الفتاة التى أسرتموها، عليكم أن تطلقوا سراحها الآن حتى يتزوج بها إبراهيم.

أفرج الملك عن الفتاة مضطراً وأمر بإقامة حفل العرس، وأتوا بالفتاة وإبراهيم وزوجوهما؛ بعد انتهاء مراسم الزواج أحضرهم الملك أمامه وقال لهم:

بإمكانكم البقاء معنا إذا رغبتم فى ذلك.

قال أبر: لا، نشكركم على حسن الضيافة، نريد أن نذهب.

أتى الملك بحصان للفتاة وأمر بإحضار حصانين لكل من أبر وإبراهيم.

ركبوا جيادهم وملكوا طريقهم، ذهبوا بعيداً بعيداً فى الصحراء، وفجأة ظهر لهم

شبح، وقف أمامهم وجها لوجه، فقال أبرّ لمن معه:
اذهبا أنتما وسيرا رويداً رويداً وسألق بكما، فأنا أعرف كيف أتفاهم مع
الأشباح.

قال إبراهيم للفتاة:

هيا بنا نهرب من هنا، فإن الأشباح ستقتل أبرّ وتأتى لتأخذك أنت أيضاً منى.
كانا شبحين، فتبارز معهما أبرّ وفي نفس اللحظة كان إبراهيم والفتاة قد هربا
بجواديهما؛

طارد أبرّ الأشباح ففرّ أحدهما ناحية الشرق وفرّ الآخر ناحية الغرب؛
فى هذا المكان من الصحراء أيضاً جاء ملك ومعه مرافقيه فى رحلة قنص،
فرأوا إبراهيم والفتاة وهم يفرّان، فأمر بالقبض عليهما... ثم ألقوا بإبراهيم فى
الجُب وأخذوا الفتاة معهم إلى القصر.

بعد ما تخلّص أبرّ من شر الأشباح عاد ولم يجد لإبراهيم والفتاة أى أثر، وبينما
هو يسير إذ رأى مزارعا كان مشغولاً بحرث الأرض، أمعن أبرّ النظر فرأى أن
الرجل نفسه أسود اللون والثور المعلق فى المحراث أسود ومغطى بالسواد
أيضاً وكذلك المحراث الذى يمسك به، طلىّ باللون الأسود.

حيّا أبرّ المزارع وقال له:

قواك الله وأبقاك طيباً وأطال عمرك.

ثم سأله:

قل لى يا والدى العزيز! إذا كان الثور لونه أسود، فلماذا هو مغطى بالأسود؟
كذلك المحراث، لماذا طلىّ باللون الأسود؟.

أجاب المزارع:

إن ملكنا كان قد قبض على شخصين فى منطقة صيده وأحضرهما إلى هنا، لذا
فنحن فى هذه الحالة نراعى شعور الغرباء، واتفقنا أن كل ما فى المدينة يوشح

بالسواد.

سأله أبر:

ألا تعرف المكان الذى أخذوهم إليه؟.

قال الرجل:

فى الحقيقة هناك مبنى جميل بجوار قصر الملك، هو منزل ابنة الملك، قد يكونوا أخذوا الفتاة إلى ذلك المبنى، أما الفتى فقد ألقوا به فى الجُب؛ اذهب إلى المدينة واسأل أى شخص يقابلك عن الجُب فسوف يدلك عليه.

دخل أبر المدينة فوجد أن كل ما قاله الرجل المزارع صحيح، فقد رأى كل أهل المدينة يرتدون السواد.

استفسر أبر عن مكان الجُب وذهب إليه، فوجد على فوهة الجُب حجرا عظيما فرفعه وصاح:

يا إبراهيم، يا إبراهيم!.

صرخ إبراهيم من قاع الجُب:

أنا هنا يا عزيزى.

قال أبر بانزعاج وتعصب:

ألم أقل لكم أيها الأحقق أن تسيروا ببطء حتى أعود إليكم؟.

حل أبر الحبل من وسطه وألقى به إلى إبراهيم رفعه لأعلى، لم يتجرأ حراس الملك

حين رأوا قوته وذكائه على أن يقوموا بأى رد فعل تجاهه ولم يتفوهوا بكلمة أمامه، لكنهم أخبروا الملك بكل ما حدث وما رأوه.

مال الملك على وزيره وقال له:

دبرنا أيها الوزير.

قال الوزير:

فى هذه الحالة لا تدبير سوى أن تطلقوا سراح الفتاة.
فى هذه الأثناء جاء أبر إلى قصر الملك ومعه إبراهيم، وما أن دخل على الملك
ونظر الملك إليه فهم فى الحال أن هذا البطل لا يدانيه أحد.

قال الوزير - وكان يجلس بجوار الملك :-

يا قبله العالم! بعد تفكير مضمنى توصلت إلى نتيجة، هى أن الوسيلة الوحيدة
لحل هذه المعضلة أن تزوجوا هذا الشاب من ابنتكم فيصبح بذلك من العائلة.
قال الملك: فكرة صائبة.

دعا الملك أبر وإبراهيم للجلوس ثم اتجه ناحية إبراهيم وسأله:
ما اسمك أيها الشاب؟.

رد أبر:

أنا إسمى أبر وهو اسمه إبراهيم.

قال الملك:

يا أبر! أنا عندى ابنة فى سن الزواج، فهل تقبل بها زوجة؟.
قال أبر:

لا، شكراً، أنا لست أهلاً للزواج، لكن إبراهيم له زوجة وهى سجينه لديكم،
فارجوا من حضرتكم أن تطلقوا سراحها لى نرحل إلى ديارنا وأهلينا.
أمر الملك بإحضار نجمه هانم إلى زوجها، وأعطى كل واحدٍ منهم جوادا وسمح
لهم بالرحيل.

رحل أبر وإبراهيم ونجمه هانم وذهبوا بعيدا حتى وصلوا الى مقربة من البلد
التي يحكمها والد إبراهيم؛ وهناك نظر أبر الى إبراهيم وقال له:

دعنى أحدثك يا إبراهيم فى أمر هام، لو ذهبت إلى قصر أبيك فسيقتلك.
فسأله إبراهيم:

لماذا يقتلنى؟.

قال أبر:

أنا تلك السمكة الحمراء التي أخذتها من يد الصياد ثلاث مرات وأطلقتها في البحر، وفي مقابل تصرفاتك الحسنة هذه كنت رفيقك في السفر، وأوصلتك للارتباط بزوجتك هذه، وأنقذتك من شدائد كثيرة وقعت فيها، والآن إذا لم تصغ إلى حديثي وتعمل به فحتماً ستلقى حتفك.

قال له إبراهيم:

بعد أن صاحبتك وكنت رفيقك في السفر كل هذه المدة تعلمت الكثير واستفدت من هذه التجربة، أنت مخلوق طيب القلب وينبغي على أن أصغ لكلامك جيداً وأن أعمل به.

قال أبر:

عندما تعود إلى بيتك سيضع والدك لك السم في طعامك، فقبل أن تأكل منه ألق بقطعة من الطعام إلى كلب أو قطة، فإذا مات ذلك الحيوان فاعلم أن والدك كان يقصدك أنت، لهذا وفي هذا الوقت بالذات عليك أن تقتل أبيك وتتصب نفسك مكانه ملكاً؛ يجب أن أذهب الآن؛ أترككم في رعاية الله وحفظه.

عانق أبر إبراهيم وحيّا نجمه هانم وانطلق قاصداً البحر الذي كان قريباً منهم؛ كان إبراهيم حزيناً جداً لفراق أبر.

كان إبراهيم لا يزال في مكانه ينظر إلى أبر نظرة مليئة بالحب والعاطفة الجياشة تجاهه، إذ رآه فجأة وقد تحول إلى شكل تلك السمكة الحمراء الجميلة وعليه درع، ومن ثم قفز في البحر.

أخذ إبراهيم ونجمه هانم طريقهما إلى المدينة، وما أن دخلاها حتى هرع بعض الأشخاص الذين يعرفون إبراهيم جيداً إلى البلاط ليخبروا الملك بأن إبراهيم ومعه فتاة جميلة قد حضرا، فأمر الملك بأن ينعموا على هؤلاء الذين بشّروه؛ لكنه قال في نفسه:

ها أنت يا إبراهيم الذى كنت لا تدع الصيد يصطاد لعلاج عيني السمكة الحمراء، الآن حان وقت الانتقام، لكن على أى حال سأقتلك! .

خرج الملك متظاهراً بالسعادة والسرور لاستقبال إبراهيم وزوجته، وكان قد أصدر أمراً للطباخ بأن يعد طعام العشاء بأسرع ما يمكن.

أعدوا السفرة ورتبوا عليها أصناف الطعام، ووجد الملك الفرصة سانحة فوضع السمّ الذى كان قد أعده من قبل فى طبق إبراهيم دون أن يراه أحد.

حين اجتمعوا على السفرة نادى إبراهيم على إحدى الخادومات وطلب منها أن تحضر له قطعة؛ أحضرت الخادمة القطعة وسط دهشة الحاضرين لغرابة المشهد، فأطعم إبراهيم القطعة بنفسه وانتظر للحظة فرأوا جميعهم القطعة وهى تترنح ثم سقطت على الأرض دون حراك وفارقت الحياة.

خجل الملك من فعلته هذه وطلب من ابنه المعذرة ثم قام وضمه إلى صدره وأغرق وجهه ورأسه بالتقبيل، ثم أمر بإضاءة طرقات المدينة سبعة أيام بلياليها تفاعراً بقدم ابنه إبراهيم وزواجه من نجمه هانم.

أكلوا وشربوا وعاشوا زمناً فى بهجة وسعادة.

عليكم أيضاً أن تهنئوهم وتباركوا لهم.

* * * * *

٩- حكاية ايلزاد

كان وما كان، من قديم الزمان، كان هناك ملك ظالم، وكان لديه وزير أكثر منه ظلماً، وكانوا يسلبون أموال الناس بالقوة.

كان الناس يطلقون على الملك اسم "الظالم"، ويطلقون على الوزير اسم "الظلم"، وكان لكل واحدٍ منهما جماعة من الهجّامين البلطجية يتجسسون على الناس ليعرفوا ما لديهم من أشياء غالية وقيمة ويخبرونه بها.

فى يوم من الأيام جاءت بلطجية الوزير إليه وأخبروه أن هناك حدّاداً فى إحدى ورش المدينة لديه سيف لا يوجد له مثيل، ليس فى معسكر الجيش فقط، بل ولا فى مخزن الملك ذاته.

نهض الوزير بسرعة متجهاً نحو ورشة الحدّادة ليتأكد أن الحدّاد قد صنع سيفاً لا تملّ العين من النظر إليه من فرط جماله وجاذبيته.

أخذ الوزير يفكر فى الطريق، ويقول فى نفسه: هذا الأسطى قد يعرفنى حتماً، ولو قلت له ما أجمل هذا السيف فسيقول لى:

خُذْهُ، هدية لك؛ ولا يجب أن يعلم الملك بهذا الأمر، لأننى قد أضطرّ أن أهديه له، لذلك عندما أكون بعيداً عن الملك أربطه فى الحزام ليشاهده الجميع ويقولون: إن سيف الوزير أفضل من سيف الملك.

وصل الوزير إلى ورشة الحدّادة وفى ذهنه هذا التّخيل، فوقف الحدّاد وأدى واجب التّحية والتّعظيم، فنظر الوزير إلى السيف وقال: ما شاء الله عجباً، ما أجمل هذا السيف!.

قال الحدّاد:

نعم، سلّمكم الله، هو فعلاً حسنٌ جداً.

قال الحدّاد بعكس ما كان الوزير يظن ويتوقع، فلم يقل له خُذْهُ هدية لك.

عاد الوزير وهو غاضب وحزين لما حدث، وكان يعضُّ على شفتيه من الغيظ. ذات غروب جمع الوزير رجاله من الهجّامين والبلطجية وقال لهم: عليكم أن تهجموا هذه الليلة على المدينة، ولا تتركوا فيها حجراً على حجر. خرجوا من عنده وانشغلوا في وضع خطة الإغارة، وعند منتصف الليل هجموا كاللصوص على بيوت الناس في المدينة، فنهبوها ولم يتركوا فيها منزلاً إلا وسلبوا كل ممتلكاته، وعند الفجر اكتشف الناس أن أموالهم وممتلكاتهم قد سُرقت فجمعوا بعضهم بعضاً وكتبوا شكوى إلى الملك.

استدعى الملك وزيره وقال له:

ما هذا الذي فعلته أيها الوزير؟

قال الوزير:

يا قبلة العالم! يُقال أن حدّاداً في إحدى محلات المدينة كان يقضى أياماً في صنّع سيف، وكان يهجم على بيوت المدينة بالليل ويسرقها. أصدر الملك أمراً بأن يهدموا ورشة الحدّاد ومنزله، وأن يقبضوا عليه ويضعوه داخل جدار ويطلون عليه بالطين.

حزن الجميع لحال الحدّاد، خاصة وأن لديه طفل اسمه "إيلزاد" عمره سبع سنوات وكان يهيم على وجهه في الطرقات شريداً؛ كان جميلاً وذكياً لكنه فقد عائلته، وكان لا يستطيع تنظيف نفسه فصار أقرعاً، وأخذ الناس من حوله ينادونه إيلزاد الأقرع.

كان إيلزاد يقوم على رعاية خيول الناس وينام في الحظائر وكان يحب الخيول جداً، ولهذا كان أصحاب الخيول يحبونه كثيراً ويكثون له احتراماً. على هذا الأساس انتقلت سيرة العلاقة بين إيلزاد والخيول إلى كل مكان فأصبح مشهوراً، وسمع عنه الوزير أيضاً فاختاره مربياً لخيوله.

أخذت خيول الوزير تتحسن يوماً فيوم وانتشر صيتها في كل مكان، لذلك أحبّ

الوزير إيلزاد كثيراً وكان أحياناً يدعوهُ إلى منزله بعد فترة العمل.
كان للملك ابن، وكان للوزير ابنة، وكان لدى الوزير رغبة ملحة في أن يخطب
ابن الملك ابنته.

في يوم من الأيام خرج ابن الملك بصحبة أربعين شاباً للصيد فرأى سرباً من
طيور الحجل في الجو فأطلق العنان لصقره وراءها، لكن الصقر لم يأبه لطيور
الحجل وطار في اتجاه آخر، فانطلق الأمير خلفه بفرسه، الصقر في السماء
والأمير خلفه يسرع بفرسه على الأرض، حتى وصل بهم المطاف إلى قافلة في
الصحراء؛ كان في مقدمة القافلة صندوق كبير محمول كالهودج ومطلّى
بالذهب، وتجلس فيه فتاة، أبطأ الصقر من سرعته ودخل الصندوق وجلس في
حُضن الفتاة، فأخذت تداعبه وتمسح على رأسه، فاندھش الأمير الذي كان
يراقب الصقر حين رآه بين يدي الفتاة وانبهر بجمالها، فقد كان وجهها مضيئاً
كالقمر، وعيناها كنجمتين متلألأتين، وتخيل أن سهم الحُب استمد قوسه من
جمال تلك الفتاة، فانطلق ووصل إلى قلبها.

انفعل الأمير وقال للفتاة:

اعطني طائري بسرعة، فقد لفحت بالنار كل كياني.

قالت الفتاة بأدب جم وصوت رقيق:

أيها الفتى! أنا لم آخذ طائرك، إنما جاء بنفسه إلى هنا، هيّا خذ طائرك.

أخذ الفتى طائره، لكن لم يستطع أن يغض بصره عن الفتاة.

تناولت الفتاة إشارباً وعقدت في طرفه حفنة من التبغ وفي الطرف الآخر حفنة
من السكر وألقت به إلى الفتى، فتلقفه قبل أن يقع على الأرض وقبله وعطره.
وفي هذه الأثناء انطلقت القافلة في طريقها ورويداً رويداً حتى اختفت عن
العيون.

فجأة وصل مرافقوا الأمير فوجدوه مذهبولاً ومضطرباً ومرتبك الحال كالمجنون،

فعادوا به إلى بيته، فانزوى فى ناحية من الحجرة ولم ينطق بكلمة مع أحد وأصابه الهزال، ويوماً فيوم كان وجهه يزداد شحوباً وجسمه يزداد نحولاً، إلى أن جاءت أمه ذات يوم وسألته عما حدث معه.

قال الأمير:

أمى العزيزة! فى ذاك اليوم الذى خرجت فيه للصيد، رأيت فتاة داخل صندوق ذهبى كبير محمول مع قافلة، فإذا لم يساعدنى أبى فى البحث عنها فعليكم أن تسجنوا إبنكم، وأنظرى، هذا المنديل هى أعطتنى إياه، وهذا التبن والسكر كانا مربوطين فى طرفيه.

هرعت امرأة الملك فى الحال إلى زوجها وحكت له كل ما سمعته من إبنهما، فاستدعى الملك وزيره وقال له:

أيها الوزير! أنت تعلم أننى أمتلك نور عين واحدة فى كل هذه الدنيا، وهى إبنى الوحيد، فإن لم تستطع العثور على مكان الفتاة التى كانت فى داخل صندوق ذهبى كبير محمول مع قافلة عن طريق المنديل ومحتوياته فسأقطع عنقك وألقى بكل أموالك وممتلكاتك فى النار.

أخذ الوزير يبكى ويتوسل للملك أن يمهله لمدة أربعين يوماً.

فى كل يوم، كان الوزير يخرج بصحبة عددا من الفرسان إلى المدن والقرى للبحث والتقصى عن الفتاة التى كانت فى داخل صندوق ذهبى كبير محمول مع قافلة، وكان يدلى بالعلامات التى فى المنديل، لكنه لم يحصل على أى نتيجة إلى أن انقضت سبعة وثلاثون يوماً على هذا الحال ولم يتبقى إلا ثلاثة أيام فقط . ذهب ايلزاد الأقرع إلى منزل الوزير لأداء عمل، فرأى زوجة الوزير وإبنته

جالستين فى ركن من المنزل يبكين، فسأل:

سيدتى! ما الذى حدث فجأة جعلكن هكذا تبكيان؟.

قالت زوجة الوزير:

أيها الأقرع! أنت لا تستطيع معالجة آلامنا، فهي ليست جديدة.

قال ايلزاد:

بالله عليك يا سيدتي قول لى ماذا حدث، فقد أستطيع معالجة الأمر، فالأقرع له عقل كبير.

حكّت السيدة للأقرع عن كل ما حدث لهم، ثم قالت له:

يا أقرع ، لم يبقى على انتهاء المدة المحددة إلا ثلاثة أيام ثم يقطع الملك رقابنا ويحرق كل ما نمتلك.

قال ايلزاد:

سيدتي! إذا استطعت أن أحلّ مشكلة الوزير وأنقذكم وأموالكم من الهلاك، فهل تزوجونى تلك الفتاة التى تبكى؟.

ظنت السيدة إن كلام الأقرع ما هو إلا مزاح، فقالت له:

ماذا تقول؟ ، آه يا أنا منك.

قال ايلزاد بحدّة:

أنا أعرف المقصود من وراء السكّر والتبن، ولكن أقسم بالله، إذا لم تزوجونى من إبتكم هذه، فلن أتكلّم ولو مزقتمونى إرباً إرباً.

عندما حضر الوزير إلى منزله روت له زوجته كل ما دار بينها وبين الأقرع بالكمال والتمام، فاستدعى الوزير الأقرع وسمع منه، فكان نفس الكلام السابق الذى قاله لزوجته الوزير.

لم يأبه الوزير لكلام ايلزاد ولم يهتم بطلبه، ومع إلحاح ايلزاد نفذ صبر الوزير وصاح بعصبية و غضب:

إن لم تنته الآن سأمر بنزع جلد رأسك.

قال ايلزاد ببرود أعصاب:

أنا مستعد للموت الآن، لكن بعد ثلاثة أيام ستزال أنت وأسرّتك وممتلكاتك من

على الأرض.

قضى الوزير يومين من الجهاد والإجتهاد، واستخدم فيهما كل الوسائل التي يعرفها من السحر والطلاسم والمكر، حتى لا يرضخ لطلب ايلزاد؛ وفي النهاية لم يجد الوزير حيلة إلا أن يوافق على شرط ايلزاد.

فى اليوم التالى جاء ايلزاد إلى الوزير وقال له:

إن غداً هو آخر يوم فى المهلة المحددة، فإذا لم تضع يد ابنتكم الليلة فى يدى فلا تنتظرنى فى الغد.

ناقش الوزير الموضوع مع ابنته وأخذ موافقتها، وخرج مضطراً لعقد قران ابنته على ايلزاد، فوضع يد ابنته فى يد ايلزاد واصطحبهما إلى بيت الزوجية. فى صباح اليوم استيقظ ايلزاد مبكراً وذهب إلى الحمام.

لم يكن الوزير قد استيقظ، حين وصل سعاة الملك واحتشدوا حول بيته. نهض الوزير وذهب مسرعاً إلى حجرة ابنته وسألها عن الأقرع. قالت له الفتاة:

إنه فى الحمام.

ذهب الوزير بنفسه إلى الحمام وصاح:

هيا يا أقرع، تعجّل واخرج من تحت الدش.

فى حين كان الأقرع مستمتعا ومنشغلا باستحمامه.

وفى نفس اللحظة دخل السعاة البيت فقال لهم الوزير:

إن علاج ابن الملك فى يد هذا الشخص، إنه يعرف كل شئ، خذوه إلى الملك.

إقتادوه، وكان يمشى الهوينا إلى حضرة الملك.

والآن عمّاداً أخبركم! آاه، عن ملك سمرقند.

كان لدى ملك سمرقند ابنة وحيدة، وكان لوزير الملك ابن وحيد، وكان الملك يرغب فى أن يزوج ابنته من ابن الوزير لكن الفتاة ما كانت لها رغبة فى هذه

الزيجة.

كتبت الفتاة رسالة إلى والدها وأرسلتها إليه، ففتح الملك الرسالة وقرأها وكان مكتوبا فيها:

والدى العزيز الحنون! أنا مُدُ أتيتُ إلى هذه الدنيا وأنا حبيسة هذا القصر، أعيش فيه فى غرفةٍ بللورية، وما رأيتُ فى حياتى كلها شيئاً من محاسن الطبيعة، وما تذوقتُ من مرارات الحياة أوحلاوتها، ولا أعلمُ شيئاً عن ما هو حسن وما هو سئ، وتريد الآن أن تزوجنى! فاسمح لى على الأقل بالسفر والسياحة لمدة عام للتنزه، وبعد ذلك لك أن تزوجنى بمن تشاء وإلا فلن أتزوج أبدا.

لبى ملك سمرقند طلب إبنته الذى وجده منطقياً، فأمر بإعداد العربة الخاصة بها لى تسافر ومعها خادمها ولوازم الرحلة وكوكبة من الحرس.

سافرت الفتاة وطافت كل مكان فى البلاد، وبعد عامٍ كاملٍ من الترحال والتنزه نوت العودة، وفى طريق عودتها إلتقت بأمر قستنا هذه، ولأنها كانت ترغب فى لقائه ربطت له حفنة من التبى فى طرف منديلها وربطت فى الطرف الآخر حفنة من السكر وألقت به إليه.

هيا بنا نعود إلى أصل الموضوع.

حضر إلزاد الأقرع إلى حضرة الملك وأدى التحية وقال:

يا قبله العالم، لا خوف مطلقاً، فالفتاة التى أحببها إبنكم هى إبنة ملك سمرقند، لأن التبى والسكر هى علامات تدل على مدينة سمرقند، والآن كيف نحضر الفتاة؟! فإذا سمحتم هذا عملى أنا، لكن بشرط واحد فقط، وهو أن يحدد إبنكم الوقت الذى سنخرج فيه من هنا والوقت الذى نعود فيه سوياً.

بعد قليل من التفكير والتأمل توصل الملك إلى نتيجة مفادها أن ملك سمرقند أقوى وأكثر ثراءً منه، وأن العلاقات بينهما ليست على ما يرام، وأنه إذا أرسل فى طلب إبنته للزواج من إبنة فلن يوافق ملك سمرقند، لكن الأصلى سيحسم

الأمر بطريقته؛ لهذا وافق الملك على شرط الأقرع.
نادى الملك على ابنه ووضع يده فى يد إيلزاد وقال له:
أى بُنى، إن هذا الشخص هو الذى سيوصلك إلى حبيبتك، لذا رأيتُ أن أسلمك له
وعليك إطاعته فى كل ما يقوله لك.

بعد ذلك نادى الملك على الصرَّاف وأمره أن يضع تحت تصرف إيلزاد كل ما
يلزمه من الأموال والمجوهرات إستعداداً للسفر، ثم التفت إلى إيلزاد وقال له:
هذا خازنى وهذا ابنى وهذا أنت، إذهبا معه واحملا كل ما تريدان.
طلب إيلزاد أن يجهَّزا أربعين صندوقاً متماثلين فى الشكل ومختلفين فى اللون،
واختار أربعين شاباً من حاشية القصر وطلب من كل واحدٍ منهم أن يجهز لنفسه
حصاناً، ويجهز بغلاً ليربط عليه الصندوق برباط مُدَهَّبٍ.
أحضروا خادماً وسيماً وألبسوه زياً فاخراً، وأجلسوه فى صندوق وأوقفوا على
خدمته شاباً.

عباً إيلزاد صندوقين فقط بالمجوهرات وترك بقية الصناديق فارغة، وارتدى
هو زى كبير النُّجار وألبس ابن الملك زى الموظفين ... وبدأوا طريق السفر.
فى كل بلدةٍ من البلاد التى كانوا يمرُّون بها فى طريقهم كان الناس يخرجون
لمشاهدة هذا الموكب الفخم؛ ساروا وساروا، حتى وصلوا - بعد مدة من الزمن
تزيد عن الشهر - إلى سمرقند.

كان خبر وصول هذه القافلة قد سبقهم إلى مدينة سمرقند، وأخذ الناس هناك
ينتظرونها منذ عدة أيام مضت.

استأجرت القافلة إستراحة ونقلوا الصناديق إلى العُرف؛ وبحسب توصية إيلزاد،
كان كل أربعة شُبَّان يحملون صندوقاً، ليُقال أن الشُبَّان غير قادرين على حمل
الصناديق المملوءة بالمجوهرات، وفى الآخر نقلوا الصناديق المملوءة.
قال الباشتاخر (الذى هو إيلزاد) للموظف (الذى هو الأمير):

افتح الصندوق لنعطى الشُّبَّان مصاريقهم.

أحضر الموظف المفتاح وأعطوا كل شاب حفنة من الذهب، ثم حمل كل شابين صندوقاً من الصندوقين ونقلوهما إلى غرفة، وذلك ليُقال أن هذين الصندوقين أخفَّ من سابقهم.

ذاع صيت الباشتاجر وسخاء وكرم الموظف، والصناديق والبغال، وذاك الوسيم الذى كان فى الهودج؛ انتقلت السيرة من واحدٍ إلى آخر حتى وصلت فى النهاية إلى مسامع ملك سمرقند.

كان الملك ينتظر بفارغ الصبر رؤية الباشتاجر وما سيحضره معه من الهدايا. فى اليوم التالى جهَّز إيلزاد لفافة للملك، وكانت تحتوى على صينية مليئة بأنصاف مختلفة من المجوهرات وقال للأمير: ضع هذه اللفافة على رأسك وهيا بنا.

سار الباشتاجر وخلفه الموظف وعلى رأسه اللفافة، وسار خلفهما الأربعين شاباً وفى يد كل منهم سيفاً إلى قصر الملك؛ أخبر الحُرَّاس الملك بقدوم الباشتاجر فسمح لهم الملك بالدخول، دخل الباشتاجر وموظفه ووقف الفتيان خارجاً.

بعد التحية والسلام والسؤال عن الأحوال فتحوا اللفافة، فاندesh الملك حتى كادت عيناه تخرج من حدقاتها؛ فلم يرى فى حياته مثل هذه الهدية الثمينة؛ أوضح الباشتاجر للملك بأنهم ينوون الإقامة فى سمرقند لمدة ستة أشهر، وبعد الحصول على رضا الملك عادوا إلى مقر إقامتهم.

كان إيلزاد يبدل ملابسه كل ليلة ويخرج ليطوف فى المدينة بصحبة الأمير. فى ناحية من أطراف المدينة كانت تعيش امرأة عجوز فى كوخ صغير.

ذهب إيلزاد إلى كوخ العجوز وقال لها:

أمى العزيزة، نحن ضيوف الله إليك. قالت:

ليس عندي مكان للإستضافة.

أخرج إيلزاد من جيبه حفنة من الذهب ووضعها أمام العجوز؛ كانت العجوز قد قضت عمراً من الدهر فى الفقر وضيق ذات اليد، لذا برقت عيونها كعيون القطط، وقالت:

لتذهب روحى فدا الله وضيوفه، تفضلاً كلاً واشرباً، هذا من فضل الله، وغدا سيكون عطاؤه كبير.

إيلزاد الحديث مع العجوز فى موضوعات شتى من هنا وهناك، وفى النهاية تطرق إلى الموضوع الأساسى الذى جاءوا من أجله، فقال لها: أمى العزيزة، هل يمكن لك أن تصلى إلى ابنة ملككم؟.

نهضت العجوز وأعدت الذهب إلى إيلزاد وقالت له: كأنك صغير جداً، ولا يعرف أحد عنك شيئاً، فخذ نقود وانصرف من هنا بأسرع ما يمكن.

أخرج إيلزاد من جيبه - مرة أخرى - ذهباً ووضعها أمامها وقال لها: أمى العزيزة، سأعطيك ما تريدين من الذهب، لكن عليك فقط أن تصلى إلى الفتاة وتعطيها هذا الاشارب ثم تعودين لتقولين لنا كل ما قالته لك. وافقت العجوز وأخذت الاشارب ومعقود فى طرفيه التبن والسكر، ووصلت بطريقتها إلى ابنة الملك وأعطتها الاشارب، فعرفته الفتاة وتذكرت كل ماحدث حينذاك؛ وقالت:

أيها الفتيات، أنزلن إلى بستان الورد، وأحضرن منها عيدان لتضربن هذه العجوز حتى تفقد الوعى.

أوسعوها ضرباً حتى أنسوها اسمها، وبعد أن أفاقت أخذت - طوال طريقها إلى بيتها- تسب وتلعن ضيوفها؛ بينما كان الضيوف ينتظرونها، دخلت عليهم وقالت لهم: اللعنة على ذاك الطريق الذى أتى بكم إلى هنا، أنتم أناس شر وأذية.

أعطاهما إيلزاد حفنة أخرى من الذهب وقال لها:
أخبرينا، ماذا حلَّ بكِ؟.

قالت له:

ما الذى يفيدك مما حلَّ بى؟؛ أوسعونى ضرباً بأغصان الورود حتى كِدْتُ أفقد عقلى.

أعطاهما حفنة أخرى وقال لها: إلى اللقاء أمى العزيزة، وعادا إلى مسكنهم؛
وهناك قال إلزاد للأمير:

إن الفتاة ستنتظر الليلة فى بستان الورود، خُذْ معك شابيين واذهب لتتعرف على
البستان، وعندما يحلّ الظلام اقفز على الجدار واهبط داخل البستان وانتظر
الفتاة، لكن لا تنسى أنك لا يجب أن تنام، وأوصى الشابان بأن يحتاطوا ويعودا
مسرعين بعد أن يصل الأمير إلى البستان ... اعتلى الأمير الجدار وقفز داخل
البستان، وعاد الشابان.

تجوّل الأمير، وجال بنظره فى أرجاء البستان حتى وصل إلى شجرة ورد وجلس
تحتها ينتظر قدوم الفتاة، وما لبث أن استغرقه النوم، وحين أفاق وكان يفرك
عينيه إذا به قبل الفجر بقليل، فنهض مسرعاً وقفز خارج البستان ووصل إلى
مسكنه فسأله إيلزاد:

هل قابلت الفتاة؟.

قال الأمير:

لا، فقد غلبنى النعاس فنمت.

قال له إيلزاد:

أرنى جيبيك؛ فتحسس الأمير جيبه فوجد به الاشارب، أخرج به ولم يجد به التبن
والسكّر، ووجد مكانهما نرد وجوّز، فقال له إيلزاد:

إن الفتاة تقول لك:

اذهب والعب بعيد، فلن يتم زواجى منك.

رأى إيلزاد أن الأمير قد دمرَّ الخطّة، وحزن بشدة وقال له: لا تقلق، علينا أن

نذهب إلى العجوز مرةً أخرى، لكن يجب أن ننتظر يومان على الأقل حتى

تتحسن حالتها وتنسى آلامها.

ذهبوا إلى العجوز، وضع إيلزاد أمامها- هذه المرة- ستة حفّات من الذهب وقال

لها: أمّى العزيزة! من النهاية، عليك أن تذهبي إلى الفتاة وتعطيها هذا الاشارب،

وبعد عودتك سأعطيك ضعف هذا المبلغ.

مرة أخرى، أبرقت عيونها كعيون القطط، وافقت وأخذت الاشارب وذهبت به

إلى حجرة الفتاة وأعطتها إياه.

قالت الفتاة للخادّات: اذهبن وأحضرن أغصان من حديقة التفاح واضربن هذه

العجوز بقدر ما تستطيعن، حتى تفقد الوعي تماماً.

فعل الفتيات ما طُلب منهنّ، وسقطت العجوز فاقدة الوعي مرة أخرى ثم نهضت

وتحاملت على نفسها حتى وصلت بيتها، وهناك روت لضيوفها ما حدث معها.

قال إيلزاد للأمير: هذه المرة، الفتاة ستنتظر فى حديقة التفاح، فحاول ألا تنام.

ذهب الشاب إلى حديقة التفاح، وهناك حاول جاهداً ألا ينام، لكن النعاس غلبه

هذه المرة أيضاً؛ وعندما استيقظ من نومه، كان ما كان فى المرة السابقة، لكنه

وجد الاشارب خالى من أى شيء.

لم يوضح إيلزاد شيئاً عن الايشارب الفارغ، لكن سأله:

أيها الأمير! أظن أنّك نمت هذه المرة أيضاً؟؛ يجب أن نذهب لنلتقى بالعجوز مرة

أخرى.

بعد عدة أيام مضت، ذهبوا مرة أخرى إلى بيت العجوز وأعطوها كمية كبيرة من

الذهب وأرسلوها إلى بيت الفتاة، وفى هذه المرة كانوا قد ضربوها بأفرع من

شجرة الرُّمان ...

قال إيلزاد للأمير:

إنّ الفتاة ستأتى إلى حديقة الرُمان، لكن إطمئن، فهذه آخر فرصة لكن فإذا لم تراها هذه المرة فسوف نغادر من هنا فوراً؛ وسوف أعطيك خاتمي لتضعه فى أصبعك فانتبه له، فإذا أضعته فسوف أقتلك، وأنت تعلم بأن أباك أذن لى بقتلك. بعد ذلك، أوصى بعض المرافقين له أن يحصلوا على الخاتم من أصبعه خلسة دون أن يشعر بهم، وذلك أثناء محاولته دخول الحديقة.

تجول الأمير فى حديقة الرُمان لفترة قصيرة وشعر بالنعاس، فذهب إلى جدول ماء جارٍ تحت شجرةٍ ليستريح ويغسل وجهه ويديه، وعندما همَّ بغسل يديه نظر فلم يجد الخاتم فى أصبعه، فأدرك من الخوف أن إيلزاد لا محالة سيقطعه؛ خلع ملابسه ونزل فى الماء يرفع بيديه الحصى والرمال بحثاً عن الخاتم؛ مضى نصف الليل على هذه الحالة حيث حضرت الفتاة إلى نفس المكان ورأت الشاب فى الماء يرتعد من شدة البرد، فنظرت إليه وقالت: هيا اخرج وارتنى ملابسك. قال الأمير- الذى كان صوت اصطكاك أسنانه يُسمع- بلسان مرتعش:

لا..إذا لم أج د الخا تم ف س يق تل نى الأ ص ل ع ع ع.

قالت الفتاة: إنّ خاتمك مع الأصلع، لهذا كنتُ قد أرسلت الاشارب فارغاً، وهو فهم المقصود من هذا العمل.

خرج الأمير من الماء وارتنى ملابسه، وتجولا قليلاً فى الحديقة، وثرثرا معاً فى أمورٍ شتى، ثم انتهى بهما المطاف تحت شجرة لبلاّب، جلسا وتعاهدا أن يعيشا سوياً مرتبطين كأفرع اللبلاّب مدى الحياة.

لنذهب الآن ونقتفى أثر ابن الوزير.

يعلم ابن الوزير تمام العلم أن ابنة الملك لا ترغب فى الارتباط به، لذلك أمر أحد أفراده بتعقب خطوات ابنة الوزير ويتجسس عليها، ليستفيد من أى فرصة خطأ تقع فيها فيبلغ بها الملك فيعاقبها.

أخبر ذاك الجاسوس، ابن الوزير أنه:

فى إحدى الليالى، كان شاباً قد دخل إلى الحديقة، وبقي فيها طوال الليل، وخرج منها فى الصباح.

جمع ابن الوزير أفراد حرسه الخاص وذهبوا متخفين سراً إلى الحديقة؛ تجولوا وبحثوا فى كل مكان حتى وصلوا إلى حديقة اللباب، فى ذات اللحظة التى كانت فيها ابنة الملك فى حالة حُب وهيام وغفوة مع ولدٍ شاب؛ ربطوهما معا بالحبال واقتادوهما إلى غرفة حرس السوق؛ قال ابن الوزير للحارس:

أريد منك تسليم هؤلاء لرئيس الحرس فى الفجر، وإذا فكوا الرباط فسأسلخ جلدك وأحشوه تبناً، وإذا بقوا على حالهم سأنعم عليك بمنحة كبيرة؛ ترك أحد أفرادهم معهم وذهب.

عندما فتحت الفتاة عينيها وجدت أنهما مربوطين سوياً برباط مُحكم، فخمنت فى نفسها أنهما وقعا أسرى فى مصيدة ابن الوزير، وأنهما إذا لم يُطلق سراحهما قبل الفجر فإن والدهما سيقتلهما، ففكرت فى نفسها لو تجد شخصاً عاقلاً وكفء لترسله إلى صديق هذا الولد لينقذهما، وإلا لن يستطيعا الهروب من هنا.

بهذه الفكرة نادت على حارس السوق وقالت له:

أنظر جيداً على هذا العقد الذى فى عُقَى، إنه غالٍ جداً، وإن ذهبتَ إلى المدينة وناديتَ بأعلى صوتك وقلت:

العصفورين فى القفص؛ فسأعطيك هذا العقد.

نظر حارس السوق إلى ذلك الشخص، الذى أبقاه معه ابن الوزير، فقال ذلك الشخص للحارس:

إن ابن الوزير بخيل جداً ولا تنتظر منه شيئاً، فلو قمنا ببيع هذا العقد واقتسمنا ثمنه سوياً، وأنفقنا منه طوال العمر، قد لا ننفقه كله، فاترك لى هذا الأمر، فسأنادى بأعلى صوت فى كل أرجاء المدينة أن:

العصفورين مقيدتين فى القفص؛ كُن مطمئناً، فلن يصيبني أى أذى، لكن على أن أحصل على نصف ثمن هذا العقد.

وافق الحارس؛ وذهب ذاك الشخص ينادى فى المدينة: العصفورين فى القفص. ما أن سمع إيلزاد هذا النداء حتى نهض على الفور وشمرَّ عن أكمامه وطبخ قِدرًا من الحلوى ووضع فيه دواءً مُخدِّرًا، وخرج على هيئة رجل عجوز ووضع القدر على رأس فتاة، كان قد أتى بها وألبسها ملابس بالية على ملابسها وقال لها:

إبكى إبكى؛ ومن ثم ذهبا إلى حارس السوق وكان إيلزاد أيضاً يبكى متذللًا؛ فقال لهما حارس السوق:

ماذا حلَّ بكما؟.

قال إيلزاد:

خرب بيتي؛ إبني الوحيد ونور عيني متوفى، وهذه زوجتي؛ كان إبني قد أوصاني أن أصنع حلوى، وأهديها إلى حراس السوق لأنهم يكدحون فى عملهم. وضع إيلزاد قِدر الحلوى أمامهم وقال: كلوا يا أولادى، كلوا. بمجرد أن أكل الحارسان لقمة أو لقتين سقطا مغشياً عليهما، فقام إيلزاد بفك قيود الفتى والفتاة، وأشار للفتاة التى معه أن تنزع ملابسها القديمة التى كانت قد ارتدتها على ملابسها، ثم قام بربط هذه الفتاة مع الأمير (بدلاً من ابنة الملك)، وعاد بابنة الملك وقدر الحلوى؛ أوصل الفتاة إلى حديقتهَا وعَلَّمَهَا كيف تغسل القدر وتزيل آثار الحلوى منه.

عاد إلى مسكنه وأمر فتيانه بأن يحطّمو كل الصناديق (الأربعين) وينثرونها قطعة قطعة على الأرض؛ ثم بعد ذلك قال لهم:

لقد ألقى القبض على ابن الملك، وإذا قتلوه فسيقتلوننا أيضاً، ومن الأفضل أن يجرح بعضنا بعضاً ثم نذهب ونقول إن اللصوص هجموا علينا وأصابونا

وسلبوا أموالنا واخطتفوا الأمير.

فى الصباص الباكى؁ كان ابن الوزىر أول شأص ىءءل على ملك سمرقند؁ وقء قال له:

يا قبله العالم؁ لءعلم أن ابءءكم كانت بصبه فءى غير معروف؁ وبىنما هم كانوا فى وءع غير لائق ألقى القبض علىهما؁ والآن هم مقىءان معاً. ما أن سمع الملك هءا الكلام حتى غضب غضباً شءىءاً وصاح: أين هما الآن؟.

قال ابن الوزىر:

عءء حارس السوق؁ لقد سلّمهما أءء أفراءى لحارس السوق.

لم يكء ابن الوزىر ىنهى كلامه بعء حتى ءءل الباشءاآر إىلزاء وقال:

أيها الملك؁ إن عرشك فى آطر؁ فائى طفت بلاد العالم وما أهانى أءء قط؁ لكن هنا فى مءىءءكم نهبء ممءلكائى وءروءى؁ وأصىب أربعون من أفراءى؁ كما أآطءف موظفى الآص وزوءءه مقىءىن إلى آهه غير معلومه.

اسءءعى الملك؁ الذى كان قلقاً على ابءءه؁ أولاً الآءم - المآصص لقسم النساء فى القصر- وقال له: أنظر؁ هل ابءى موءوءه فى عرءءها أم لا؁ فإذا كانت موءوءه فلىءاء أمامى هنا فوراً.

لم ىمر وقت حتى آضر الآءم وابءه الملك؁ فابءهآ الملك لرؤىه ابءءه؛ ثم أمر الملك بعء ذلك بأن ىأتوا بالأفراء الذىن ءكلم عنهم ابن الوزىر؁ وعءءما آاءوا بهما عرف الملك الموظف الآص بالباشءاآر؁ وقال: لكن من هءه؟

قال الباشءاآر: إنها زوءه موظفى هءا.

اسءءعى الملك السىاف وأمره أن ىقطع رقبة ابن الوزىر فى الآل.

طلب الملك آضور الوزىر وقال له: إذا لم ءعوض الباشءاآر عن كل ما لآق به من ضرر فسأمآوك وممءلكاءك من على الأرض.

تم صنع صناديق جديدة، وعُولج المصابون، لكن كل ثروة الوزير لم تملأ حتى عشرة صناديق من الأربعين، فقال الملك:

لو أفرغوا كل خزائني فلن تمتلئ صناديقك..؛

قاطع الباشتاخر حديث الملك قائلاً له:

يا قبلة العالم، إن الأموال التي أحضرتها معي هي جزء قليل من كل ثروتى، فلم يكن فى نيتى القيام بهذه الرحلة لإنفاق المال؛ فعندما قامت ابنتكم برحلتها حول العالم تعرّفت فى طريقها بابنى وقضوا أياماً سوياً، فإذا أكّدت ابنتكم كلامى فأنا أطلب زواجها من ابنى، وأعطيك كل ما تريد من الذهب، وإذا لم توافقوا على هذا الزواج فعليك أن تعوضنى عن كل ما لحق بى من خسارة.

أسرع الملك لسؤال ابنته، ولأن الفتاة كانت ترغب فى الزواج وافقت فى الحال. طلب الملك من إيلزاد ورفاقه البقاء فى المدينة لعدة أيام أخرى، لكى يتمكنوا من تجهيز لوازم العرس والسفر.

بعد إتمام مراسم العرس وتجهيز لوازم السفر، عاد الأمير ومعه زوجته، وكذلك إيلزاد ومرافقيهم، إلى بلدتهم.

أعلنوا عن وصول القافلة؛ واستقبلهم الملك فى قصره، ورفع التاج من فوق رأسه ووضعه على رأس ابنه، فأصبح الأمير هو الملك الجديد وإيلزاد وزيراً له؛ وكان حكم الملك الجديد فى ظلّ ارشادات الوزير إيلزاد حكماً عادلاً، فقد كان لا يرفض أى توجيه من وزيره.

لذا، فى عصره وتحت حكمه، عاش الناس فى أمان على أنفسهم وأولادهم وممتلكاتهم.

١٠- حكاية الحصان الوفى

فى يوم من أيام زمان، كان هناك ملك لديه ثلاث أولاد، نادى الملك ذات يوم على أولاده وقال لهم:

يا أولادى، اجلسوا واصغوا جيداً لما أقول واعملوا به، ومن لم يعمل بوصيتى فقد يعانى فى حياته وستقابله مشاكل ومتاعب كثيرة.

وصيتى الأولى لكم:

عندما تذهبون إلى الصيد أن تذهبوا أنتم الثلاثة معاً.

والوصية الثانية:

أن أى واحدٍ منكم يريد السفر لا يسافر بمفرده.

والثالثة:

ألا تناموا بأى حال من الأحوال تحت شجرةٍ أو بجوار حائطٍ أو على النجيل أو فى غابة.

بعد أن انتهى الملك من وصيته انقضت فترة وجيزة ثم انطبقت جفونه على بعضها وراح فى نوم أبدي.

اجتمع رجال البلاط والحاشية والمقربون ليشيعوا جنازة الملك؛ كَفَّنُوهُ ودفنوه، ومكث أولاده مدة أربعين يوماً فى مجلس تَقَبُّل العزاء فى والدهم.

بعد أن جفت دموعهم، قال الابن الأكبر: هيا بنا نذهب للصيد حتى ننسى أحزاننا.

حمل كل واحدٍ منهم رمحاً وقوساً وحبلاً وسهماً، وامتطوا جيادهم وذهبوا

للصيد، وتعقبوا الصيد حتى مغيب الشمس واصطادوا، وفى طريق عودتهم

وصلوا إلى روضة فقال الأخ الأكبر: لنبيت هنا الليلة.

قال الملك محمد (الأخ الأصغر):

لا، لنذهب من هنا؛ فقد أوصى أبانا بالأ نبيت فى حديقة.

نزلوا عن أحصنتهم فى الحديقة ولم يستمعوا لكلامه، وعندما ناموا قال الملك محمد فى نفسه:

إن أبى كان رجلً عاقل وفاهم، وما كان ليوصى بهذه الوصية بدون خبرة أو دليل، فسأبقى الليلة يقظاً وأتولى الحراسة لأرى ما السرّ فى كلام أبى المبهم، وماذا سوف يحدث.

بقى الملك محمد ساهراً وحارساً؛ وكان قد انقضى وقت من الليل حين ظهر فجأة رأس وشكل عفريت وكان كل واحدٍ من قرنيه بحجم شجرة السنّار، فوقف الملك محمد متربصاً حتى اقترب العفريت وظهر جسمه بالكامل، وفى تلك اللحظة سحب سيفه من غمده و بكل قوته نزل به على رأس العفريت فتهشم وتناثر على الأرض.

فى الصباح غادروا المكان وساروا كلهم سوياً، مشوا ومشوا حتى حلّ عليهم الظلام، فبحثوا حولهم لعلمهم يجدوا مكاناً يستريحون فيه فلم يعثروا على مكان مناسب، فاضطروا للجلوس تحت حائط.

قال الأخ الأكبر:

هذا مكان حسن، لنقيم هنا.

قال الملك محمد:

كانت وصية أبينا ألا نبيت تحت حائط.

قال الأخ الأكبر:

لا تصدّقوا كل الوصايا، فما الذى سيحدث لنا؟.

لم يستمعوا لكلام أخيه الأصغر، وفى النهاية ناموا فى نفس المكان، لكن الملك محمد لم ينم، وقال فى نفسه:

ما كان أبى ليوصى بدون دليل وبكل تأكيد أن هناك سرّ، فلن أنام حتى أرى ما سوف يحدث.

لم ينم الملك محمد وبقى ساهراً.

كان قد انقضى وقت من الليل حين رأى على غير المتوقع عفريتاً يأتى من ناحية أحجار الطاحونة ومتعلقاً بالأشجار، فتوارى الملك محمد، وعندما اقترب العفريت من الحائط نزل على رأسه بضربة سيف فقتله؛ مرت هذه الحادثة على خير وسلام.

استيقظوا فى الصباح أيضاً وساروا فى طريقهم. وصلوا فى اليوم الثالث إلى غابة، حل عليهم الليل ولم يتمكنوا من الوصول إلى مدينتهم، فقال الأخ الأكبر: لنقيم هنا الليلة.

قال الأخ الأصغر:

كان أبى قد أوصى بالأنا نبيت داخل غابة.

قال الأخ الأكبر:

لقد رأيت أننا أقمنا فى مكانين من قبل ولم يحدث لنا أى شئ فلا تقلق، وهنا أيضاً لن يحدث لنا شئ.

ناموا جميعاً إلا الملك محمد، فقد قام بجرح أصبعه الأصغر ورشَّ عليه من الملح حتى يظل مستيقظاً.

فجأة وفى منتصف الليل رأى عفريتاً عجيباً وغريباً ولم يرى مثله حتى فى المنام؛ اقترب العفريت من مكان الملك محمد وصاح:

أين تختبئ يا ملك محمد؟ أخرج وتعالَ عندي، أنت قتلت أخوای الإثنين وزرعت فى قلبى الحسرة عليهما، فإن لم أمزقك قطعاً يكون لبن أُمى الذى شربته حرام علىَّ.

خرج الملك محمد من مخابه وقال له:

أيها العفريت الملعون إن كل ما حدث على يدك لم يكن قليلاً.

أراد العفريت أن يمسك بعامود لكن الملك محمد لم يعطه الفرصة فقد سحب سيفه في الحال ونزل به على رأس العفريت فأحدث به شقاً بطول مترين من الرأس إلى الجسم، وأصابه إصابات شديدة حتى اندفع الدم منه كالنافورة، وأصيبت يده وسقط منه العامود وولّى هارباً، وفي أثناء فراره قال للملك محمد: يا ملك محمد! لتعلم أن وراء جبل فلان بئر بداخلها ياقوت ومجوهرات كثيرة، إذهب وخذها فهي حلال لك.

في الصباح الباكر حكى الملك محمد لإخوته عن قتله للعفريت وقال لهم: أصبت الليلة الأخ الثالث للعفريتين السابقين، وقد قال لى: إن وراء جبل فلان بئر فيها ياقوت ومجوهرات كثيرة؛ فهيا بنا الآن لنذهب إلى هناك، فقد يكون كلامه حقيقى، وإذا كان غير صحيح نعود إلى بيتنا.

دعى الإخوة لأبيهم بالرحمة وساروا جميعاً نحو الجبل. داروا حول الجبل ووجدوا البئر، وفي هذه اللحظة فكّروا فيمن ينزلوه إلى داخل البئر، فقال الملك محمد: أنزلونى أنا.

أنزلوا الملك محمد بحبل إلى البئر فرأى كمية كبيرة من الياقوت والماس والزُّمرد ومجوهرات مختلفة لا تُعد ولا تُحصى.

رفعوا كل المجوهرات والياقوت والماس من البئر بالحبل.

تفحص الملك محمد مرة أخرى نواحي البئر بدقة، وفجأة لفت نظره ثلاثة فتيات جميلات مُعلقات من صفائهن على جدران البئر فحررهن وأنزلهن.

تعاهد الملك محمد مع الفتاة الصغرى وأخرجهن جميعاً بالحبل إلى خارج البئر وبقي هو بمفرده في البئر.

قال الإخوة مع بعضهم، لو أننا أخرجنا الملك محمد فسيكون هو صاحب كل هذا المال، ومن الأفضل لنا أن نتركه داخل البئر ليبقى هناك حتى يموت، ونحوز نحن على الثروة كلها.

كانوا قد نجوا من الموت ثلاث مرات بفضل شجاعة وإقدام أخاهم الأصغر،
الآن اشتعلت شرارات طمع المجوهرات فى نظراتهم وقررا إظهار خستهم
وندالتهم ولم يُخرجا الملك محمد من البئر.

أحضرا أربعين جملاً وحملوا عليها كل المجوهرات، وأخذا معهما الفتيات
وشقوا طريقهم إلى منزلهم.

عرف الملك محمد أن إخوته قد غدروا به، ولأنه ولد ذكى وعاقل فلم يألو من
جهد حتى وجد طريقاً فى قاع البئر فاقتفى أثره وسار فيه؛ سار فى هذا الطريق
(تحت الأرض) لمدة أربعين يوماً بلياليها حتى وصل فى النهاية إلى مدينة.
وبينما كان يتجول فى المدينة إذ به يصل إلى غرفة تاجر، فقال للتاجر: هل
تقبلنى عاملاً عندك؟.

فسأله التاجر:

ماذا تجيد من الأعمال؟.

قال الملك محمد:

أنا خيَّال وأجيد التعامل مع الأحصنة.

كان لدى التاجر حصان جيد، وكان منذ مدةٍ يبحث عن خيَّال جيد، فسُرَّ كثيراً
وقبل الملك محمد كسائس لحصانه.

اهتم الملك محمد بالحصان، جلب له الماء، وأعطاه العلف والشعير وقام
بتمريضه، وكان يأخذه إلى بركة الماء ليغسله؛ وذات يوم حين أخذ الحصان إلى
البركة، كانت زوجة التاجر تراقبه فوجدته ولداً طيباً فأحبتة كما لم تحب من
قبل، وأشتعلت نار الحب فى قلبها، ومن ألم هذا الحب لم تذق طعم النوم بالليل
ولا راحة البال بالنهار.

مرت أيام على هذا المنوال ونفذ صبر زوجة التاجر وطلبت منه أن يأتى إليها
وقالت له:

أنا سأموت بسببك، عليك أن تكون معي.

فكر الملك محمد في كل شيء إلا أن يحب زوجة التاجر، فلم يوافق على أن يرضخ لها.

تعصبت زوجة التاجر وقالت له:

حسناً جداً يا الملك محمد، في النهاية سأحسم الأمر معك وأنهى حياتك.

بحثت زوجة التاجر عن امرأة عجوز وأعطتها حفنة من الذهب وقالت لها: أيها العجوز، أود منك أن تقضى على حياة هذا العامل الذي لدينا.

قالت العجوز:

لا، أنا لا أقوم بمثل هذا العمل، لكن سأرسله إلى مكان بعيد بحيث تكون كل قطعة من لحمه غذاءً للطير.

قالت زوجة التاجر:

أمي العجوز في النهاية أنا أريد أن أبعده إلى أبعد مكان ليغيب عن عيناى ويموت هناك.

قالت العجوز:

قولى لزوجك أن يبني لك قصراً ويدهن حوائطه بألف لون ولون بحيث كل من يدخله يشعر أنه يدخل إلى الجنة؛ بعد ذلك تقولين لزوجك أن يرسل الملك محمد إلى المقاول، وعندما لم يكون المقاول أقتلوه.

أعطت زوجة التاجر حفنة أخرى من الذهب للعجوز ثم ذهبت إلى زوجها وقالت له: يا رجل ما يجلسك هكذا، قم فأنا أريد أن تبني لى بيتاً بحيث تدهن حوائطه بألف لون ولون، وكل من يدخله يظن أنه يدخل إلى الجنة، وإن لم تُشيد لى هذا البيت فلن أعيش معك أبداً.

كان التاجر يخاف من زوجته جداً، فقد سيطرت عليه من أول مرة.

فقال لها: يا امرأة من أين أحضر لك مقاول ليبني لك هكذا بيت.

لا تتكلم كثيراً، الملك محمد يعرف مكان هذا المقاول، أرسله ليأت بالمقاول.
استدعى التاجر الملك محمد وقال له: يا ملك محمد، أنا أريد أن أبني بيتاً وتُدهن
حوائطه بألف لون، وكل من يدخل فيه يشعر وكأنه في الجنة، يقولون أنك
تعرف أسطى في هذا المجال يستطيع أن يبني مثل هذا القصر، اذهب إليه
وأحضره.

عضَّ الملك محمد يده لأنه فهم أن زوجة التاجرتآمر عليه؛ ففكر وقال: سيدي
التاجر! أولاً أنا هنا غريب ولا أعرف أى أحد، وأنت كل شئ تطلبه منى أنا أقوم
به، لكن من أين أحضر لك شخصاً؛ ثانياً:
هل يوجد بيت مبنى حوائطه بألف لون وكالجنة؟.
قال التاجر:

لا تكثر الكلام، اذهب وأحضره وإلا مزقتك قطعاً.
لم ينطق الملك محمد وعاد إلى حصانه بانساً حزيناً، ومن شدة الحزن نسى أن
يقدم للحصان طعاماً، وكان قد جلس بجوار الحظيرة يائساً ومهموماً إذ رآه
الحصان على هذه الحالة فنطق كبنى آدم وقال له:
لماذا نسيت أن تقدم لى طعاماً يا ملك محمد؟ أنا لا أعرف كيف نسيت أن
تطعمنى اليوم؟.

نهض الملك مجمد من مكانه كالذى استفاق من النوم وقال له فى الحال:
أعذرني أيها الحصان الجميل، أفكارى مشوشة، لقد نسيتك.

قدم العلف فوراً للحصان لكن الحصان لم يأكل بل سأله:
أخبرنى يا ملك محمد الآن، ما الذى يحزنك؟ ألهذا الحد أنت يائس؟.
قال الملك محمد:

لا شئ، أنا مريض قليلاً.

قال الحصان: أقسم بلبن أمى الذى شربته إن لم تقل لى يا ملك محمد عن سبب

تألمك وحزنك فلن يتذوق فمى طعاماً أبداً وأهرب إلى الصحراء.

قال الملك محمد:

يا حصانى العطوف أنا لا أريد أن أضايقك؛ كان التاجر قد قال لى أن أبحث له عن شخص يبني له قصراً ويدهن حوائطه بألف لون بحيث كل من يدخله يشعر وكأنه فى الجنة.

قال الحصان:

يا ملك محمد! أنا سأحل لك هذه المشكلة، فلا تحزن، عليك أن تذهب إلى التاجر وتقول له إسمح لى أن أمتطى الحصان لأحضر لك الأسطى. ذهب الملك محمد إلى التاجر وقال له:

الأسطى فى مكان بعيد، فاسمح لى أن أمتطى الحصان لأذهب إليه وأحضره إلى هنا.

قال التاجر:

فليكن، خذ الحصان.

أتى الملك محمد عند الحصان، وما أن رآه الحصان سأله: ماذا حدث؟.

قال الملك محمد:

سمح لى أن أنطلق فى طريقى.

أمسك الملك محمد بلجام الحصان وركبه فى الحال، غيّر الحصان إتجاهه وأخذه إلى مقبرة مهجورة، فمرّ على سبعة مقابر ووقف أمام القبر الثامن وقال: يا ملك محمد إفتح هذه المقبرة.

كان الحصان قد علّمه كلمات ليقولها، فأعاد الملك محمد كلمات الحصان: يا ملك جمشيد! إن الملك محمد يقول لك إحمل معدّاتك وأجهزتك وتعالّ معى لتبنى لنا بيتاً.

جاء صوت من المقبرة:

أجهزتى ومعداتى هنا، هيا تعالِ واحملها لنذهب.

وعندما سمع الحصان هذا الكلام قال: أدخل المقبرة يا ملك محمد ولا تخف، وعندما تدخل إلى المقبرة سترى تحت قدميك سجادة مطوية وسجادة مفرودة، عليك أن تفك السجادة المطوية وتطوى السجادة المفرودة، وبعد ذلك سترى أمامك بابين أحدهما مغلق والآخر مفتوح، إفتح المغلق واغلق المفتوح، ثم بعد ذلك سيظهر أمامك حصان وكلب، ستجد أمام الحصان عظم وأمام الكلب علف، خذ العلف وضعه أمام الحصان وضع العظم أمام الكلب، بعد ذلك ستلتقى بامرأة عجوز وجهاً لوجه، فقل لها يا أمى العجوز إن ابنك يقول لك إعطنى الأجهزة والمعدات، سترى العجوز وهى تَسِن أسنانها لتأكل وستجد أمامها شنطة ممتلئة، ستكون المعدات فى هذه الشنطة، إخطفها بسرعة واهرب بها ولا تخف، فلن يمسك بك أحد.

ربط الملك محمد الحصان ودخل المقبرة، وبعد أن سار فى المقبرة لمسافة قصيرة ظهرت أمام عينيه سجادة مفرودة وسجادة مطوية فربط المفرودة وفرد المطوية، وسار قليلاً فرأى باباً مغلقاً ففتحه ورأى باباً مفتوحاً فأغلقه خلفه وسار حتى ظهر له حصان وخلفه الكلب، كانوا قد وضعوا أمام الحصان عظم وأمام الكلب علف، أخذ العظم ووضع أمام الكلب ووضع العلف أمام الحصان؛ فى النهاية سار وسار حتى قابل المرأة العجوز فقال لها: يا أمى العجوز! إن ابنك يقول لك إعطنى الأجهزة والمعدات.

كانت العجوز مسرورة جداً حين رآها، وكانت تَسِن أسنانها لتأكله، فخطف الملك محمد شنطة العدة فى لمح البصر وفر بها.

حين رأت العجوز هذا المشهد صاحت:

يا حصانى، أمسك به.

قال الحصان:

لماذا أمسكه؟؛ أنتِ كنتِ قد وضعتِ أمامي العظم وهو أخذه ووضعته أمام الكلب؛
فهو فعل معي خيراً أفضل مما فعلتِ معي.

قالت العجوز:

أمسك به أيها الكلب.

قال الكلب:

هو كان قد استهزأ بكِ أنتِ أم استهزأ بي أنا؛ أنا لم أرى منه إلا كل خير، أنتِ
كنتِ قد وضعتِ أمامي العلف وهو أخذه ووضع بدله العظم، وأنا الآن أأكل العظم
وأدعو له.

قالت العجوز:

أمسك به أيها الباب المفتوح.

قال الباب المفتوح:

لماذا أمسك به؟؛ لو استطعتُ لأسديتُ له خيراً،
فمنذ مدة طويلة كنت فيها مفتوحاً فأغلقتني وأراحني.

قالت العجوز:

أمسك به أيتها السجادة المفرودة.

قالت السجادة المفرودة:

أيتها المرأة العجوزة المُسِنَّة سيئة السلوك، لماذا أمسك به؟؛ فقد كنت منذ مدة
طويلة وأنا مفرودة وقد عشنش فوق الغبار والتراب وكادت روحى تزهرق تحت
قدميك، فطواني وأراحني منك.

قالت العجوز:

أمسك به أيتها السجادة المطوية.

قالت السجادة المطوية:

لماذا أمسك به؟؛ فقد كنت منذ مدة طويلة وأنا مطوية ، وعششت الحشرات

والسوس بين ثناياى وكانوا يقرضوننى، ففردنى وأراحنى.
لم يطع أى منهم أوامر المرأة العجوز المُسِنَّة، ولم يمسكوا بالملك محمد، فخرج
من المقبرة سالماً ووضع شنطة العِدَّة أمام الحصان.

قال الحصان:

عليك الآن أن تقول للملك جمشيد أنا أحضرت العِدَّة.

قال الملك محمد للقبر:

أنا أحضرت العِدَّة يا ملك جمشيد.

سمع صوتاً قادم من القبر يقول:

هيا بنا لنذهب.

قال الحصان:

يا ملك محمد! أخرج العظام من القبر وضع كل منها فى مكانها بدقة.

أخرج الملك محمد العظام وأوصلها ببعضها بكل دقة.

قال الحصان:

انتظرنى هنا لحظة حتى أحضر ماء الحياة لأعطيه الحياة.

ابتعد الحصان من هناك بسرعة الريح، لم تنقضى نصف ساعة حتى عاد

الحصان؛ وكان الحصان قد ملأ فمه بالماء وأحضره بنفسه وصبَّ الماء فى فم

الملك جمشيد فعطس الملك جمشيد وانتفض من مكانه وقال:

أهلاً بكم، هيا لنذهب.

ركب الملك محمد والملك جمشيد الحصان وأوصلهم الحصان إلى بيت التاجر.

ربط الملك محمد الحصان فى الحظيرة وقدم له العلف ووسائل الراحة ثم ذهب

مع الملك جمشيد إلى التاجر وقال له:

أحضرت لك الأوسطى

قال التاجر:

عليه أن يبني المنزل كما وضحته لك.

قال الملك جمشيد:

أنا سأبنى الحوائط فقط وأذهب، وبعد ذلك أنتم تبنون السقف بأنفسكم.

قال التاجر:

لا بأس، أتقن أنت حوائطه والسقف أسهل.

بدأ الملك جمشيد العمل وانتهى من بناء الحوائط وتلوينها بألف لون ولون في مدة شهر واحد فقط، وكان كل من يدخل المنزل يظن أنه يدخل الجنة، وبقي فم التاجر مشدوها من التعجب.

نعم! أنهى الملك جمشيد عمله كما يجب وحصل على كل حقوقه وذهب.

الآن قد بُنى بيت بحوائط لها ألف لون ولون، وكان يشبه الجنة، لكن هذا البيت بلا سقف.

أحضر التاجر قدر ما يستطيع من الأعمدة الخشبية لصنع السقف.

من ناحية أخرى رأت زوجة التاجر أن الملك محمد قد وُفقَ في عمله، فامتلاً قلبها حقداً عليه، ثم ذهبت إلى المرأة العجوز وقالت لها:

أيتها العجوز! إن الملك محمد عاد وقد أحضر الأوسطى بنفسه وقد أتم بناء المنزل بأجمل مما اقترحناه عليه، فماذا أفعل لكي يموت هذا الشاب ولا أراه أبداً؟.

قالت العجوز:

لا تحزنى يا مسكينة! فإن المنزل قد بُنى بدون سقف فقولى له كما أحضرت شخصاً لبناء هذا المنزل الجميل عليك أيضاً أن تحضر شخصاً لإنشاء سقف هذا المنزل؛ فأين يا ترى سيجد هذا الشخص؟ سيذهب ويطوف ويبحث، وفي النهاية سيكون طعاماً للحيوانات المتوحشة في الغابة ولن ترينه مرة أخرى.

أعطت زوجة التاجر للعجوز حفنة من الذهب ثم ذهبت إلى زوجها وقالت له:

أيها المسكين التعيس تبحث عن الأعمدة ولم تجدها، يستطيع الشخص الذى بنى المنزل أن يجد أعمدته.

استحسن التاجر كلام زوجته وفى نفس الوقت صاح على الملك محمد وقال له: يجب أن تذهب بأسرع ما يمكن لتجلب الأعمدة الخشبية للسقف.
قال الملك محمد:

يا ظالم! أنت بحثت عنها فى كل الدنيا ولم تجدها، فكيف أستطيع أنا أن أجدها؟
قال التاجر:

لا تتكلم كثيراً، سأعطيك مهلة لمدة سبعة أيام حتى تنجز ما طلبته منك.
جاء الملك محمد عند الحصان وهو منزعج، وعندما رآه الحصان على هذه الحالة قال له:

يا صديقى الوفى! لماذا أنت حزين؟ إلى أين أرسلك التاجر هذه المرة أيضاً؟
قال الملك محمد:

قال لى يجب أن تجد الأعمدة الخشبية لسقف المنزل؛ ومن أين أجد أنا أعمدة؟
قال الحصان:

لا تحزن، سنجدها؛ خذ أربعين عصا وامتطى ظهري وأنا سأبدأ الطيران وعندما نصل إلى مكان فى السماء إضربنى بعصا ثم ألقها من يدك.

عمل الملك محمد كل ما طلبه منه الحصان؛ فكان فى كل مرة يضرب الحصان بعصا ثم يلقيها فتتبدل العصا إلى عمود خشبى كبير؛ بهذا النظام ضرب الحصان بكل العصي وألقاها فتبدلت العصي كلها إلى أعمدة خشبية كبيرة.

عاد الحصان إلى الأرض وقال للملك محمد:

إذهب إلى التاجر وقل له أن يأتى ويحمل الأعمدة.

ذهب الملك محمد فى الحال إلى التاجر وأخبر، جاء التاجر وحمل الأخشاب بمساعدة عدد من العمال وسقفوا بها المنزل.

كلما وقعت عين زوجة التاجر على الملك محمد تشعر وكأن خشبة تطعنها فى قلبها، فلم تألوا جهدا من أجل إزالة الملك محمد.

أخبر الحصان الملك محمد بهذا الموضوع؛ فقال له الملك محمد: إذا ماذا أفعل؟.

قال الحصان:

استأذن من التاجر لنذهب، سيقول لك التاجر إنك قمت بخدمتى على أكمل وجه، فماذا تريد منى؟ فقل له أنا لا أريد منك شيئا إلا حصانك هذا، فسيعطيني لك، وأنا سأحملك من هذه الدنيا السوداء المظلمة إلى دنيا مشرقة.

ذهب الملك محمد إلى التاجر وقال له:

أنا كنت خيال لديك منذ وقت طويل، والآن أريد أن أذهب لرؤية أبى وأمى، فاسمح لى أن أذهب.

قال التاجر:

يا ملك محمد! أنت عملت لى أعمال كثيرة طيبة فبماذا تريد أن أعوضك؟.

قال الملك محمد:

أنا لا أريد منك شيئا، إلا أن تهبنى حصانك هذا.

قال التاجر:

أعطيك الحصان، اركبه واذهب، أستودعك الله، فى أمان الله.

ودّع الملك محمد التاجر وذهب إلى الحصان وقال له: التاجر وهبك لى.

قال الحصان:

يا ملك محمد! امسك ذاك القفص الذى كنت قد أخرجته من القبر للملك جمشيد، واركب على ظهري حتى نغادر هذه الدنيا المظلمة السوداء إلى دنيا مشرقة.

سأله الملك محمد:

ألا نستطيع الذهاب بدون القفص؟.

أجابه الحصان:

عندما يكون ذاك القفص فى يدك لا يستطيع أحد أن يؤذيك أو تسقط من أعلى إلى الأرض.

ركب الملك محمد الحصان وأمسك بالقفص فى يده، طار الحصان وارتفع فى الهواء كالنسر، طار لمدة واحد وسبعين يوماً حتى وصل إلى الدنيا المشرقة؛ قطع الحصان مسافة فى الدنيا المشرقة حتى وصل إلى طاحونة، وفجأة رأوا الشيطان واقف فى طريقهم وبيده ببغاء.

سعد الشيطان حينما رأى الملك محمد وقال له: إذا أعطيتنى هذا القفص الذى فى يدك، أضع فيه طائرى هذا.
قال الملك محمد:

هل أنا مجنون حتى أعطيك القفص، إذا كنت تقول الحقيقة فاعطنى أنت الطائر وأنا أضعه فى القفص.
قال الشيطان:

عليك أن تعطينى القفص وإلا فلن أسمح لك بالمرور.
تدخل الحصان فى هذه اللحظة وقال:

لا تتشاجرا، كل واحد منكم يبذل جلده ثلاث مرات ويتخفى، وإذا الملك محمد لم يستطع أن يكتشف ذلك فعليه أن يعطيك القفص، وإذا لم تستطع أنت أن تكتشف ذلك فعليك أن تعطيه الطائر.

قبل الشيطان بهذه الشروط على أن يغمض الملك محمد عينيه أولاً.
تحول الشيطان إلى قش وأخفى نفسه بين أجنحة الطائر؛ فتح الملك محمد عينيه ونظر هنا وهناك فقال له الحصان:

يا ملك محمد، إنتبه فالطائر لا يطير ولا يفر.

عرف الملك محمد أن الشيطان موجود فى ثنايا أجنحة الطائر، فقال له:
أيها الشيطان العايق! أخرج إلى هنا من تحت أجنحة الببغاء.

حضر الشيطان وقال:

حسناً جداً، لقد فزت فى الأولى، والآن إليك الثانية.

أغمض الملك محمد عينيه مرة أخرى، فتحول الشيطان إلى حبة أمام الببغاء، وعندما فتح الملك محمد عينيه قال له الحصان: فُكّر بسرعة يا ملك محمد أن الببغاء جائع ويريد أن يأكل حبة.

انتبه الملك محمد فى الحال إلى أن الشيطان قد تحول إلى حبة، فقال: أيها الشيطان، إذا لم تبتعد من أمام الببغاء فقد يظن أنك حبة فيأكلك. قال الشيطان:

حسناً عرفت هذه المرة أيضاً، الآن إليك الثالثة.

أغمض الملك محمد عينيه وتحول الشيطان إلى شعرة والتصق بجناح الببغاء. عندما فتح الملك محمد عينيه قال له الحصان: يا ملك محمد! يا رَجُلَى الرشيد، الببغاء الذى فيه شعرة جميلة، جدها بسرعة. فهم الملك محمد فى الحال أن الشيطان قد تحول إلى شعرة والتصق بأجنحة الببغاء، فقال له:

أيها الشيطان، أخرج من بين أجنحة الببغاء وتعال.

جاء الآن الدور على الشيطان، أغمض الشيطان عينيه وبدأ الملك محمد فى الطيران إلى أعلى وإلى أسفل، وكان الببغاء منشغلاً بحركاته وأخذ يضحك، وبينما كان الببغاء منهمكاً فى الضحك غاب الملك محمد وتحول إلى حدوة حصان والتصق بحافر الحصان.

فتح الشيطان عينيه وأخذ ينظر إلى الببغاء حتى يعرف منه مكان الملك محمد. هز الطائر رأسه فنظر الشيطان فى كل اتجاه وقال: يا ملك محمد أنا لم أستطع أن أجذك، فاخرج من مكانك.

خرج الملك محمد من تحت حافر الحصان، وأغمض الشيطان عينيه مرة أخرى.

أخذ الملك محمد هذه المرة يتشقلب ويؤدي حركات مثل القرد، وعندما بدأ
الببغاء فى الضحك اختفى الملك محمد مرة أخرى وتحول إلى شعرة والتصق
بظهر الحصان، لم يره الطائر، وعندما فتح الشيطان عينيه أخذ ينظر إلى الببغاء
كى يعرف منه مكان الملك محمد؛ هز الطائر رأسه مرة أخرى، فقال الشيطان
بصوت عالٍ:

أنا لم أستطع أن أجذك يا ملك محمد ، فأخرج من مكانك.

نزل الملك محمد من ظهر الحصان، وأغمض الشيطان عينيه مرة أخرى.
إختفى الملك محمد فى هذا الوقت وتحول إلى ورقة شجرة أمام الحصان؛
فتح الشيطان عينيه ونظر إلى الطائر، هز الطائر رأسه فحكَّ الشيطان رأسه
وقال:

أخرج يا ملك محمد من مكانك وتعال، أنت تحولت إلى طائر كما قال لى الببغاء.
عاد الملك محمد من أمام الحصان كما كان وجاء إلى الشيطان فأعطاه الشيطان
الببغاء وقال له:

إن هذا الببغاء يعرف كل السحر والشعوذة، وقد صار الآن ملكاً لك فاعتن به
جيداً واطعمه بأجود الأطعمة كصديق لك، فهذا الطائر سيساعدك كثيراً وسوف
ينقذك من الموت.

أخذ الملك محمد الطائر ووضعاه فى القفص ثم ودَّع الشيطان وذهب فى طريقه،
فقضى فى الطريق أياماً وليالى حتى وصل إلى مدينته؛ علم إخوانه بمجيئه فلم
يستطيعوا مواجهته من الخجل، فقد أصبح الأخ الأكبر ملكاً والأخ الأصغر
وزيراً؛ قال الملك لأخيه الأصغر:

إن الملك محمد على قيد الحياة وقد عاد إلى المدينة، فسوف يقلقنا وينتقم مِنَّا،
وعلينا أن نبحث عن ذريعة نتذرَّع بها، أو نستخدم حيلة أوسحر، أيهما أسرع
لنبعده من هنا.

سمع الحصان حديثهما وأخبر الملك محمد بكل ما يدور، فقال له الملك محمد:
إذاً يا صديقي الوفي، ماذا يجب علىّ أن أفعل، الملك والحكومة في يدهم، الجيش
في يدهم، فقط علىّ أن أنجو بنفسى وأخرج من هذه المدينة.
قال الحصان:

هم سيدعونك كضيف، فلا تلبيّ الدعوة، لكن إذا أردت أن تذهب
فخذ معك الببغاء، وأي جهة يتوجه إليها الببغاء توجه إليها أنت أيضاً، وأي
طعام يتناوله هو، تناول منه أنت أيضاً، وأي طعام أو شراب لا يأكله ولا يشربه
هو، أنت أيضاً لا تأكله ولا تشربه ولا تلمسه.
مضت مدة على ذلك الأمر، وفي يوم من الأيام استدعى الأخوين الملك محمد
أمامهم وقالوا له:

أهلاً وسهلاً أخانا العزيز، إننا سعدنا بعودتك إلينا؛ نحن لم نسيئ إليك، فعندما
أخرجنا كل الأشياء من البئر كان الليل قد حلّ وساد الظلام في المكان وظننا أن
البئر غير موجود، وعندما انقشع الظلام وأضيئ المكان عدنا ولم نجده، فقد
اختفى البئر؛ لهذا السبب يأسنا من العثور عليك فعدنا إلى هنا.
قال الملك محمد:

ما مضى قد مضى، فلا نتحدث اليوم عنه.

قال الملك:

أنت ضيفنا غداً؛ إن تلك الفتاة التي هي أصغر من الفتاتين الأخريات لا زالت
تنتظرك إلى الآن، فسنقيم لكما حفل الزفاف وسنهديكما كل ما أحضرناه من
البئر.

قال الملك محمد:

أنا شاكر لهذا اللطف منكما، أنا لا أحتاج لأي شيء.

عاد الملك محمد وأخبر الحصان والببغاء بكل ما دار بينه وبين أخويه.

قال الطائر:

لا تخف يا ملك محمد! احملنى ولنذهب سوياً إلى منزلهم؛ هم يريدوا أن قتلوك،
أنا سأنزل المصائب على رؤوسهم حتى تكون تاريخاً لهم.

قال الحصان:

أذهب مع الببغاء، ولا تنسى نصائحي لك.

جاء مبعوث من الملك جمشيد إلى الملك محمد وبعد أداء واجب الإحترام والأدب
قال له:

إن الملك يدعوك للضيافة عنده.

أخذ الملك محمد الببغاء معه وأخذاً طريقهما، سار الببغاء وتبعه الملك محمد
حتى وصلا إلى القصر.

استقبل الأخوين الملك محمد بعزة واحترام وأجلسوه فى صدر المجلس، وبعد
الإستقبال الرسمى والسؤال عن الأحوال أمروا رنس الطباخين بإحضار الطعام،
قام المساعدين بإعداد السفرة وإحضار الأطعمة المختلفة، وقدموا للملك محمد
طعاماً خاصاً فى وعاء من الذهب.

نظر الملك محمد إلى الببغاء فرآه رافعاً رأسه وجالس فى سكون.

نظر الملك إلى أخيه الأصغر فرآه جالسا فى ناحية من السفرة منشغل البال، ولم
يتناول طعامه حتى اللحظة فقال له:

يا أخى العزيز! لماذا لم تأكل؟ أسرع فى الأكل حتى لا يبرد.

قال الملك محمد:

أنا مرتبط بهذا الطائر، أى طعام لا يأكله هو لا آكله أنا أيضاً.

قال أحد الحاضرين:

هل يضع الإنسان مصيره بيد طائر؟، تناول طعامك، يا عزيزى إن هذه الضيافة
قد أعدت على شرف حضورك وتكريماً لك.

أَلْحُوا عَلَى الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ كَثِيراً لَكِي يَأْكُلَ؛ وَعِنْدَمَا أَرَادَ الْمَلِكُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّبَقِ نَقَرَهُ الْبِغَاءُ بِمَنْقَارِهِ عَلَى ظَهْرِ يَدِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَرَفَعَ الْمَلِكُ مُحَمَّدٌ يَدَهُ عَلَى الْفُورِ وَقَالَ:

أَرْجُوكُمْ لَا تَصِرُوا عَلَيَّ، فَلَنْ أَكُلَ مِمَّا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ الْبِغَاءُ.

أَمَرَ الْمَلِكُ بِأَنْ يَرْفَعُوا هَذَا الطَّعَامَ وَيَحْضُرُوا طَعَاماً غَيْرَهُ، فَلَمْ يَأْكُلِ الطَّائِرُ مِنْهُ أَيْضاً، فَتَعَصَّبَ الْمَلِكُ وَهَمَّ بِأَنْ يَفْصَلَ رَأْسَ الطَّائِرِ عَنْ جَسَدِهِ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ سَحَبَ الْبِغَاءُ طَبَقَ طَعَامِهِمَا بِمَنْقَارِهِ وَوَضَعَهُ أَمَامَ الْوَزِيرِ وَأَخَذَ طَبَقَ الْوَزِيرِ وَوَضَعَهُ أَمَامَهُ هُوَ وَالْمَلِكُ مُحَمَّدٌ.

بَدَأَ الْمَلِكُ مُحَمَّدٌ وَالْبِغَاءُ فِي تَنَاوُلِ طَعَامِ الْوَزِيرِ، فَنَظَرَ الْوَزِيرُ إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلَهُ سِرّاً: مَاذَا أَفْعَلُ أَنَا الْآنَ؟.

أَشَارَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بِإِشَارَةٍ فَهَمَّ مِنْهَا الْوَزِيرُ أَنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتِمَارِضَ وَيَسْتَأْذِنَ.

لَمْ يَتَنَاوَلَ الْوَزِيرُ الطَّعَامَ وَقَالَ:

أَعْتَذِرُ مِنْكُمْ يَا سَمُو الْمَلِكِ وَالسَّادَةِ الْمُحْتَرَمِينَ، فَأَنَا مَرِيضٌ جِداً، وَاسْمَحُوا لِي أَنْ أَنْصَرِفَ.

نَعَمْ، نَهَضَ الْوَزِيرُ مِنْ عَلَى رَأْسِ السَّفَرَةِ وَأَنْقَذَ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَهْلَكَةِ، وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ الضِّيَافَةُ عَادَ الْمَلِكُ مُحَمَّدٌ وَالطَّائِرُ إِلَى الْمَنْزِلِ.

إِرْتَدَى الْمَلِكُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ الرِّدَاءَ الْأَحْمَرَ وَاتَّكَأَ عَلَى أَرِيكَةِ الْحُكْمِ وَاسْتَدْعَى الْوَزِيرَ أَمَامَهُ وَقَالَ لَهُ:

يَا وَزِيرُ! طَالَمَا هَذَا الْبِغَاءُ مَوْجُودٌ فَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نُوْذِيَ الْمَلِكُ مُحَمَّدٌ، فَيَجِبُ تَدْبِيرُ خُطَّةٍ لِلتَّخْلُصِ مِنْهُ.

قَالَ الْوَزِيرُ:

يَا قَبْلَةَ الْعَالَمِ! نَدْعُوا الْمَلِكَ مُحَمَّدَ إِلَى هُنَا وَنَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقْدِمَ الْبِغَاءَ إِلَى حَضْرَتِكُمْ.

أعجب الملك بهذه الخطة فأرسل مبعوث إلى الملك محمد وجاء به المبعوث إلى الملك، فقال له الملك بدون خجل:

عليك أن تعطيني هذا البيغاء.

فقال له الملك محمد بكل هدوء وتواضع:

يا أخى! إن هذا بعيد جداً من العدل، منذ وقت وأنا أعيش مع هذا الطائر، فإذا أعطيتك لك ماذا أفعل بعد ذلك؟.

قال الملك:

إذا لم تعطني البيغاء فسأصدر أمراً بفصل عنقك.

رأى الملك محمد أن أخيه ككل الملوك وأصحاب السلطة لا يقبل الكلام المنطقي. عاد الملك محمد في الحال إلى المنزل وأخبر الحصان والبيغاء بكل ما حدث.

قال الطائر:

لا تخف يا ملك محمد! خذنى واعطنى للملك ولا تفعل شيئاً آخر.

أخذ الملك محمد البيغاء وأعطاه للملك وعاد مرة أخرى إلى منزله.

عمل البيغاء في خدمة الملك؛ نظر الملك إلى البيغاء وانفجرت شفتاه بابتسامة الإلتصار ثم اتكأ على أريكة.

قرأ الطائر ورداً فالتصق الملك بالأريكة، وعندما أراد أن ينهض واقفا ويذهب خارجاً لم يستطع.

أتى عدداً من المساعدين وبذلوا جهداً ثم أدركوا في النهاية أنه ملتصق بالأريكة. صاح على وزيره غير مصدق وقال له:

يا وزير! هل أنا ملتصق بالأريكة حقاً، ما هذا الذى يحدث؟.

أراد الوزير أن يقترب من الملك ليرى ما الذى حدث بالضبط، فقرأ البيغاء في الحال ورداً فالتصق الوزير بالملك.

حضر الوكيل ليرى ما الذى يجب عمله في هذه الحالة فالتصق هو أيضاً

بالوزير.

إندفع الأشراف والأعيان والخدم وكل الحاشية والجميع إلى القصر على صوت الضوضاء والجلبة والفوضى فقرأ البيغاء تعويذة سحر فالتصق الجميع ببعضهم. ذهب البيغاء وأخبر الملك محمد والحصان بما حدث فحضر الملك محمد، وما أن رآه الملك قال له:

يا أخى! أنا أخطأت فى حقك، فاصفح عَنَّا وسأعطيك المملكة وكل ما نمتلك على أن تنقذنا من هذه المصيبة.
قال الملك محمد:

ليس لى إختيار، كل الإختيارات بيد البيغاء، لو أنا تكلمت فسألتصق بكم أيضا. جاء الحصان فى هذه الأثناء والتحق بهم.

أمسك الحصان بالملتصقين ببعضهم من ناحية وأمسك البيغاء بالناحية الأخرى وارتفعا بهم إلى السماء السابعة، ومن هناك ألقوا بهم، فسقطوا إلى الأرض وتناثروا قطعة قطعة.

إجتمع الناس واختاروا الملك محمد ملكاً عليهم، واختاروا الحصان وزيرا له والبيغاء وكيلاً.

خرجت فى هذا الوقت الفتاة الأصغر من الفتيات اللائى كن قد أخرجهن الملك محمد من البئر، وكانت طوال هذه الفترة فى انتظار الملك محمد. احتفلوا بزواج الملك محمد لمدة أربعين يوما بلياليها.

نشر الملك محمد العدل، واستجاب لطلبات ورغبات شعبه فتحوّلت حياتهم إلى العدل والسعادة. أنتم ايضاً، عيشوا حياتكم فى سرور وسعادة وعدالة.

* * * * *

١١ - حكاية جول أغا

كان وما كان، ولا إله إلا الله، كان تحت قبة السماء، رجلٌ عجوز يُدعى "جُلُّ بالاً"، وكان لهذا العجوز ثلاث بنات وولد واحد عزيز جداً عليه، إسمُهُ "جُلُّ أغا". لم يكن لهذا العجوز- فى هذه الدنيا الفسيحة - إلا زوجة العجوز وأبناءه الأربع، كانوا فقراء جداً، وعاشوا فى هذا الفقر والضعف مدةً طويلة.

فى يوم من الأيام ، قال جول أغا لوالديه: حتى متى سنظل فى هذا الفقر وضعف الحياة، وننام ببطن جائعة؟، اسمحوا لى أن أسافر لأعمل وأتسبب. سمح له والديه بالسفر، فودعهم وانطلق فى طريقه حتى وصل إلى غابة. - نترك جُلُّ أغا فى الغابة ونحكى لكم عن أحوال وأوضاع ونظام الحكم فى هذا البلد.

هذه البلاد يحكمها ملك، يختلف فى حكمه عن كل الملوك من حوله، حيث كان يتسم بالعدل ولا يُظلم عنده أحد.

كان لهذا الملك ثلاثة أبناء، كل واحد منهم أجمل وأقوى من الآخر. ذات يوم طلب هؤلاء الأمراء من أبيهم أن يسمح لهم بالذهاب إلى الصيد، فسمح لهم ، وساروا وقطعوا الأودية والجبال والصحارى، حتى وصلوا إلى تلك الغابة التى تركنا فيها جول أغا، وبينما هم يتقدمون فى الغابة وصلوا إلى باب كهف، وكان يسكن هذا الكهف تنين، وما أن رأى التنين هؤلاء الأمراء الثلاثة داخل الكهف حتى التقمهم فى فمه وخرج بهم إلى جانب شجرة سرو، وكانت تقف على أفرع شجرة السرو هذه ثلاث من الغربان، وكان لون أحد هذه الغربان أسود، ولون الثانى أخضر، والثالث أصفر، وعندما همَّت الغربان بالطيران إلتقطها التنين فى فمه قبل أن تطير.

لنترك التنين فى الغابة ونذهب فى أثر ثلاثة من تجار المدينة.

كان لكل واحدٍ من هؤلاء التجار ابنٌ وحيد، ومن العجيب أنه ذات ليلة رأى كلٌّ من هؤلاء الأبناء الثلاثة فى منامه أن ثلاثة إخوة من التجار يعيشون فى الهند، وكان لدى كلٍّ منهم فتاةٌ رائعة الجمال؛ رأى الابن الأصغر أنه أحبُّ الفتاة الصغرى، ورأى الأوسط أنه أحبُّ الفتاة الوسطى، ورأى الأكبر أنه أحبُّ الكبرى. ذات صباح - وقبل أن تشرق الشمس- إستأذن كلٌّ من الفتيان الثلاثة والديه وأخذوا طريقهم إلى بلاد الهند، يُبطنون الخُطا مرةً ويُسرعون مرةً، حتى وصلوا - بعد سبع سنوات- إلى الهند، هناك وعلى شاطئ نهر جلسوا ليستريحوا من عناء السفر، فى ذات الوقت جاءت إلى النهر ثلاث فتيات، تحمل كل واحدةٍ منهنَّ على كتفها جرّةً، وما أن وقع نظرُ الفتيان عليهنَّ تأكدوا تماماً أنهنَّ اللاتي رأينهنَّ فى المنام، وبعد التحية والسلام والسؤال عن الأحوال، روى الفتيان للفتيات عما حدث معهن، فارتبطت الفتاة الصغرى وتعاهدت مع الولد الأصغر، والفتاة الوسطى مع الفتى الأوسط، والفتاة الكبرى مع الشاب الأكبر. - لنترك هؤلاء الشباب يعيشون لحظات الحبِّ والتخطيط لمستقبل حياتهم، ونعود لنرى ما فعل التنين.

تنين حكايتنا هذه معه تنين آخر- صديقه- يعيش معه فى نفس الكهف، وكان ينتظر عودته لأنه كان جائعاً جداً، وعندما عاد صديقه إلى الكهف قال له: يا أخى! أنا جوعان جداً، فاسمح لى أن أخرج لأبحث عن طعام. قال له التنين الأول: اذهب وعُد بسرعة.

خرج التنين من الكهف وشق طريقه إلى شاطئ النهر، فرأى هناك الفتيان الثلاثة والفتيات، فأخذ مكانه - خالى البال، قرير العين- فى ظل شجرة ينتهز الفرصة ليلتهمهم، انتبهت الفتيات فى اللحظة ورأين التنين، فقرأن التعاويذ على الفتيان الثلاثة فتحولوا فى الحال إلى ثلاث حمامات، فالتقمهم التنين فى فمه وعاد إلى صديقه فى الكهف.

هيا بنا الآن نعود إلى جُلْ أغا؛ فجأةً وأثناء سيره فى الغابة وجد جُلْ نفسه داخل الكهف، وهناك رأى التينين - كأنهما جبلين- يغطان فى نوم عميق فارتعدت فرائسه من الهلع وسقط على الأرض، وعندما همَّ أن ينهض ويعود أدراجهُ كانت رائحته الآدمية وصلت إلى أنوفهما فاستيقظا، وحاولا بكل ما أوتيا من قوة أن يلتهما جُلْ أغا فلم يتمكنا من ذلك، فقد كان جُلْ أغا كالوتد، ثابت على الأرض وقد سحب سيفه وانهاه ضرباً بكل قوته عليهما فأفقد أحدهما الوعي، وقتل الآخر وشق بطنه وأخرج منها الحمامات الثلاث، ثم ذهب إلى التين الذى كان قد فقد وعيه فقتله أيضاً وشق بطنه، فخرج منها ثلاث غربان، كان أحدهم أسود اللون والآخر أخضر والثالث أصفر، وحين خرجت هذه الغربان قبعت بجوار جُلْ أغا، ولم تطير إلى أى مكان، فتعجب جُلْ أغا، وازداد تعجبه حين اراد أن يخرج من الكهف، فقد صاحت الغربان وقالت فى صوتٍ واحد:

خُذنا معك؛ فقال لهم:

هيا بنا؛ ومضى بهم فى طريقه قاطعاً الوديان والتلال، واصلا الليل بالنهار، جُلْ أغا يسير على الأرض والغربان فوقه فى الجو، حتى وصلوا فى نهاية المطاف إلى استراحة.

لنتركهم يستريحوا من عناء السفر، ونعود أدراجنا إلى والدَى جُلْ أغا. كان جُلْ بالا وزوجته وبناتهم الثلاثة يذرفون الدموع على جُلْ أغا، ومنتظرين عودته بفارغ الصبر، فقد اعتقدوا أنه سيعود سريعاً ويحضر معه الهدايا والطلبات، لكن من أين لهم أن يعرفوا أنه سيواجه صعوبات وحوادث مختلفة، ومشاكل تعترض طريقه.

تحملت "جوهر"، والدَة جُلْ أغا على كاهلها عبء الحرمان والفقر سنين، لكنها لم تتحمل فراق ابنها الوحيد عنها، فمرضت وماتت من الحسرة على غياب جُلْ أغا.

مضت خمس سنوات منذ وفاة زوجة جُلْ بالاً، وشَعَرَ العجوز أن بناته لا يزلن صغاراً ويحتجن إلى رعاية، وهو يتقدم فى العمر وأن ابنه سيصبح رجلاً، وأمام هذا الأمر فُكِّرَ العجوز أن يتزوج من أرملة تُدعى طوطى هانم، وبالرغم من أن طوطى هانم كانت زوجة أب إلا أنها كانت تبسط حنانها وعطفها على الجميع، لكن البنات كُنَّ دائماً على خلاف معها، لذا غادرن إلى منزل آخر ومكثن فيه ينتظرن عودة أخاهم الغائب.

بعد عام وشهر بالضبط، عاد جُلْ أفا إلى بلدته ومعه طيوره، وعلم بزواج أبيه وتشريد أخواته فأنزعج بشدة، واتجه إلى البيت الذى تقيم فيه أخواته وعاش معهم، وصنع لحماماته وغربانه قفصاً جميلاً.

لنتركهم هنا يعيشون فى حُبٍّ ووفاء، ونعود إلى بنات العم الثلاثة الذين ابتلع التنين خاطبيهم، لنرى ماذا حدث لهم.

عندما عادت تلك الفتيات المساكين إلى بيوتهنَّ، أخذن يبكين ويذرفن الدموع على فراق خاطبيهم ودَبَّ فيهن المرض، ويوما بعد يوم ازداد ضعفهن وهزالهن، حتى أصبحن كأوراق الشجر الأصفر الزابل فى الخريف، فقرَّر آباءهنَّ أن يزوجوهنَّ من ثلاثة أمراء، لكن البنات لم يوافقن على الزواج من الأمراء على أمل أن يعود إليهن خُطَّابهنَّ، لذلك طلبن من والديهن مهلة لعدة أيام. ذات يوم سمع جُلْ أفا الحمامات والغربان يتحدثون سوياً كالآدميين، فأخرجهم من القفص ووضعهم فى الغرفة فطارت الغربان ووقف كل غراب منهم على كتف واحدة من الأخوات، فهم جُلْ أن هذا يُعتبر رمز وأن هذه الطيور تحتفظ بسرٍّ، فقرَّر أن يتتبعها ليكشف هذا السر، فسأل الحمامات أولاً، فقلن له: إسأل الغرباب الكبير.

فقال جُلْ أفا للغراب الكبير:

بالله عليك، أخبرنى عن السرِّ.

قال الغراب:

احملى إلى مكان آخر لأحكى، فأخذه جُلُّ أغا إلى مكان آخر فقال الغراب:
غاق غاق غاق، فغضب جُلُّ أغا وصفعه على وجهه، فبكى الغراب وسقطت
قطرة من دموعه على الأرض وتدحرجت وكتبت:
كُنَّا ثلاثة أمراء.

ذاهبين إلى مرج خصيب.

فأصبحنا أسرى لسحر.

فجذبنا السحر إلى فمه.

فصرنا طعاماً للثنين.

ندم جُلُّ أغا على تعصبه وضربه للغراب وقال له:

سامحنى يا أخى، فقد تعصبتُ عليك وفقدتُ صوابى؛ قل لى ماذا تريد الآن؟.

جفف الغراب دموعه وقال:

كُنَّا ثلاثة أمراء نتجول فى الغابة، فالتقنا التنين- الذى قتلته أنت - فى فمه،

كما التهم أيضاً ثلاثة غربان آخرين، وعندما غاصت الغربان فى دمه دخلنا نحن
فى جلودهم.

تلك التنائن لها ثلاثة أرواح فإذا قبضتْ أرواحها سنعود نحن إلى حالتنا الآدمية؛

كذلك الحمامات كُنَّ آدميات مثلنا تماماً، فدخلن فى جلود الحمام.

صاح جُلُّ أغا على الحمامة الكبرى وقال لها:

أستحلفك بكل من تحبين أن تحكى لى كل ما حدث معكم.

بكت الحمامة وقالت:

عزتى فى النهر.

هذا الطريق يودى إلى النهر.

عراسى الثلاثة الجميلة.

تناديني إلى النهر.

كذلك أيضا سردت الحمامة قصتها وقالت بتوسل:

يدى على يدك! أرجوك أن تجد حلاً لفك السحر، لكي نعود إلى حالتنا الآدمية.
أخذ الدم يغلى فى عروق جُلْ أغا من الغضب فقام وجهه نفسه لخوض الحرب،
وبينما كان يودع طيوره إذ وصلت إلى آذانهم أصوات مدوية ومرعبة كصوت
الرعد، وظهر إثنان من التنانين كأنهم جبلين أو ماردين عملاقين، وما أن رأت
الطيور ذلك حتى أجهشت بالبكاء وسقطت من أعينهم الدموع على الأرض.
التقمت التنانين الطيور، وما أن سحب جُلْ أغا سيفه ليهجم عليهما إذ به يسمع
صوت رعد وريح شديدة، ولم يرى شيئاً وكأنه لم تكن ثمة تنانين، فعاد إلى
أخواته مضطرباً وحزيناً مهموماً.

مضت أيام على هذا الحالة؛ وذات يوم ذهب جُلْ أغا إلى ذاك المكان الذى ابتلعت
فيه التنانين الطيور، وهناك وجد أشعة الشمس قد شكَّلت ياقوتة حمراء من كل
قطرة من دموع الحمامات التى سقطت على الأرض، وأن شجرة قد نبتت فى
المكان الذى تساقطت فيه دموع الغربان، ورأى ثلاثة من السيوف مُعلقة بأفرع
هذه الشجرة، وقد كُتِبَ على السيوف:

يا جُلْ أغا، اقرأ المکتوب واعمل بما فيه بالضبط واتبعنا، فهذه السيوف تفك
السحر، وتخلصك من الأعمال السحرية.

أخذ جُلْ أغا السيوف من الشجرة، لكن حتى الآن لا يزال عبء الهم والغم
يلزمه، وكان غارقاً فى بحر أفكاره المضطربة، فسألنه أخواته:

لمَ كل هذا القلق والإضطراب؟ فحكى لهم عن كل ماحدث وقال:

يجب على أن أذهب فى أثر الحمامات والغربان.

نعم! ودَّعَ جُلْ أغا أخواته البنات واستقل طريقاً لا يعرف نهايته، سار و سار،
ركب التباب والتلال، وخلف ورائه الصحارى والوديان، حتى وصل إلى أطراف

غابة مُظلمة، وقف ودقق النظر فى أطرافها فأبصر ضوءاً من بعيد، واتجه سائراً نحو هذا النور حتى وصل إلى غار، وحين دخل الغار وجد رجلاً عجوزاً مكبلاً بحبل، وما أن رأى العجوز جُلَّ أغا فرح فرحاً شديداً وقال له: جُلَّ أغا، يا بُنى! أنا مسرور جداً بقدمك، منذ مدة وأنا أنتظر، وعينى على طريقك. انشغل جُلَّ أغا بالتفكير وقال فى نفسه من أين يعرفنى هذا العجوز؟ وظهرت عليه الدهشة والاستغراب؛ ضحك العجوز وقال له: لا تدهش يا بُنى من كلامى، فإنك سترى أشياء أكثر غرابة من هذا. أمعن جُلَّ أغا النظر بدقةٍ إلى العجوز وقال له: لا يا أبى ، أنا لم أندesh من كلامك، لكن الذى يحير فكرى هو أنك من أين عرفت إسمى؟. قال العجوز: أنا أعرف إسمى منذ أن ولدتك أمك؛ فقل لأرى، ما الذى جاء بك إلى هنا؟. ذكر جُلَّ أغا كل الموضوعات التى حدثت معه، ثم قال: أرشدنى إلى مكان هاك التنينين، إن كنت تعرفه. قال العجوز: إرحم شبابك يا بُنى، وأخرج فكرة التنائن من رأسك وعُد إلى منزلك. قال جُلَّ أغا: لا لن أعود قبل أن أجدهما. أصرَّ العجوز على جُلَّ أغا أن يعود، وأصرَّ جُلَّ أغا على ألا يعود قبل أن يجد التنائن؛ وفى النهاية قال العجوز: إعطنى أدنك واستمع جيداً لما أقول! إن تلك الياقوتات الثلاث التى تكونت من دموع الحمامات هى نفسها التنين الأول، وأن السيوف الثلاثة التى فوق الشجرة هى نفسها التنين الثانى، وكانت قد صُنعت من دموع الغربان، فاستمر فى

طريقك إلى الغابة الكبيرة وهناك ستجد شجرة سرو كبيرة، وتحت شجرة السرو هذه يختبئ التنين الأول، وسوف يتثائب بعد ثمانية عشر يوماً، وما أن يفتح عينه عليك أن تقذف فيها بياقوتة على الفور، حتى يستيقظ تماماً، وبمجرد أن يستيقظ يضرب على جسده بالسيف بقوة.

أخرج العجوز من تحت رأسه سيفاً وأعطاه لـ جُلْ أغا وقال له:

إن التنين هو نفسه السحر، وفي نفس الغابة توجد أيضاً شجرة سنّار، وتحت تلك الشجرة يرقد التنين الثاني، ولن يستيقظ قبل ثمانية عشر يوماً، فضع في أنفه ياقوتة لكي يستيقظ، ومن أول ضربة بالسيف، إذا لم تصبه فستتحول ركبته ذهباً، وفي الضربة الثانية بالسيف، إذا لم تصبه فستتحول بطنك ذهباً، وأما في الضربة الثالثة، إن لم تستطع إصابته فسوف يتحول جسدك كله إلى جسم من الذهب، فحاول جاهداً ألا تُخطئ ضربات سيفك.

شكر جُلْ أغا العجوز ثم ودّعه وأخذ الطريق الذي كان العجوز قد أشار له عليه من قبل، وسار شهوراً وسنيناً حتى وصل إلى الغابة الكبيرة؛ وهناك عثر على شجرة السرو، وكما أخبره العجوز وجد التنين الأول راقداً تحت الشجرة، وبعد ثمانية عشر يوماً بالضبط تثائب، ألقى جُلْ أغا بالياقوتة في عينه فعضس التنين عطسة قوية ثم استيقظ، فقام جُلْ أغا في الحال بضربه على رأسه بالسيف ثلاث ضربات قوية ومتتالية، فتهشم رأسه وأخذ يتمرغ في دمه حتى مات.

غادر جُلْ أغا المكان وذهب للبحث عن التنين الآخر، فوجد شجرة السنّار ووجد التنين تحتها، فألقى بالياقوتة في أنفه فعضس التنين عطسة ثم اسيقظ؛ رفع جُلْ أغا سيفه إلى أعلى وهبط به بقوة على رأس التنين فأحدث السيف صوتاً شديداً ثم عاد إلى مكانه، فلم تكن الضربة بالقوة المطلوبة فانقلبت ركة جُلْ أغا ذهباً، فهوى بالسيف مرة أخرى على التنين، لكنها أيضاً لم تفعل شيئاً فتحولت بطن جُلْ أغا إلى بطن من ذهب؛ استجمع جُلْ أغا كل قواه وصرخ صرخة مدوية

ونزل بسيفه بقوة أشد على رأس التنين فتهشمت رأسه قطعة قطعة، وشق جُلْ
أغا بطنه وأخرج منها الحمامات وقال لهنَّ:

أنتم الآن أحرار ويمكنكم الذهاب.

عاد جُلْ أغا أدراجه إلى مكان التنين الأول، وشق بطنه وأطلق سراح الغربان،
وقال لهم :

أنتم أيضاً الآن أحرار.

شربت الحمامات والغربان من دم التنين فعادوا إلى حالتهم الآدمية، لكنهم
أصرُّوا على ألا يفارقوا جُلْ أغا، فأخذهم معه إلى منزله، وهناك قام بتزويج
أخواته البنات من الشباب- الذين كانوا غربانا بفعل السحر- فأقاموا حفل الزواج
الذى استمر أربعين يوماً بلياليها، أكلوا وشربوا ورقصوا وغنوا.
هنأت الحمامات جُلْ أغا وأخواته وأزواجهنَّ على الزواج واستأذنوهم فى
الإنصراف والعودة إلى أهليهم.

أخذوا طريقهم بشوق ولهفةٍ إلى أحبائهنَّ؛ سبع سنوات قضوها فى طريق السفر
حتى وصلوا إلى البلدة التى يعيش فيها خُطَّابهنَّ - الذين كانوا قد طلبوهم
للزواج من قبل- وسألوا وسألوا حتى وصلوا إلى منازلهم.

بعد انقضاء فترة من الوقت أقيم حفل زواج هؤلاء الفتيات، لكن آبائهنَّ أصرُّوا
على أن يزوجوهنَّ من ثلاثة أمراء.

تحول الشَّبَّان مرةً أخرى إلى شكل الحمام، رفرقوا وطاروا وحطوا على فتحة فى
بيت العرائس الجديد؛ وما أن رأت الفتيات تلك الحمامات عرفنهن على الفور،
وأمسكت كل فتاة بخطيبها وخرجوا من المكان وقرروا جميعاً أن يقوموا بتنفيذ
ما شترطوا عليه، وهو القسَم والعهد على أن يعيشوا سوياً.

قرأت إحدى الفتيات ورد فك السحر على الحمامات فعادوا إلى وضعهم الآدمى
شباناً، فتعجب الآباء من هذا المشهد واستفسروا منهم، ففهموا الموضوع،

ووافقوا على عقد القران وأقاموا حفل العرس الذى استمر - كالعادة - أربعين
يوماً بلياليها، فغنى الناس ورقصوا، ونال الفتیان الثلاثة والفتيات مراد قلوبهم.
لعلكم أنتم أيضاً حصلتم على مراد قلوبكم.

١٢ - نصير ونسترن

كان ياما كان، تحت القبة الزرقاء، كان هناك ملك ليس لديه ولد لكى يرثه ويمتلك تاجه وعرشه وأمواله ودولته.

كان وزير هذا الملك هو نفسه أخوه الأكبر، وكان أيضاً ليس لديه ولد. ملك قصتنا هذه كُئِل ملوك العالم، كان ظالماً جداً وقاسٍ، لكن وزيره كان شخصاً طيباً وأميناً.

ذات يوم كان الملك يجلس حزيناً ويده على جبينه غارقاً فى بحرٍ من الهموم، وفجأة دخل الوزير إلى البلاط الملكى وبعد أن أدّى التحية المناسبة، سلّم على الملك وقال له:

يا قبلة العالم! ماذا حدث لكم وجعلكم هكذا حزين، الشكر لله على المال، وليس لديكم نقص فى شئ، والقوة والسلطة التى فى يديكم تكفيكم، وخزائنكم مملوءة بكل أنواع الجواهر، والذهب الملكى يزين مفرق رأسكم! والآن أنتم مهمومون بالرغم من خدمة الرعية والسعاة والعمال، فما هى المصيبة التى حطت على رأسكم؟

نهض الملك من مكانه وضرب الأرض بقدمه وأطلق آهة طويلة من صدره وقال:

يا أخى! كلامك كله مضبوط وصحيح، لكن أود لو أنزع هذه الفكرة من رأسى وألقى بها على الأرض، فمن ياترى سيكون صاحب تاجى وعرشى وثروتى ودولتى من بعدى؛ كما أنك تعلم أننى عقيم ولم أرزق حتى الآن بولد يخلفنى بعد موتى.

قال الوزير:

أيها الملك العظيم! هذا أمر مؤلم جداً، وكما تعلمون أنا أيضاً مثلكم، محروم من

انجاب الولد؛ وكأن الله أدار وجهه عنا نحن الأخوين؛ فما العمل؟ فقد أحضرنا كل طبيب لعلاج هذه المعضلة المؤلمة، واستمعنا إلى كل ضارب ودع وكل ساحر، لكن كأن مشكلتنا ليس لها حل.

فى نفس اللحظة كان صوت شيخ يصل إلى أذنيهما؛ فنادى الملك على الحاجب وقال له:

إحضر هذا الشيخ إلى هنا كي يسمعنا قصيدة تبعد عنا الغم والهم.
أتوا بالشيخ إلى حضرة الملك، وعندما رأى الملك فى حالة من الحزن والهزال تجرأ وسأله:

أيها الملك! أراك فى حالة اضطراب وتردد، فما سبب ذلك؟، هل خرستم؟
أجابه الملك:

أيها الشيخ! لماذا تسأل عن حالى؟ أنا مُبتلى بما لا تستطيع أنت علاجه، فلا تضغط على قلبى ولا تجدد أحزانى، فقط عليك أن تلقى علينا عدة أبيات من قصائد لعلها تسكن بعض آلامنا.

قال الشيخ:

يا قبلة العالم! ربما أستطيع أن أعالجك، فالتحدث عن المرض واجب وإخفاؤه إثم.

قال الملك:

أيها الشيخ! كما ترى، فقد مرت من عمرى سنين كثيرة، وحتى الآن لم أرزق بولد يرثنى بعد موتى، كذلك أخى الوزير، مع أن رماد الشيخوخة زحف إلى شعر رأسه فليس لديه ولد أيضاً، وكأننا كالبغال لن ننجب أبداً! هل عرفت الآن ما أعانى؟.

هز الشيخ رأسه وقال بهدوء أعصاب: يعنى.

صاح الملك - الذى كان قد غضب من عدم مبالاة الشيخ وهدوء أعصابه-

وقال له: هل هذا الوجع بسيط فى نظرك؟.

أخذ الشيخ يفكر وبعد لحظة من الوقت قال للملك:

عليك أيها الملك المعظم أن ترحم المساكين، وتساعد المحتاجين، وأن تعين الضعفاء وتطعم الجوعى لمدة أسبوع لوجه الله، فبإذن الله ستنال ما تريد.
فكر الملك قليلاً ثم قال:

لتذهب أموالى كلها إلى جهنم!

أنشد الشيخ قصيدةً وأنعم عليه الملك جيداً ومن ثم غادر الشيخ القصر.
أمر الملك بأن يفتحوا باب الخزانة لمدة أسبوع ليُغنوا منها الفقراء ويطعموا منها الجوعى ويكسوا منها العراة؛ بعد أسبوع بالضبط حملت كل من زوجة الملك وزوجة الوزير.

بعد تسعة أشهر وضعت زوجة الملك بنتاً ووضعت زوجة الوزير ولداً.
أمر الملك بإقامة حفل عظيم وترتيب عزومة كبيرة، ودعوا كل المنجمين وضاربى الرمل وكبار السن والمتدينين إلى القصر، لاختيار إسم لكل من المولودين.

نهضت امرأة عجوز من مكانها وقالت:

تسلم أيها الملك! أنا اخترت للولد إسم "سجيم قلى"، وللبنات إسم "سجيم هانم" حتى يعمرن طويلاً مثل سجيم.

ما إن انتهت العجوز من كلامها حتى أمر الملك فضربوها ضرباً مبرحاً وألقوا بها خارج القصر.

جاء دور ضاربى الرمل، وقف ضارب الرمل بأدب واحترام وأدّى التحية وقال:
تسلم أيها الملك! أنا اخترت إسم "أوزون حاجى" للولد، وللبنات إخترت إسم "قيلتو راجى" حتى يطول عمرهما.

ضربوه أيضاً وأخرجوه من القصر.

وقف المتدين وأدّى التحية بأدب واحترام وقال:
تسلم أيها الملك! أنا اخترت للولد إسم " نصير " واخترت للبنت إسم " نسترن ".
كانت الأسماء التي اختارها المتدين حسنة جداً واستحسنها الجميع.
منحوا المتدين هدايا كثيرة، وبعكس ما حدث مع المرأة العجوز وضارب الرمل،
فقد خرج من هناك سعيداً ومسروراً.
فى نفس ذاك المكان تعاهد الملك مع أخيه وقال له:
إبنتى لإبنك نصير ولا يجوز لأى واحد منّا أن ينقض هذا العهد.
كتبوا وثيقة بذلك ووقعوا عليها وختموا فى نهاية الوثيقة بختم الملك الذى كان
بحجم حدوة الحصان.
وبعد أن انتهت مراسم تسمية المولودين سلّموهما إلى الممرضات.
كما يروون فى القصص، فإن الأيام والشهور والسنين ليست طويلة، فقد مضت
السنة كيوم ومضى القرن كشهر، فقد جاء الأولاد بعد شهور وأيام وقد بلغوا من
العمر ثمان سنوات.
أمر الملك بأن يحضروا معلم إلى القصر ليعلم الأولاد القراءة والكتابة.
نترك المعلم ينهمك فى تعليم الأولاد وهياً بنا لنرى ما حدث مع الوزير.
فى يوم ذات شتاءٍ باردة أصيب الوزير بنزلة برد شديدة، فمرض ولزم الفراش،
وتطور الوضع مع الوزير فأصيب بالحمى، وأحس برعشة شديدة، وشعر بأن
نهايته قد دنت ولم يبق من حياته شئ، فأرسل فى طلب أخيه بأن يأتى ويجلس
بجانبه فى هذه اللحظات الأخيرة من حياته.
جاء الملك إلى بيت أخيه ورآه وهو يحتضر، فجلس بجانبه.
قال الوزير للملك بصوتٍ مرتعشٍ ودموع غزيرة:
يا أخى! أنا سأموت، نصير هو أمانتى عندك، لا تنسى العهد الذى بيننا.
جفف الملك دموعه بمنديله وقال وهو يتظاهر بالحزن:

يا أخى! لماذا تؤلمنى؟، ابنتى لإبنك ولا فرق بينهما، استرح أنت فالحهود
والمواثيق التى بيننا محفوظة ولن أنساها أبداً.

أخرج الوزير آخر أنفاسه، وأغلقت عيناه عن الدنيا.
أمر الملك بتكفينه ودفنه، وأعلنوا الحداد لمدة سبعة أيام، وكان الجميع يبكى
وينوح، وتردد الناس على سرادق العزاء أسبوعاً، ثم بعد ذلك انصرف كل واحدٍ
إلى عمله.

بعد الإنتهاء من مراسم العزاء نسى الملك أخاه الوزير، حتى أنه لم يذهب إلى
بيته أويسأل عن حال زوجته، لكن نصير ونسترن فقد كانا يدرسان فى كُتَّاب،
ولم يكن لأى منهما قدرة على الإبتعاد فى يوم من الأيام عن الآخر.
نعم! مرت الأيام والشهور ووصل نصير ونسترن إلى سن الخامسة عشر، وكان
نصير فى جماله كالبدر فى منتصف الشهر، وكذلك نسترن كانت فى جمال
الشفق، وكان كلاً منهما عاشق ومتميم بالآخر.

كانت مدخرات أم نصير تنقص مع مرور الزمن، وفى النهاية كانت كل ممتلكات
الوزير قد نفدت، وكانت أم نصير مضطرة أن تغزل بيديها لتواجه متطلبات
الحياة.

مع هذه الأحوال المعروفة كان نصير لا يستطيع أن يعيش كالسابق، وكان
مضطراً أن يذهب إلى الكُتَّاب بملابس رثة وبالية، لكن ابنة الملك كانت تذهب
بملابس مزركشه وغالية الثمن.

كانت ابنة الملك تحب نصير بشدة، ولا تستطيع البعد عنه.
لاحظ المعلم حُبَّهم وميلهم لبعضهم البعض، فذهب فى الحال إلى الملك وأدَّى
التحية وقال:

يا قبلة العالم! تسلم لنا، إن نصير ونسترن قد كبرا وليس فى مصلحتهما
الإستمرار فى الدراسة فضلاً عن أن الناس يتحدثون عنهما، لذا يلزم ابعادهما

عن بعضهم البعض.

غضب الملك عند سماعه هذا الكلام وفي نفس اليوم منع نسترن من الخروج من البيت، كذلك نصير هو الآخر لم يذهب إلى الدراسة وفكر في نفسه أنه تعلم كل ما يجب أن يتعلمه.

منذ ذلك اليوم وفيما بعد لم يستطع نصير أن يرى نسترن.
انهارت قواه ونفذ صبره فذهب إلى بيت عمه، فلعله يستطيع أن يرى نسترن، لكن بالرغم من أنه حاول أن يتسلل إلى غرفة نسترن لكنهم لم يسمحوا له.
استدعى الملك نصير للمثول أمامه وقال له:

من اليوم فصاعداً لا تحاول أن ترى نسترن مرة أخرى.
قال نصير:

يا عمي العزيز! نحن معاً مُد كُنا صغاراً وكبرنا سوياً، والآن تبعدنا أنت عن بعضنا.

قال الملك:

لا تتكلم كثيراً، أقول ليس مسموحاً لك أن ترى نسترن بعد الآن، والسلام، إنتهى الكلام.

خرج نصير من البلاط الملكي وذهب إلى بيته وانكفأ على الأرض يبكي وسالت دموعه السيل.

أخذت أم نصير تُقبّل وجه ابنها ورأسه حين رآته حزيناً باكياً وقالت له:
لماذا تبكي يا بُنى؟ ما الذى يضايقك؟.

حكى نصير لأمه ما حدث معه منذ ذهابه إلى بيت عمه حتى اللحظة وقال لها:
إنَّ عمي منغى من رؤية نسترن نهائياً، وأنا لا أستطيع العيش بدونها.
قالت أمه:

ليس لدينا مشكلة، فهي جميلة ومخطوبة لك، أنا غدا سأذهب إلى عمك وأحدد

معه ميعاد عُرسكُما.

قال نصير:

ليس فى بيتنا طعام زائد، بماذا نجهز حفل الزواج؟.

ضحكت أمه وقالت:

أشكر ربك لأن عمك ملك، سيقوم هو بإتمام كل لوازم حفل الزواج؛ فلماذا تغتم؟.

هدأ نصير قليلاً وباتوا ليلتهم، وعندما بزغ نور الصباح أيقظ نصير أمه

وأرسلها إلى الملك.

ذهبت الأم وجلست فى مكان انتظار تقديم طلبات الشكاوى للملك، فأخبروا الملك

بأن هناك سيدة تريد مقابله.

قال الملك: دعوها تدخل.

أخذوا المرأة إلى الملك، وحين رآها الملك عرف أنها زوجة أخيه، فسألها: ماذا

تريدين؟ ما هى شكاوك؟.

قالت المرأة:

تسلم لنا أيها الملك! ليس لدى شكوى إنَّما أتيتُ لأوصل لك رسالة؛ أن نصير لا

يستطيع الحياة بدون نستر، وعليكم أن تجهزوا لحفل زواجهما بأسرع ما

يمكن.

كشّر الملك عن أنيابه وقطّب جبينه وقال:

عُرس! ما هذا الذى تقولين؟.

قالت المرأة:

أنت قطعت عهداً وميثاقاً مع أخيك بأن إبنتك لنصير؛ هل نسيت؟.

قال الملك:

أى عهد وأى ميثاق، عن ماذا تتحدثين؟، إبنتى لم ولن تكون خطيبة لأى أحد.

قالت المرأة:

يا لتعاستى، ماذا يقول هذا الملك؟، فذاك أيها الملك إرحم إبنى، ولا تنقض العهد.
قال الملك:

إبنتى ليست لقيطة لكى أزوجها لكل تافه ومتسول وجائع؛ اسمعنى جيداً، من
الآن فصاعداً لو أن ابنك تكلم كلاماً يخص إبنتى سأصدر أمراً بقتلكما، أنتِ
وإبنك معاً.

قالت المرأة وعيونها ترغرغ بالدمع:

أيها الملك! إن نصير هو ابن أخيك أنت، وإذا كان متسولاً وجائعاً ولا يملك شيئاً
فهذا يرجع إليك.

أمر الملك بأن يُلقوا بزوجة أخيه خارج القصر، فعادت المرأة إلى بيتها وقالت
لإبنها:

إصرف نظر عن هذه الفتاة وفكر فى فتاةٍ أخرى فعمك لا يقبل أن تكون أنتِ ابن
أخيه ولا أنا زوجة أخيه، وقد أمر بطردى من القصر فألقوا بى خارجاً، فأخرج
أنتِ أيضاً فكرة الزواج من هذه الفتاة وتزوج فتاة من عامة الشعب وعيشا
حياتكما فى سعادةٍ وهناء.

ما أن سمع نصير كلام أمه هذا حتى أخذ يصرخ ويولول ويتأفف ثم قال: أنا
سوف أنتحر يا أمى.

قالت له:

هل أنت عاجز أو ضعيف؟ إذهب سراً إلى الحديقة أو بجانب جدار القصر أو
حتى غرفة ابنة عمك وأعرض عليها المشكلة وحل معها هذه القضية، ولا تعذب
نفسك إلى هذا الحد.

وجدت هذه الفكرة قبولاً لدى نصير فخرج فى نفس اللحظة من بيته والتقى
بامرأة عجوز فقال لها:

يا أمى العزيزة! أنا فذاك، معى رسالة وأود منك أن توصليها إلى نسترن.

كانت العجوز امرأةً رحيمة القلب وعطوفة وقد عرفت ابن الوزير فتلمست عينيه بيديها وقالت له:

كان أبوك يساعدي ويعطف على كثيرًا، ولذلك سأوصل رسالتك إلى خطيبتك وسأتي منها لك بالرد.

أخذت العجوز الرسالة من نصير ووصلت ببطء خلف قصر الملك ودخلت إلى الحديقة بهدوء وبدون صوت ثم دلفت إلى غرفة نسترن وأعطتها الرسالة. قرأت نسترن الرسالة وفهمت محتواها فأمسكت بقلم وورقة وبدموع عينيها كتبت إلى نصير رسالة وأعطتها للعجوز كما منحتها حفنة من الذهب وقالت لها: يا أمي! من الآن وما بعده، كل ما أعطاك نصير رسالة أوصليها لي بأسرع ما يمكن.

أخذت العجوز الرسالة إلى نصير وقرأ نصير الرسالة؛ كانت نسترن قد كتبت فيها:

يا نصير! أنا لن أتزوج بأى أحدٍ غيرك، فإمّا أقضى حياتي معك وإمّا فى المقبرة؛ فأرسل إلى أبى بعضاً من كبار القوم لعل الله يدخل فى قلبه الرحمة ويسمح لنا أن نتزوج.

إطمأن نصير إلى أن نسترن لا زالت تحبه بقلب ثابت، فذهب بسرعة إلى بيته وقال لأمه:

يجدر بنا أن نرسل بعض كبار القوم إلى عمى.

ذهبت الأم على الفور إلى المدينة وبحثت عن بعض أصدقاء زوجها القدامى وأرسلتهم إلى الملك.

قال لهم الملك:

لو طلب منى نصير مرة أخرى أن أزوجه من ابنتى سأشنقه، باختصار عليه أن ينسى كل كلام ابنتى له، ويجب على هذا اليتيم أن يعرف أن لكل واحدٍ منزلته

ومكانته.

جاء الكبار عند نصير ونقلوا له كل ما دار بينهم وبين الملك؛ فزاد الهم والغم على رأسه فعاد إلى العجوز وكان قد كتب رسالة فأعطاها إياها وقال لها: أمى العجوز، قولى لنسترن أن تنتظرنى فى حديقة الخريف لأنه يجب أن أراها. ذهبت العجوز وعادت بالرد على الرسالة بسرعة وقالت له: إن الفتاة ستنتظرك فى الحديقة مع غروب الشمس.

أخذ نصير يحسب الوقت ويستعجل الزمن فى انتظار لحظة الغروب، وفى النهاية مالت الشمس ناحية الجبال الغربية وحان وقت العصر فأسرع الخطا إلى لقاء محبوبته حتى يصل هناك مع مغيب الشمس. أنتم أيضاً طاب عصركم.

تحركت هى أيضاً من مكان إقامتها ووصلت إلى حديقة الخريف خلف قصر الملك، وحين وصل هو فى الموعد المحدد رأى نسترن مطأطأة الرأس تنتظره كغزالةٍ كسيرة النفس.

جلس العاشقان بعد اللقاء والسؤال عن الأحوال تحت شجرة. قالت نسترن:

يا نصير، إن أبى لن يزوجنى بك، فقد نقض العهد وأنكر وعده، أمّا أنا فلن أتزوج من أى أحد، وقد رفضت كل من جاء يخطبنى من طرف الملك. قال نصير:

لنصبر قليلا، فربما يرجع إليه صوابه.

قالت نسترن: أنا لا أفكر، فهو لن يعطيك إبنته أبداً.

وصل إلى أسماعهم فى هذه الأثناء صوت إحدى الخاديمات تنادى وتقول: يا نسترن هائم، يا بنت يانسترن، أين ذهبت هذه الفتاة يا ترى، إن أباه يبحث عنها؟.

ما أن سمعت نسترن هذا النداء حتى نهضت من مكانها وقالت:
أنا فداك يا نصير، أخرج من هنا بأسرع ما يمكن، فلو أتوا إلى هنا ورأونا معا
فسوف يقتلوننا، فأبى يبحث عن حجة ليتصرف معنا تصرفاً سيئاً.
سارت نسترن رويداً رويداً وخرجت سراً من الحديقة وعادت إلى حجرتها،
وهناك كان أبيها جالساً ينتظرها.
وجّه الملك إلى ابنته نظرة غاضبة، وحاول في نفس الوقت أن يتحكم في
أعصابه، ثم سألها وهو يبتسم ابتسامة باهتة:
أين كنتِ؟.

أجابته:

كنت قد مللتُ يا أبى، وذهبت أتنزه قليلاً في الحديقة.

قال لها:

يا بنيتى، أنا نويت أن أزوّجك من ابن ملك مدينة دربند، فما قولك؟.

قالت:

أنا لا أريد الزواج يا أبى.

قال لها:

لا تريدان الزواج، ما هذا الذى تقولين؟ أنا قررت أن أزوّجك، فأنتِ ابنتى وليس
لكِ أن تعصى أمرى.

قالت:

إن كُنتَ مُصرّاً على تزويجى فاسمح لى أن أتزوج خطيبى. فسألها بسخرية:
ومن هو خطيبك؟.

قالت له:

أنت أول من يعرفه، إنه ابن عمى، نصير.

قال لها:

هذا ما بقى لى، أن أزوّجك من متسوّل فقير، لو مات أمامى فلن ادعه يرى حتى وجهك، وسأزوّجك بالقوة من ابن ملك.

بينما كانت دموعها تسيل على وجنتيها قالت الفتاة:

أنا لن أتزوج من ابن ملك يا أبى.

صاح الملك وهو يرتعد من شدة الغضب:

أقسم أن أقتلك وأمزقك قطعة قطعة.

قالت:

أنا راضية بقدرى، فلو قتلتنى ستسريح نفسى من هذا العذاب، فأنا سأموت بدون نصير.

قال:

أخيراً، فى العُرف والقانون أن يتقدم والد ووالدة العريس بطلب يد الفتاة، فهل ستبتدعين أنتِ عادات وتقاليد جديدة؟، إسمعى لما أقوله جيداً، عليك أن تصرفى النظر عن نصير أو غيره.

كان الملك ككلب الصيد الهارب، غاضب ومحبط، ونهض من مكانه وذهب إلى القاعة الكبرى، واستدعى الوزراء والوكلاء وكبار القوم وقال لهم:

دبروا لى وفكّروا فى حل لهذه المشكلة، فإبنتى لن تبتعد عن ذاك الفقير المعدم.

لدى الملك وزير عجوز ومحنك، وعالماً عاقلاً، قال بأدب وبعد أن أدى التحية الواجبة:

يا قبلة العالم، أنا لى طلب.

قال الملك: قل.

قال الوزير:

أيها الملك المعظم، إن نصير هو ابن أخيك، فإن كان سيئاً أو حسناً فهو من ذوى رحمك، فاوصله وضعه فى كنفك ولا تعتبره فقيراً، واعطه ابنتك لتوصل

المحبين ببعضهم.

تعصب الملك بشدة وقال: أيها الوزير، أقسم لو أنك أعدت هذا الكلام مرة أخرى لفصلت رأسك عن جسدك، نصير ليس ابن أخى.

قال الوزير:

إذاً فليس لدى تدبير آخر.

قال الوكيل:

أيها الملك، إذا جاءك أحد الأمراء ليخطبها فاعطها له بأسرع ما يمكن، فهي بعد مدة من البكاء والحزن ستهدأ.

استحسن الملك هذه الفكرة وقال:

أحسن؛ هكذا يكون التفكير؛ فقد جاءنى بالأمس خاطبٌ من طرف ملك دربند ليخطب ابنتى لكنها رفضت؛ فلن أسألها بعد ذلك عن رأيها فى أى خاطب يتقدم لخطبتها، وسأقبلُ به وأضع يدها فى يده.

أتى ابن ملك البربر ليخطب ابنة هذا الملك، فوافق الملك على الفور وقال فى نفسه:

إن شاء الله يكوننا سعداء مع بعضهما.

ذهب الملك إلى ابنته وقال لها:

يا بنيتى، غداً لا، فبعد غدٍ يكون عرسك، فتجهزى لكى أزوجك لابن ملك البربر إنه شاب وسيم.

تعصبت الفتاة وقالت:

يا أبى، أنا لن أتزوج حتى لو كان بالقوة؛ أنا لا ملك جيشاً ولا محاربين، لكن قوتى فى يدي، فسأغرس فى قلبى سكيناً لأستريح من آلام ومعاناة هذه الدنيا. قال الملك بصوتٍ مصحوباً بالشفقة واللين: ماذا تقولين يا ابنتى؟! هل جنت لتقتلى نفسك.. قاطعته الفتاة: يا أبى، أقسم بروحك أنى سأفعل ما قلته.

عاد الملك إلى غرفته غاضباً.

من ناحيةٍ أخرى، وبحسب إتّفاق سابق، حضر نصير إلى حديقة الخريف وتقابل مع نسترن؛ حكّت نسترن لنصير عن كل ما حدث معها فى الأيام الماضية، ثم قالت له:

أنت كنت تقول أننا سنكبت رغباتنا فى صدورنا، أما أنا فسأحمل رغبة وصالك معى إلى القبر.

لم تتمالك نسترن نفسها، فسالت دموعها على وجنتيها.

هدأ نصير من روع نسترن وقال لها:

هيا نهرب سوياً إلى بلدٍ آخر، وأعمل لأكسب لقمة عيشنا، ونبدأ فى حياةٍ جديدةٍ لنا هناك.

قالت نسترن:

لا يا نصير، لا يمكننى أن أقوم بهذا العمل أبداً، ونهاية الكلام، إذا لم يوافق أبى على زواجنا فسأقتل نفسى.

رأى وكيل الملك نصير ونسترن معاً فى حديقة الخريف، فذهب على الفور وقال للملك:

أنت تجلس هنا، ونصير مع إبنتك فى الحديقة فى حالة حب وهيام.

اشتاط الملك غيظاً وقال: طالما نصير هذا على قيد الحياة فلن تتزوج إبنتى أبداً، ولو قتلت نصير فسيختفى نهائياً من أمام عيني إبنتى، ومن ثم تتزوج بآخر. ارتدى الملك البدلة الحمراء وجلس على منصة القضاء وأمر بإحضار نصير. لطم الملك نصير لكمة قوية وقال له: أيها الولد التافه، ألم اقل لك من قبل أن تُخرج من رأسك فكرة زواجك بابنتى، ولا تأتِ إلى هنا مرةً أخرى؟. قال نصير:

ليس الأمر بيدى، إنّه اختيار القلب.

قال الملك:

سوف أأمر الآن بأن يخرجوا قلبك من صدرك.

قال نصير:

أنا راضٍ بذلك، عسى أن تستريح روحى من هذا العذاب.

إستدعى الملك السيّاف وقال له: خُذْ هذا الملعون وافصل رقبتَه عن جسده.

أمسك السيّاف بياقة نصير وأخذ يجرّه إلى المشنقة، وعندما همّ بوضع الحبل

فى رقبتَه، وقع الوزير على قدمى الملك وقال له:

يا قبلة العالم! يقولون: عندما يكون الحُكّام غاضبين عليهم أن يعدّوا من واحد

إلى مائة؛ فعليكم أن تعدّوا من واحد إلى مائة فقد تهدأ ثورتك وعصبيتك؛ فإذا

قتلت ابن أخيك فستضحك منك كل شعوب الأرض، وسيمقتك كل الملوك،

وأخيراً؛ ما هو الذنب الذى ارتكبه لتشنقه بسببه؟؛ لاتزوجه إبنتك، لا تعطيها له.

قال الملك:

قل لى أيها الوزير عمّا يجب علىّ أن أفعله.

قال الوزير:

ماذا يجب عليك أن تفعل؟ عادى جداً؛ خُذْ عليه تعهد كتابى وأطلق سراحه ليذهب

ولا يقترب من إبنتك مرةً أخرى.

أخذ الملك التعهد على نصير وأطلق سراحه؛ فانصرف نصير بعد أن نجا من

حبل المشنقة، وأخذ يبحث عن نسترٍ فى كل مكان لأنه يريد أن يراها مهما

حدث معه، فذهب فى المساء إلى المكان المعهود والتقى بها هناك وسرد لها كل

ما حدث معه، وقال لها: لولا وجود الوزير هناك لكان أباك قد قتلنى.

قالت له نستر:

عوّضك الله، فالوزير رجلٌ طيب جداً وعادل، لكن عليك أن تحذر يا نصير، فأبى

يخلق لك الأعذار ليقْتلك.

قال نصير:

أنا موافق على أن يقتلني؛ من ناحية يكون قد أبعدني عنك، ومن ناحية أخرى ستريح من حياة الفقر والذلة، فقد وصلت روحى إلى حلقى.

قالت نسترن:

لا، يا نصير، فالرجل العاقل لا يلقي بحبل آماله ورغباته عند أول اختبار، لكن عليه أن يجابه العدو لآخر نفس وبما أوتى من قوة.

ذهب كل منهم بعد هذا إلى بيته؛ وبقدر ما استطاعت أم نصير، نصحته بأن يخرج نسترن من رأسه لكن دون فائدة، فقد كان لمدة يلتقى بها سرّاً إلى أن وصل خبر لقاءتهما لأسماع الملك.

استدعى الملك مرة أخرى، الوزراء والوكلاء وأصدر لهم أمراً: عليكم أن تقبضوا على نصير وتشنقوه فوراً؛ أمرى هذا قاطع، ولن أراجع هذه المرة.

أرسل الوزير - فى نفس الليلة- بهذا الخبر إلى الفتاة، وأرسلت الفتاة بدورها فى طلب المرأة العجوز وكتبت رسالة إلى نصير وأعطتها إيّاها وقالت لها: أوصلى هذه الرسالة إلى نصير ليأتى يقابلنى بأسرع ما يمكن. قرأ نصير الرسالة، وكان مكتوباً فيها: تعال إلى الحديقة فى منتصف الليل، أريد أن أتحدثك معك فى أمر هام جداً.

ذهب نصير- بعد أن مرّ جزء من الليل- إلى المكان المحدد فالتقتهُ نسترن وقالت له وعيونها تذرف الدموع: قلبى معك يا نصير، فقد أمر أبى بأن يقبضوا عليك صباح غدٍ ليشنقوك، وعليك الليلة أن تهرب بعيداً عن هنا؛ عزيزى نصير، إن الخلاص بنفسك من بين يدي العدو هو ذكاء وشجاعة، فلا تُعرض نفسك للقتل، فالله يسمع شكوانا وقد يستجيب لنا، وجمعنا سوياً بعد الشتات، بعد أن نظن ألا تلاقى.

قال نصير:

لا يا نسترن، أنا لن أهرب من هنا، دعيهم يقتلوننى، فأنا راضٍ بالموت.

قالت نسترن ودموعها لازالت تنحدر:

عزيزى نصير، إنَّ الإستسلام وموت العاجز من صفات الناس الجبناء

والمستسلمين الضعفاء، فاهرب من هنا واطمئن، طالما أنا ثابتة على موقفى

فلن أتزوج من أى أحد، وسأكون فى انتظارك.

أقنعت نسترن نصير بالدليل القاطع أن يهرب ويبتعد من هناك، فودَّع بعضهم بعضاً ومن ثمَّ افترقا كلٌّ فى طريقه.

عاد نصير إلى بيته وأعاد على أسمع أمه كل ما سمعه؛ ودَّع أمه، وأخذ معه كمية من الطعام وبعض الأمتعة وشق طريقه فى الحال، وسار حتى وصل فى الصباح إلى غابة كثفة الأشجار وتوارى بداخلها عن العيون.

فى صباح اليوم التالى، وبعد الفجر حيث بدأت الشمس تبسط أشعتها رويداً رويداً، وترتفع من خلف الجبال الشرقية، ارتدى الملك الملابس الحمراء وجلس على أريكة الحكم وقال:

أحضروا نصير الآن واشنقوه أمامى.

ذهب السيّافون والعمّال يبحثون فى كل مكان، لكنهم لم يعثروا على نصير.

أتى إلى الملك من يخبره أن نصير قد هرب إلى خارج البلاد.

أمر الملك بأن ينادوا فى أرجاء المدينة، وأرسل الفرسان فى كل اتجاه لكنهم لم يعثروا له على أى أثر، وكأنه قطرة ماء وذابت فى الأرض.

غضب الملك وندم على أنه لم يتمكن من قتل نصير، وأخذ على نفسه عهداً أن يزوج إبنته فى الغد.

أتى الأمراء من كل بقاع الأرض لخطبة ابنة الملك، لكن نسترن لم تقبل بأى منهم وقالت:

أنا لن أتزوج من أى أمير أو من أى قريب للملك، وصممت على رأيها.
فى النهاية صرف الملك النظر عن تزويج إبنته وأمر بشنقها.
أحضروا نسترن إلى المشنقه، وعندما همّوا بربط الحبل فى رقبتها وقع الوزير
العجوز على قدمى الملك وقال له:
يا قبلة العالم! هل تدرك عاقبة ما تقوم به؟

فلو سمحت تمهل قليلاً، وفكّر فى القادم، فمنذ بداية الخليقة وحتى الآن لم
يشنق ملك إبنته؛ أيها الملك! اسمع كلام هذا الوزير العجوز وتغاضى عن ذنب
إبنتك، فإذا كانت ترفض الزواج من أمير فقم بتزويجها من أحد الرعية فى هذا
البلد، وأرح بالك وانسى أن لك بنتاً أصلاً.
وضع الملك يده على جبينه وغاص فى بحر من الأفكار؛ فقد ترك حديث الوزير
فى نفسه أثراً، ثم رفع رأسه وأوقف تنفيذ الحكم.
سعد الجميع وأعادوا الفتاة إلى حجرتها.
لم يرغب الملك فى رؤية ابنته لكنه أراد أن يزوجها بأسرع ما يمكن ليستريح
بأله.

كان يعيش فى هذا البلد وتحت حكم ملك قصتنا هذه، ببناء اسمه "حسن" عُمره
خمسون عاماً، وكان عاقلاً ومدبراً ومخلصاً، ولم يسوء حتى الآن إلى أى أحد،
وكان يعيش من عمل يده سعيداً ووحيداً، فقد توفيت زوجته منذ خمس سنوات
مضت.

قرر الملك فى يوم من الأيام أن يخرج للتنزه فى طرقات المدينة، حتى يخرج من
حالة الحزن والكآبة التى ألمّت به، وبينما كان يسير مع وزيره فى الحارات
والأذقة وصلاً إلى حيث يسكن حسن البناء، فرآه وهو يطهو الطعام بنفسه فسأل
وزيره: أيها الوزير! لماذا يطهو هذا الرجل الطعام بنفسه؟.

أجابه الوزير: تسلم أيها الملك! كانت زوجته قد توفيت منذ خمس سنوات مضت

ولم يتزوج حتى الآن بأخرى.

لم يقل الملك شيئاً وخرجوا إلى الصحراء وشرعوا فى الصيد وركوب الخيل، وعادا بعد أن أنهكهما التعب والإرهاق.

كان قد وصل فى نفس اليوم ابن ملك الصين ليخطب ابنة الملك، فدعا الملك ابنته وقال لها:

لقد جاء ابن ملك الصين ليخطبك، فما ريك؟

قالت الفتاة:

أنا لن أتزوج من ابن ملك مهما حدث، فإذا أردت فاشنقنى.

تعصب الملك وأمر بإحضار حسن البناء إلى القصر، وقال لابنته وهو لا يزال غاضباً:

أنت ترفضين الزواج من ابن ملك الصين، فسأوزجك من هذا الرجل الكبير المكافح.

قالت الفتاة:

أنا موافقة يا أبى، وسأذهب معه.

أمر الملك بأن يزقوا ابنته إلى بيت حسن البناء على حمار، وبدون إى احتفالات.

قال حسن البناء وكأنه يحلم:

أين أنا من ابنة الملك!.

نعم ... أعدوا فراشاً بسيطاً للغاية لعقد القران، وأذاعوا فى الجوار على عقد قران نسترن و حسن البناء.

انتهت المراسم وذهب الجميع إلى اعمالهم، وبقي فى المنزل حسن البناء ونسترن فقط، فنهضت نسترن وشرعت فى تنظيف المنزل وغسل ملابس حسن واستكمال احتياجات المعيشة، فأعجب حسن بذكاء ونشاط نسترن وقام فى نفس

اليوم باستدعاء نساء الجيران وطلب منهن بأن يقيموا احتفالاً كبيراً بالطبل والزممر أمام منزله، وأجلس نسترن في ناحيةٍ لتشهد مع ضيوفها حفل زواجها. في نفس اللحظة التي وقع فيها نظر حسن على الفتاة وجد دموعها تسيل على وجنتيها فتعجب لذلك وتأثر كثيراً ثم سألها قائلاً: أيتها الفتاة الجميلة! ألم تأتِ إلى بيتي برغبتك، فلماذا تبكين إذاً؟.

قالت الفتاة، وهي على حالتها: تذكرت قصة عاشقين اثنين كانا محبين ومتلازمين لبعضهما، ففصلت بينهما يد القدر، فلا تشغل بالك. قال حسن: ما هذه القصة التي تجعلك هكذا تبكين وسط هذا الفرح والسرور؟. قالت الفتاة:

لو سمحت لي، أخبرك بها.

قال حسن:

هيا أخبريني.

لملمت الفتاة شعرها وضافنرها التي كانت قد تدلت على وجهها ومسحت دموعها بطرف منديلها ومن ثم بدأت الحديث: يا حسن، في ماضٍ ليس ببعيد، وفي مدينةٍ ليست بعيدة، كان يعيش أخوين، كان أحدهما ملكاً وكان الآخر وزيراً له؛ كان الملك ظالماً جداً وكان الوزير عادلاً جداً، وكلاهما لم يكن لديه ابن، وبعد مدة من الزمن وضعت زوجة الملك صبيةً ووضعت زوجة الوزير صبياً، فخطبوهما لبعضهما مَذاً كانا في المهد رُضّعاً، وكبرا وتعلما في مكانٍ واحدٍ حتى بلغا سن البلوغ فأصبحا عاشقين لبعضهما البعض؛ وما الفائدة عندما لم يحققا رغباتهما.

مرض الوزير ذات يوم مرضاً شديداً، وتوفي سريعاً، وقد ضاق الحال بأسرته من بعده فاضطروا لبيع كل ممتلكاتهم، وفي نفس الوقت نقض الملك العهد ورفض تزويج ابنته لابن الوزير كما اتفق، واحترق الفتى في نار الحب وتقلب

فى رماده، وأخذ فى الصراخ والعويل فأمر الملك بشنقه ففر الفتى هارباً من ظلم الملك، وهام فى الصحراء على غير هدى، وبقيت الفتاة وفيّة فى حبها وحتى هذه اللحظة لم تنسى حبه، وقد جاء أمراء من كل مكان فى الأرض ليخطبوا هذه الفتاة، لكنها رفضتهم جميعاً وضربت بكلام أبيها عرض الحائط؛ وفى النهاية أراد الملك أن يزهد روح إبنته، لكن الوزير الحكيم طلب منه ألا يقتلها، لذلك أراد الملك أن ينتقم منها فزوّجها لرجل عجوز فقير ومكافح، لم ترفض الفتاة لأنها لو تزوجت من أحد الأمراء الذين وافق عليهم أبيها لكان عليها أن تنسى خطيبها إلى الأبد، لذلك وافقت على أن تتزوج من رجل بسيط، وتعتبر أنه زوج نقى، شريف، ذو شهامةٍ وصدق، وله قلب عطوف رحيم وقد يساعدها فى محنتها هذه؛ وبرغم أن الفتاة ذهبت إلى بيت زوجها برضاها إلا أنها لم تنسى خطيبها لحظة واحدة، ودائماً ما كانت دموعها تسيل على وجنتيها وعينها معلقة بالطريق.

وعندما وصل حديث نسترن إلى نهايته كانت دموعها لا زالت تنحدر حتى سقطت على الأرض مغشياً عليها، وجلس حسن عند رأسها يعالجها فأفاق بعد فترة وجلست بجوار حسن، فقال لها حسن:

يا فتاة! إن هذه القصة تشبه حالنا كثيراً؛ فقد احترق قلبي من أجل تلك الفتاة وذاك الفتى اللذان حكيت لى عنهما، لو كان الأمر بيدنا لأنقذناهما من هذا الملك الظالم القاسى.

أشعل هذا الكلام النار فى قلب نسترن مما زاد من شدة بكاءها واضطرابها.

وضع حسن يده على رأس نسترن يداعبها ويلطفها وقال لها:

أيتها الفتاة الجميلة! أعتقد أن كلامك هذا لم ينتهى بعد، أكملى حديثك وأخرجى كل ما يدور فى رأسك وقلبك ولا تخجلى، وأقسم لك بحياتى أن أعمل كل ما فى وسعى ولا أقصر.

وقعت الفتاة على قدمي حسن واستمرت تقول:

إن كل الأحداث التي رويت لك وقائعها يا حسن هي قصتي، فأنا أحب خطيبي جداً، وذكراه ستدوم في قلبي حتى الموت وسأحملها معي إلى قبري، وأنت أقسمت لي بحياتك، فأمهلني سبع سنوات واجعلني في بيتك مثل أختك، فإذا عاد خطيبي بعد السبع سنوات فاسمح لي أن أتزوجه، وإذا لم يعد سأصير زوجتك. كان حسن إنساناً عطوفاً وحنوناً، فقد رق قلبه لبكاء وألم نسترن وقال لها: أيتها الفتاة الجميلة، أنا قبلت ووافيت على ذلك؛ ستكونين إبنتي وأكون لك أباً، وتعيشين معي في هذا المنزل وتقومين برعايتك مثل أبيك ومنتظر عودة خطيبك ونسأل الله أن يعود قريباً جداً، وعندما يعود سأقيم أنا لكما حفل العرس. لنترك حسن ونسترن يعيشان هنا كأب وإبنته ونذهب لنقتفى أثر نصير. بقي نصير في الغابة مدة ثلاثة أيام بلياليها يتجول فيها لعله يجد طريقاً إلى مدينة أوقرية، وقال في نفسه:

أواصل السير والبحث وأتقدم في طريقي، فإما أموت أو أصل إلى بلدة، وهناك أتناول طعاماً؛ سار حتى أنهكه السير ولم تعد قدماه تتحمل جسده من الجوع فخارت قواه، وفجأة ظهر أمامه شاب فسأله: أيها الشاب، أ توجد منطقة سكنية قريبة من هنا؟.

أجابه الشاب:

إن أول بلدة من هنا تفصلك عنها مسيرة ثلاثة أيام.

تنهد نصير تنهيدة شديدة، فسأله الشاب:

لماذا تتنهد هكذا؟!

قال نصير:

منذ سبعة أيام لم اذق طعاماً، وسأموت من الجوع في هذه الغابة وتموت معي آمالي وأمنياتي.

قال الشاب:

أنا معى قدرا من الطعام والخبز، فهيا سد جوعك ولا تشغل بالك.
استراحا قليلاً فى مكان قريب من جدول ماء، وأكل نصير حتى شبع، وبعد أن
استرد قواه واستعادت عيناه بريقها، شكر الشاب وسأله:
قل لى أيها الشاب! من أنت، وإلى أين أنت ذاهب؟.

قال الشاب:

أنا الأمير حيدر، ابن ملك اليمن، وأنا أحببت ابنة ملك أصفهان، وقد أتيت على
رأس جيش عظيم لأخطب الفتاة وأحملها معى، لكن تبعثر جيشى كله، وها أنا
الآن أهيم فى الصحراء وقد قطعت مسافة كبيرة ولا زلت أسير لأرى ما
سيحدث، وبذلك أكون قد شبت من الحياة؛ قل لى الآن:
من أنت، وإلى أين أنت ذاهب؟.

قال نصير: أنا إسمى نصير، وابن وزير ملك مدينة زر، كان أبى شقيق الملك،
ولم يكن لدى أى واحدٍ منهما أولاد، وبعد عدة سنوات وضعت زوجة الملك فتاة،
وزوجة الوزير هى أمى التى ولدتنى، وفى نفس الوقت تعاهد الملك والوزير
على أن يخطبا إبنيهما لبعضهما، وبعد مدة توفى أبى فنقض الملك عهده ولم
يسمح لنا بالزواج، بل فى النهاية أصدر أمراً بقتلى، وقد رأت خطيبتى أنه من
الأفضل أن أهرب لأنجو بنفسى من القتل، وها أنا فى هذا المكان شريداً وضالاً.
قال الأمير حيدر:

يا نصير، أنا وأنت مشكلتنا واحدة، فهيا نتعاهد ونرتحل سوياً، فإما نموت وإما
نحقق أمانينا.

قال نصير:

حسناً جداً أن نكون أخوين حتى نرى إلى أى مكان سيقودنا القدر.
شق نصير والأمير حيدر طريقهما حتى وصلا إلى قلعة، وفجأةً إلتف حولهم

لصوص.

قال نصير:

أيها اللصوص، أفسحوا الطريق واسمحوا لنا أن نمرّ، ونقسم لكم بالله ما معنا شئ لتأخذوه مِنّا.

قال رئيس اللصوص:

نريد ملابسكم، نحن فقط نحتاج ملابسكم.

رفض نصير فأراد رئيس اللصوص أن يضرب نصير على رأسه بعصاً كانت في يده إلا أن نصير أمسك بذراعيه وأسقط العصا من يده على الأرض، وفي الحال التقط نصير العصا وضربه بها على رأسه ضربة قوية هشمت رأسه وتناثر مخه على الأرض، وما أن رأى بقية اللصوص هذا المشهد حتى ولّوا هاربين، وأصبحت القلعة تحت تصرف نصير وصاحبه حيدر؛ كان في القلعة أموال ووسائل معيشة مما كان اللصوص قد سرقوها من الناس.

قال نصير لحيدر:

لن نجد أفضل من هذا المكان يا أخي، لنتخذ هذا المكان سكناً ومأوى لنا حتى نرى ما سيحدث بعد.

قال الأمير حيدر:

حسناً جداً، أنا موافق؛ فسأله نصير:

مملكة من هذه المملكة؟.

أجابه حيدر:

إنها مملكة ملك مدينة البربر.

نعم، إتخذوا القلعة مقر إقامة لهم، وسرعان ما انتشر خبرهم في أرجاء المدينة، وكان الجميع يقولون:

أن إثنين من الأبطال قتلوا اللصوص واستولوا على القلعة؛ خاف ملك البربر

وأرسل كتيبة من جيشه، وجهزوا مكاناً قرب القلعة وأقاموا فيها خيمة كبيرة،
وأمر الملك بإرسال مبعوثاً إلى القلعة ليعرف من يكون هؤلاء.

ذهب المبعوث إلى الأمراء وسألهم:

من أنتم؟.

أجابه نصير:

نحن لسنا أعداء لكم، ولم نؤذى أحداً، لكن لو أى شخص أهاننا وأراد أن يؤذينا
فلن نقف أمامه مكتوفى الأيدي.

أوصل المبعوث الرسالة إلى الوزير الذى قام بدوره بإيصالها إلى الملك، فغضب
الملك وقال:

لا تسع مملكة واحدة ملكين، إحضروهما إلى.

أمر الوزير بدق طبول الحرب فهجم الجنود على القلعة.

تسلح نصير والأمير حيدر بالأسلحة والعتاد التى تركها اللصوص خلفهم،
وارتدوا ملابس القتال وهجما على الجنود فتفرق الجنود فى كل اتجاه وغادروا
القلعة.

قال الأمير حيدر:

يا أخى، قد يرسل الملك جنوده مرة أخرى، فلا يجب علينا أن نغادر القلعة، بل
علينا أن ندافع عنها ونشتت الجنود.

وافق نصير على ذلك، ومرّ اليوم الأول بدون مناوشات ولا حتى خبر عن
هجوم، لكن فى اليوم التالى هجم جيش الملك على القلعة كالجراد والنمل.
دافع نصير وصاحبه عن القلعة دفاعاً مستميتاً، وقتلوا كل من حاول الدخول
إليها.

وصل خبر إلى الملك بأن مملكته قد دُمّرت لأن جيشه قد أبيد بأكمله وأن العدو
فى قلعة حصينة، ولو اجتمع كل جنود الأرض فلن يستطيعوا هزيمتهما،

والحكمة تقتضى أن نرسل إليهما لنعرف وجهة نظرهما.

أمر الملك وزيره بأن يتخفى فى ملابس السُعاة ويذهب إليهما ليتقصى الأمر.

ذهب الوزير وسأل نصير وصديقه:

أيها الأبطال، لماذا أتيتما إلى هنا؟

قال نصير:

إن أخى هذا جاء لخطب ابنة الملك، فقل للملك أن يأتى إلى هنا ليعقد لأخى هذا على ابنته حتى نغادر هذا المكان بسلام.

قال الوزير:

أهذا آخر ما عندكما؟، هل سمعتم من قبل أن ملكا عقد لابنته على عابر سبيل مجهول الهوية والنسب؟.

لم يشأ نصير أن يُعرِّفا بأنفسهما فى بداية الأمر، لكن حيدر أعلن وقال: أنا ابن وزير ملك الروم وصديقى هذا ابن ملك الهند.

عاد الوزير وقدم تقريراً للملك بما حدث معه، فقال الملك:

لن أعطيها لكل من هبّ ودبّ.

فى ذات الوقت كان ملك الروم قد هجم على مملكة البربر هذه وأرسل رسالة إلى ملك البربر مكتوباً فيها:

إذا زوجت ابنتك لابنى فلن أقاتلك، وإلا سأحمل على رأسك تراب مملكتك وألقى بكم فى البحر.

قال الملك لوزيره:

يا وزير! قد لا ننجو من المطر بعد، فقد أصبحنا أسرى للمطر؛ فكّر لنا فى فكرة أو دبر لنا وسيلة.

قال الوزير:

هذه ليس لها تدبير سوى أن نذهب لقتالهم.

كتب الملك رسالة وأرسلها إلى ملك الروم قال فيها:
لن أعطى ابنتي لأى أحدٍ حتى لو كان ابن ملك الروم نفسه.
غضب ملك الروم بشدة وأمر بالهجوم على المدينة.
لم يستطع جيش البربر الصمود أمام هذا الهجوم الكاسح كالسيل العارم، ودخل
جيش الروم المدينة منتصراً.
وصل خبر هذا الهجوم إلى أسماع نصير وحيدر، فقال نصير لحيدر: يا أخى، إن
العدو الذى هجم على المدينة سيأخذ حبيبتك أمام أعيننا.
قال حيدر:
وما العمل، فكرّ لنا فى فكرة.
قال نصير: الفكرة هى أن نمتطى الأحصنة ونهجم على جيش العدو.
ركبا الأحصنة وهجما على جيش العدو وأخذا يشتان الجنود يميناً ويساراً،
وصنعا من أجساد القتلى هضبة، وعندما رأى ملك الروم هذا الوضع أصدر أمراً
بالانسحاب وأخذ ما تبقى من جنود وولّى هارباً.
شاهد ملك البربر من شُرْفة قصره كل ما حدث من البطلين، وعندما رأى هزيمة
وفرار ملك الروم وجنوده قال للوزير: يها الوزير، إذهب وأحضر لى أولئك
الأبطال.
ذهب الوزير إلى نصير وصديقه وقال لهما: إن الملك يطلب حضوركما أمامه
الآن.
ذهبا إلى قصر الملك، فألقى الملك نظرةً متفحصةً على هذين البطلين من الرأس
إلى أخمص القدمين، ورأى أنهما فعلاً بطلين راشدين وأقوياء البنية، فتعرّف
عليهما وأمر بأن يمكثا عنده ضيوفاً ويكرموهما، وقال لهما:
أيها الشباب، أنتم أنقذتم رأسى ودولتى من شرّ ملك الروم وعليكم الآن أن تطلبوا
ما تشاءون فأحققه لكما.

قال نصير:

أنتم تعرفون ما نريده منكم، فأخى الأمير حيدر هذا يحب إبتنكم منذ زمن، وهو ابن ملك أيضاً، فاسمحوا له بعقد قرانه على السيدة الأميرة كريمتكم بحسب القوانين والشرائع والأعراف عندكم.

قال الملك:

لأنكما قدّمتما لى خيراً ودحرتما العدو وأنقذتما بلدى، فأنا موافق، لكن عليكما إحضار أمتعتكما من القلعة وتأتيا بها إلى القصر، فأنا مدين لكما طوال عمرى وسأستضيفكما ما حييت.

أخذ نصير وحيدر من الملك مائة جمل وحملوا عليها كل ما هو موجود فى القلعة وأتوا بهم إلى القصر كما أمر الملك.

شيدوا لهما عمارة فخمة واحتفلوا بهما لمدة أربعين يوماً بلياليها، ثم أتموا مراسم عقد قران ابنة الملك والأمير حيدر بكل الفرح والسرور. كان الملك قد وصل إلى سن الشيخوخة وليس لديه من الأولاد - من يرث عنه أمواله ومُلْكُه وعرش مملكته- إلا ابنته هذه فقط وقد زوّجها من شاب مناسب؛ وكان هو قد حقق كل أمانيه ورغباته فى حياته من هذه الدنيا؛ بناءً على ذلك استدعى الشابين أمامه وقال لهما:

أنا كبرت جداً وقد قررت أن أعزل العمل وأفوض إدارة المملكة بإرادتى إلى الأمير حيدر.

إنقضت الليلة، وعند بزوغ شمس اليوم التالى دعا الملك كل الوزراء والوكلاء ورجال القصر والأعيان والأشراف للإجتماع فى قاعة الإحتفالات الكبرى بالقصر الملكى وقال لهم:

أيها الناس، أنا قد هرمت، وأواجه صعوبة فى إدارة شئون المملكة، وبناءً على هذا قررت أن أضع إدارة شئون المملكة فى يد الأمير حيدر كشاب يافع

ومناسب؛ فهل توافقون جميعاً على قرارى هذا؟.

وافق الجميع وقد اعتبروا أن هذا قرار صائب وصحيح مائة فى المائة، ودعوا له بالسلامة وطول العمر، وأجلسوا الأمير حيدر على كرسى السلطنة بعد أداء الطقوس الخاصة والتشريفات المعتادة فى مثل هذه المناسبة، ورفع الملك التاج من فوق رأسه ووضعه على رأس صهره، وبدأ الأمير حيدر إدارة البلاد بالعدل والحزم، وقد عمّ فى عصره الأمن والسلام.

مضت مدة على هذا المنوال، وفى يوم من الأيام قال الأمير حيدر لنصير: يا أخى، أنت كنت سبباً فيما أنا فيه الآن فهيا بنا نأخذ جيشاً ونذهب إلى خطيبتك ونحضرها إلى هنا، ونقيم لكما حفل زواجكما وتقيمان معنا هنا. قال نصير:

لا، أنا لى هدف، فسأذهب وحدى فقط.

ومهما حاول معه الأمير حيدر إلا أنه لم يستطع أن يثنيه عن رأيه، فقد رفض نصير كل الإغراءات فى أن يبقى مع صديقه، فاستأذن منه وودعه ومن ثم شق طريقه بحصانه فى الوديان كالسيل، واجتاز الهضاب كالريح، حتى وصل إلى بلدته، وهناك عرج على بيت أحد أصدقائه وسأله: هل لديك خبر عن نسترن؟. أجابه صديقه وهو مضطرب وفى حالة من اليأس:

بعد أن ذهبت أنت من هنا غضب الملك من نسترن وأمر بشنقها وتدخل الوزير العجوز وأنقذها من الموت، ثم بعد ذلك زوجها الملك من رجل كبير فى السن، إسمه حسن البتاء؛ عليك أن تنسى أمر نسترن هذه.

ما أن سمع نصير هذا الكلام حتى سقط مغشياً عليه، وأفاق بعد ساعة وأخذ فى البكاء، وقال: لقد ذهب تعبى وجهدى من أجلها هدرا، لقد انتهيت تماماً ولا أريد أن أعيش بعد هذا، فقط أريد أن أرى نسترن لآخر مرة فى حياتى، ثم أخرج من هذه الدنيا.

سأله صديقه: إلى أين تريد أن تذهب من هذه الدنيا؟.

قال: إلى المقابر.

قال له صديقه:

أين ذهب عقلك، ما أكثر الفتيات الجميلات في هذه الدنيا، اللاتي يتمنين الزواج من شاب شجاع وبطل مثلك، تزوج من إحداهن وابدأ حياة جديدة.

نهض نصير وقال:

لا يا صديقي، أنا لا أفكر فيهن كما تفكر أنت، فقط دلّني على بيت حسن البناء هذا.

أرشده صديقه وذهب نصير إلى بيت حسن وهو يترنح كالسكران، في هذه الأثناء كانت نسترن قد خرجت من المنزل لقضاء بعض الإحتياجات، وكان حسن وحده في المنزل، دق نصير الباب وفتح حسن، ونظر إلى نصير بدقة وحين رأى حركات ووضع الشاب المضطرب والمشوش الفكر خَمَن أن هذا الشاب هو نصير، وبعد السلام قال حسن: أهلا وسهلا، من أنت، وعمن تبحث؟.

قال:

أنا نصير، وأبحث عن حسن البناء.

قال حسن:

أنا هو، تفضل أطلب.

قال نصير:

إذا سمحت لي أنا أريد أن أكلم زوجتك نسترن بضع كلمات.

كان حسن يعرف مدى تعلّق نصير بنسترن ومتأكداً أن هذا الشاب يحب نسترن من كل قلبه، لذا قال له:

لقد تأخرت يا عزيزي، فقد ذهبت نسترن بالأمس إلى رحمة الله.

ما أن سمع نصير هذا الكلام حتى ضعفت سواعده وخارت قواه وتوقف لسانه،

وأخذ يبكي بصوتٍ عالٍ ويقول:

خذني إلى قبرها يا حسن، فأنا أريد أن أبس لها ما في قلبي.

قال حسن:

هيا بنا.

أخذ حسن نصير إلى المقابر وأراه قبر حديث وقال له:

أنظر، هذا هو قبر نسترن.

تحجج حسن بالإنصراف إلى منزله واختبأ في مكانٍ قريبٍ ليراقب نصير.

ألقي نصير بنفسه على القبر وأخذ ينوح ويبكي حتى بللت دموعه تراب القبر

وقال: في آخر مرة تعاهدنا معاً، ألم نتفق على أن نعيش سوياً ونموت سوياً؟ إذاً

لماذا لم توفي بعهدك معي وتدخل القبر بدوني، بلا اعتبار لما بيننا..؛ ثم أغشى

عليه وسقط على المقبرة، وبعد أن فاق أخذ يبكي ويولول وقال: يا نسترن، أنا

بدونك ليس لي أهمية، وسحب سيفه وهمّ بأن يغمده في قلبه فأسرع حسن إليه

وأمسك به من الخلف وقال له:

أيها الشاب، لا تكن مجنوناً وهيا بنا إلى المنزل لأريك وصية نسترن فاسمعها

جيداً ثم رتب أفكارك وقرر بعدها إذا أردت فاقتل نفسك.

وضع نصير سيفه في غمده وذهب مع حسن إلى بيته؛ كانت غرفة نسترن

منفصلة، وعندما يكون لدى حسن ضيوف لا تأتي إليه نسترن، لذلك عندما

حضر نصير مع حسن ظنت أنه ضيف غريب فلم تدخل عليهما الغرفة.

تحدث حسن مع نصير في أمورٍ وموضوعات شتى، من الماضي والحاضر

والمستقبل، لا أحد يقول عن هذه الموضوعات إلا أنها أحاديث لمواساة قلب

نصير المنكسر الحزين.

قال نصير:

لو سمحت قل لي وصية نسترن بسرعة، لأنني أريد أن أذهب من هنا.

قال حسن:

كانت نسترن قد تركت وصيتها لدى عروس من جيراننا، فانتظرنى حتى أحضرها لتحكى لك كل شئ بنفسها.

ذهب حسن إلى الغرفة الأخرى وقال:

إفتحى عينيك جيداً يا نسترن، فقد عاد نصير.

وثبت نسترن من مكانها على الفور ودموع الفرح تسيل من عينيها على وجنتيها وقالت بانفعال:

إن شاء الله يكون خبر طيب يا عم حسن.

أرادت نسترن من فرط سعادتها أن تهرع إلى الغرفة الأخرى، لكن حسن أمسك بها وقال لها:

لا تتعجلي، واعملى بما أقوله لك؛ أنا قلت لنصير أنك تركت وصيتك عند العروسة جارتنا، فعليك الآن أن تضعى على وجهك نقاب وتدخلى عليه وتقومى بتغيير صوتك قليلاً، فأنا أريد أن أعرف بأى قدر هو يحبك.

قالت نسترن:

أنا أخاف أن ينفطر قلبه فيموت.

قال حسن:

لا تخافى، فلن يحدث هذا.

نعم، إرتدت نسترن نقاباً أخفت به وجهها تماماً ودخلت الغرفة على نصير

وجلست جانباً فرأت الدموع فى عيني نصير، فسالت دموعها أيضاً

وقال لها حسن:

أسرعى واسردى لهذا السيد وصية نسترن، فهو خطيبها.

غيرت نسترن من نبرة صوتها قليلاً وقالت:

مسكينة نسترن كانت كلمة " نصير " على لسانها فى كل وقت حتى أسلمت

الروح، إنها ما نسيك لحظة واحدة، وقالت فى لحظة الإحتضار: لو ظهر نصير فى هذه النواحي قولى له أن يأتى إلى قبرى، فيمكننى أن أراه، وقولى له أيضاً إنهم زوجونى لحسن بالقوة، وإننى ما كنت أريد أن أتزوجه، وكنت أنتظرك، وأن حسن إنسان طيب وعليك أن تنظر إليه باحترام.

تأثرت نسترن بهذا الكلام ولم تستطع أن تواصل فأزاحت النقاب عن وجهها فعرفها نصير وسقط على الأرض مغشياً عليه من هول المفاجأة.

أمسكت نسترن رأس نصير بين ذراعيها وسقطت دموعها على وجهه فأفاق وابتعد عنها عدة خطوات، وأرادت نسترن أن تحتضنه لكنه أبعد يديها عنه وقال لها:

إهدأى وابق مكانك، فأنت الآن زوجة لرجل آخر ومُحرمة علىّ، وقد قال حسن الحقيقة حين قال إن خطيبتى نسترن قد ماتت منذ مدة وهى تعيش فقط فى قلبى، وسأعيش على ذكراها حتى الموت.

كظم نصير غيظه وأراد أن يخرج لكن حسن أمسك يديه وأجلسه على الأرض وقال له:

يا نصير، إن هذه الدنيا عجيبة، فكل الأحداث التى مرّت بك ربما قد حدثت لكثيرين غيرك وأنا واحد منهم، فتأمل قليلا ما أقوله لك حتى تأخذ العبرة. جلس نصير يائساً وقلقاً وقد أسند جبهته على يده؛ وسرد حسن لنصير حكاية نسترن من أولها إلى آخرها ثم نهض وأمسك بيد نسترن وقال: يا نصير، هذه خطيبتك، أنا حافظت عليها كابنتى طاهرة عفيفة، وسأقيم لكما حفل العرس، فأنتم أولادى وسأكون دوماً لكما أب.

فرحوا جميعاً وقبّلوا يد حسن، وقال نصير:

أنت فعلت لنا كل ما هو طيب وحسن، لكن لماذا كل هذا العذاب الذى عذبتنيه؟ ضحك حسن وقال:

أردت أن أختبرك لأرى هل تحب نسترن فعلاً أم لا.
شكر نصير ونسترن حسن واعترفاً بجميله، وأقام حسن لهما حفل العرس في
الخفاء، وعاش نصير ونسترن في منزل حسن ولم يظهرَا على الناس.
نفد صبر نصير فخرج ذات مساء ليتنزه في الحدائق فرآه أحد جواسيس الملك
فأسرع وأخبر الملك فأرسل الملك على الفور الحرس ليقبضوا عليه ويودعوه
السجن، لكنهم لم يعرفوا أنه يعيش في بيت حسن.
إنتظرت نسترن لعدة ساعات ثم ذهبت إلى حسن تخبره أن نصير قد تأخر جداً
وقالت له:

من المؤكد أن أمراً ما قد حدث له.
ذهب حسن إلى المدينة وهناك عرف أن حرس الملك قد قبضوا عليه وأودعوه
السجن فعاد وأخبر نسترن بما حدث فأخذت تصرخ وتولول، فواساها حسن
وقال لها:

هدأى من روعك، فالملك لا يعرف أن نصير قد أتى إلى بيتنا وأنه قد تزوج بك،
ولو عرف هذا فحتماً سيقْتلكما، فاحذري حتى لا يعرف الحراس أنه كان هنا.
كانت نسترن فتاةً جريئة وشجاعة فأخفت حزنها عملاً بوصية حسن.
لنترك نسترن تعيش مع حزنها ونذهب إلى القصر الملكي لنرى ما يفعل الملك.
أراد الملك أن يقتل نصير لكن الوزير طلب منه ألا يقتله ويحكم عليه بالسجن
المؤبد؛ وافق الملك على طلب الوزير، فألغى الإعدام وأمر بالسجن المؤبد.
رأى هذا الملك الظالم ذات ليلة في منامه رؤيا أخافته، فقام من نومه مذعوراً؛
جمع حوله الوزراء والوكلاء ورجال القصر وقال لهم: رأيت ليلة أمس رؤيا
عجيبة، فقد رأيت أن قلبي خرج من فمي وسقط على الأرض، وتمرغ تاجي
وعرشي في الدم؛ أسرعوا لي في تفسير هذه الرؤيا.
قال أحد الوزراء:

إطمئن ولا تخشى شئ، فربما أجهدت فكرك كثيراً، أو تناولت طعاماً شهياً وأصبت بالتخمة فرأيت أحلاماً مزعجة.

غضب الملك وقال:

أحضروا لى ضاربى الرمل بسرعة.

وصل ضاربوا الرمل فى غمضة عين، وبعد أداء واجب الإحترام قال كل واحد منهم رأياً، وفى النهاية تقدم شيخ كبير وأدى التحية وقال:

يا قبلة العالم، سيولد ابن من نسلك ويأخذ منك العرش والتاج.

لم يكن لدى الملك من الأولاد إلا ابنته نسترن، لذلك قال:

ولدى فقط هى نسترن، ويجب أن أعدمها وأمحوها من هذه الدنيا، فقد كانت سبباً فى إرهابى وجلب الشر؛ عليكم أن تأتوا بها وتشنقوها حتى أتخلص من المتاعب.

ذهب عدداً من الحراس وأحضروا نسترن أمام الملك؛ كانت صفائرها منكوشة ومتدللية على وجهها وفى حالة من الإضطراب والذهول، وما أن رآها الملك حتى صاح قائلاً:

أيها السياف، أشنقها الآن.

ركع الوزير أمام الملك وتوسل إليه قائلاً:

أيها الملك العادل الشريف، فكّر جيداً قبل أن تقرر، ففى حالة الغضب لا يكون حكم الملك مناسباً؛ ما الذنب التى اقترفته هذه الفتاة المسكينة لتقتلها، دعها تعيش مع زوجها العجوز فى بيتهم الوضيع، وإذا رُزقا بطفل خُذه منهم واقتله. فكّر الملك ووجد أن كلام الوزير منطقى، واتجه ناحية حسن- الذى كان يقف فى ركن يبكى ويده على صدره- وقال له:

أنا لم أقتل زوجتك، لكن إذا أنجبتم ولداً فأخبرنى به على الفور.

أدى حسن التحية وقال:

أمر ك أمرك أيها الملك، أنا فى خدمتكم أيها الملك المعظم.

أطلق الملك سراح الفتاة وذهبت إلى بيتها وسقطت على وجهها من شدة الغضب، وأخذت تصرخ كالمجنونة وصاحت:

إنه كالذئب الكاسر، لم يرحم أى إنسان.

نعم، كانت نسترن قد حملت من نصير، وبعد تسعة أشهر وتسعة أيام بالضبط وضعت نسترن طفلاً كالقمر، وقد عرف الجواسيس بمولد هذا الطفل، ولإظهار الولاء والطاعة وحسن الخدمة ولعق الأطباق، أبلغوا ولى نعمتهم بميلاد هذا الطفل؛ وعلى الفور إستدعى الملك السيّافون وقال لهم: إذهبوا وخذوا الطفل من الفتاة وأقتلوه وأرونى جثته.

تعجب السيّافون وقالوا:

هذا الطفل البريء ما ذنبه؟، فهو لم يقطع طريقاً، ولم يقتل أحداً، ولم يرتكب إثماً يُعاقب عليه، فلماذا يأمر بقتله؟

ذهبوا إلى بيت حسن وانقضّوا عليهم كالذئاب وأخذوا الطفل من سريرته، فسألهم حسن:

لماذا تأخذون الطفل؟.

قال أحدهم:

إن الملك قد أمر بقتل هذا الطفل.

انعقد لسان حسن من الدهشة وقال لهم:

حسناً جداً، لنفرض أن الملك قد أصدر هذا الأمر فعلاً، لكن أستم أنتم آدميين؟! ما الذنب الذى ارتكبه هذا الطفل المعصوم من الخطأ وتريدون أن تقتلوه بسببه؟؛ أتركوه واذهبوا لحال سبيلكم.

قال أحدهم:

علينا تنفيذ أمر الملك.

كانت نسترن لا زالت فى فراش النقاهاة ولم تبرأ بعد من آثار الوضع، فقامت إليهم ووقعت على أقدامهم وتوسلت إليهم، وذرفت الدموع وقالت:
إرحموني، ماذا فعل هذا الطفل المعصوم للملك الظالم حتى يأمر بقتله؟ إذا كان لديكم عدل أو إنصاف فاتركوا هذا الطفل البريء من أجل دموعى.
قال أحد السيّافين:

أيها الفتاة، لماذا تؤذين نفسك وتؤذينا معك؟ إن الملك قد امر وإذا لم نطع الأمر فسيُزيلنا وأهلينا من على وجه الأرض؛ إذهبي إلى الملك واذرفى الدموع هناك واطلبي منه أن يعفوا عن ابنك، فربما يستجيب لك.
سقطت الفتاة على وجهها وأخذت تبكى حتى فقدت الوعى.

أخذ السيّافون الطفل وخرجوا به، وبينما كانوا يعبرون الوادى إذ وقف أمامهم رجل ملثم رفع يديه وصاح فيهم:
أرونى، إلى أين تأخذون هذا الطفل؟.
قال أحدهم:

إن الملك قد أمر بقتله.

تعصب الملثم وقال:

إعطونى طفلكم هذا وأنا أعطىكم وزنه ذهباً، وإلا أخذته منكم بالقوة.
قال السيّاف:

ماذا تقول أيها الرجل، إنه أمر الملك، وإذا أعطيناه لك فسوف يفنى الملك أهلينا جميعاً.

قال الملثم:

هيا بنا إلى المقبرة ونأتى بطفل من الذين ماتوا ودُفنوا حديثاً وتأخذوه إلى الملك وتروه إياه على أنه هذا الطفل، فكيف للملك أن يعرف ما حدث هنا الآن؟.
إستحسن السيّافون هذه الفكرة ووافقوا عليها، وذهبوا مع الملثم إلى المقابر

وحفروا قبر طفل مدفون حديثاً وأخرجوه؛ أعطاهم الملثم الذهب وأخذ منهم ابن نسترن، وذهب السيافون إلى الملك بالطفل الميت الذى أخرجوه من قبره للتو وأروه للملك على أنه الطفل الذى وضعته نسترن .

نظر الملك إلى الطفل الميت وقال لهم: أحسنتم، خذوه وادفنوه، أنا استرحت الآن.

أخذوا الطفل ودفنوه مرة أخرى، وكان الرجل الملثم قد وضع ابن نسترن فى طيات ملابسه وذهب به إلى بيت حسن، كان الليل قد انتصف حين وصل الملثم إلى بيت حسن فلم يسمع أى صوت، وكانت نسترن على فراشها تبكى وتنتحب بصوت مكتوم وبجوارها حسن مستنداً إلى عمود فى منتصف الحجرة حزينا، وفجأة سمعا صوتا على الباب ففتحا على الفور، ودخل الرجل الملثم وأخرج الطفل من بين ملابسه وأعطاه لنسترن وقال لها: هذا هو طفلك، خذيه واعتنى به جيداً وأخفيه عن عيون الجواسيس حتى يكبر، وسأبذل جهدى ما استطعت فى مساعدتكم.

مدت نسترن يدها تجاه الرجل وسألته:

من أنت أيها الشهم؟، الله يرضى عنك.

لم يجبها الرجل الملثم، وخرج فى الحال.

فرح حسن ونسترن فرحاً شديداً لعودة الطفل سالماً، وأطلقوا عليه اسم "نصر" نعم، مضت سنوات وسنوات، كبر الطفل حتى وصل إلى سن الخامسة عشر من عمره، وأصبح بطلاً لا يدانيه أحد، وعلى رأى المثل:

لو وضع يده على الجبل لتحرك الجبل من مكانه؛ كان يعرف أنه ابن حسن البنا، وكان دائما ما يناديه بقوله:

يا أبى.

ذات يوم ذهب الشاب نصر للصيد، فركب حصانه وأسرع خلف غزالة

واصطادها بمهارة فائقة؛ فى هذه الأثناء كان الرجل المثلث- الذى أنقذه فى طفولته من بين أيدي سيّافى الملك- قد وصل إلى مكانه فسلم عليه وقال له: حسناً جداً، أصبحت شاباً قوياً لكن يا خسارة، أباك فى سجن مؤبد وأنت لا تفكر حتى فى إنقاذه.

سأله الشاب مندهشاً:

كيف أبى فى سجن مؤبد، أمجنون أنت؟! إن أبى هو حسن البّناء، وهو موجود فى البيت الآن.

قال المثلث:

لا، إن أباك فى السجن، فاذهب واسأل أمك.

أسرع المثلث واختفى فى الحال حتى لا يعطى للشاب فرصة ليستفسر ويسأل أكثر.

عاد نصر إلى بيته واختبأ خلف الباب فسمع أمه تبكى وتنتحب فدخل عليها شاهراً سيفه فى وجهها وقال لها:

أقسم بروح أبى، إن لم تقولين لى الحقيقة سأقتلك؛ أولاً قولى لى لماذا تبكين هكذا؟ ثم قولى لى ثانياً لأعرف، من يكون أبى؟.

أرادت نسترن فى البداية أن تخفى عن ابنها كل ما حدث، لكنها تعلم إن لم تخبره بكل شئ فسيقتلها حتماً، فسرّدت له قصة كل الأحداث التى حدثت لهم من أولها إلى آخرها، وقالت له:

إن أباك قد قضى أكثر من خمسة عشر سنة فى سجن الملك الظالم.

غضب نصر لذلك وتعصب بشدة وقال:

أيتعذب فى السجن والدّ لابن مثلى أنا! ليتنى متّ قبل ان أسمع هذا الكلام، أقسم ان الطّخ لحية هذا الملك الظالم فى دمه.

إرتدى نصر ملابس القتال الخاصة به وتأهب للنزال؛ ودّع أمه وحسن البّناء

وقال لهما: إسمحوا لى أن اذهب لأنتقم من هذا الملك الظالم، ولن أعود إلى هنا قبل أن أحقق هدفى، فلا تغضبوا مما بدر منى.

امتطى نصر حصانه، وودعه حسن ونسترن بالدموع، وخرج إلى صحراء شاسعة لم يرى لها نهاية وقد لحق به هناك ذلك الرجل المثلث وقال له: يا نصر، أنا أعرف إلى أين أنت تقصد ، لذلك أنصحك أن تجهز لنفسك الإحتياجات التى ستلزمك لكى تحقق هدفك، وعليك أن تنتبه أيضاً إلى أنك لن تستطيع وحدك الوصول إلى الهدف الذى ترجوه، لذلك عليك أن تذهب إلى تلك القلعة التى فوق ذاك الجبل وأن تتخذ منها مقر إقامة لك وأن تعمل على تكوين جماعة من المعارضين لهذا النظام وجمعهم حولك ثم قم بمناوشة الملك، وأنا سأعاونك فى ذلك فقد جهزت لك هناك بعض الأمتعة والطعام والشراب والمعدات الحربية المناسبة.

قال نصر:

من أنت أيها الرجل المثلث حتى تساعدنى؟.

قال المثلث:

ستعرف فيما بعد؛ ثم أسرع بحصانه وغاب عن العيون.

صعد نصر الجبل ووصل إلى القلعة، وهناك رأى كل ما قال عنه المثلث من الطعام والشراب ومستلزمات القتال، فضلا عن الذهب والمجوهرات فسعد كثيراً وفرح لذلك فرحاً شديداً، وفى نفس اليوم قام بجمع العديد من الأفراد المتذمرين على نظام الحكم وقاموا بأداء التدريبات العسكرية إستعدادا لملاقاة جيش الملك. أمّن المثلث كل ما يحتاجون إليه باستمرار حتى أنه كان يرسل إليهم بكل الأخبار والأحداث اليومية؛ وفى يوم من الأيام هجم نصر بجيش كبير ومنظم على المدينة، وقد وصل خبر إلى الملك بأن جيشاً يحاصر المدينة كالأخاتم حول الأصبع.

أمر الملك جيشه بالهجوم على جيش العدو، ودقت طبول الحرب فخرج الجيش يتقدمه الوزراء والوكلاء والأعيان والأشراف إلى أرض المعركة، وأرسل الملك مبعوثاً ليعرف من ذا الذى يقود الهجوم على المدينة، فذهب المبعوث مباشرة إلى القلعة وسأل نصر:

أيها البطل، يريد الملك أن يعرف من انت، ولأى هدف تقاتل؟
أجابه نصر:

قل للملك إننى حفيده؛ ابن نسترن، وقد أتيت لأنتقم منه لأبى وأمى.
عاد المبعوث وأخبر الملك بما سمع فاشتات الملك غيظاً وجحظت عيناه وقال:
ما هذه المصيبة التى وقعت على رأسى، ألم يكن هذا هو الذى أمرت بقتله ودفنه؟ وأخذ يدق الأرض بقدميه من شدة الغضب وصاح على السيافين: قولوا لى الحقيقة لأرى، أنتم قتلتم ابن حسن البناء أم لا؟
شرح السيافون للملك تفاصيل ما حدث معهم آنذاك فطلب الملك بأن يأتى الوزير أمامه فى الحال فوصله الخبر بأن الوزير قد هرب بأسرته وأخذ كل ما فى الخزانة.

عضّ الملك على أنامله من الغيظ وفهم ان كل هذه الأحداث من تدبير وزيره العجوز، فأمر بإحضار حسن البناء ونسترن وشنقهما.
ذهبوا وعادوا على الفور وأخبروه أن ليس لهما أى أثر، ولم يعلم أى أحد من الجيران إلى اين ذهب.
عجز الملك عن السيطرة وأمر بشنق السيافين، وارتدى البدلة الحمراء وانطلق أمام الجيش ليتولى القيادة فى الحرب.

دقت طبول الحرب بأمر الملك فوقف الجيشان وجها لوجه، وقف نصر فى وسط الميدان وطلب المبارزة فخرج له خمسة وسبعون جندياً من خيرة قادة الملك فأفناهم جميعاً، ثم طلب المبارزة مرة أخرى فلم يجرؤ أحد على مبارزته، وبعدها

هجم نصر بجيشه على جيش جده الملك؛ يقال أن هذه الحرب استمرت سبعة أيام سالت فيها الدماء من كلا الطرفين أنهاراً، وفي النهاية حطم جيش نصر أبواب المدينة ووصلوا إلى القصر الملكي ووقف الملك بنفسه ليقا تل نصر، إلا أن نصر أخذ يصول ويجول بحصانه حول الملك، وعندما تمكن منه رفعه من حزامه إلى أعلى وألقى به على الأرض ثم أغمد سيفه في قلبه وملاً كأساً من دمه، ثم ذهب تجاه السجن وفتح أبوابه وحطم جدرانـه وأخرج أبيه و أطلق سراح سائر المساجين.

أقاموا حفلاً في البلاط الملكي وانشغلوا بالطعام والشراب وعاشوا لحظات من الفرح والسرور، وإذا بالرجل المثلث يدخل عليهم فجأة، وما أن رآه نصير حتى هب واقفاً.

رفع المثلث النقاب عن وجهه فإذا به الوزير العجوز نفسه، فقبل نصر وأبيه نصير يد الوزير لما أسداه لهما من خدمات جليـلة، وشكروه وقدرّوا له مواقفه معهم.

حكى نصر للشعب كل ما حدث من أحداث ووقائع، وقال أيضاً:

إن هذا الوزير كان يلطف بنا كثيراً، ولولاه ما استطعنا قتل الملك وهزيمة جيشه، كان هو الشخص الذي أنقذنى وأنقذ أمى وأبى من القتل، وسنكون مدينين له ما حيينا وما عاش هو.

شكر الجميع الوزير واختاروه ملكاً عليهم، فجلس الوزير على أريكة الحكم وطلب أن تأتي نسترن أمامه، وقد كان الناس يعرفون أن نسترن هى زوجة حسن البناء، فوضح لهم نصر كل الحقائق.

فرح الجميع واستحسنوا ما فعله حسن البناء وشكروه عليه، ثم أقاموا حفلاً فخماً.

كان يقال أن نصير ونسترن قد ودّعا مرحلة الشباب وأبيض شعر رأسهما، لكن

حبهما لبعضهما قد زاد وانتعش.

جاء نصر بالكأس الذى كان قد ملأه بدم الملك من قبل ووضعه على مائدة
الإحتفال بدلاً من إناء الشراب، وبذلك يكون قد وفى بوعده الذى قطعه على
نفسه من قبل.

كتبوا لنصر عقد الزواج فى نفس المجلس، وأقاموا له حفل زواج.

أكل الجميع وشربوا وعاشوا حياتهم فى أحسن حال.

أنتم أيضاً كلوا واشربوا وعيشوا حياتكم فى سعادة وهناء.

* * * * *

١٣ - حكاية صمد

كان وما كان، فى العصور القديمة، فى بلاد فسيحة، كان يحكمها ملك يدعى "الملك غفار".

كانت أملاك وأموال ومجوهرات هذا الملك كثيرة جداً، وكان لديه إبنتان، الكبرى تدعى "السيدة نرجس" وتدعى الصغرى "السيدة فرنجيس"؛ السيدة نرجس لم يكن لها حظ من العقل والتفكير، أو كما يُقال: عقلها كقطعة حجر، وشكلها العام لا يوحي بالأنوثة ولا يلفت النظر؛ أما السيدة فرنجيس ففتاة ذكية وجميلة وعاقلة، وكما يُقال:

تقول للقمر ارحل فأنا مكانك، أو تقول للشمس: لاتظهري لأن نوري اليوم سيضى الكون.

ككل الملوك، قضى الملك غفار حياته فى ترف العيش واللهو، والآن تقدم به السنّ وظهرت عليه علامات الشيخوخة، وأخذ يفكر فى المستقبل وهو حزين مهموم ومكتئب يشتكى من الزمن ويقول فى نفسه: يا لها من حقيقة، فبعد موتى من ذا الذى سيضع تاج ملّكنا على رأسه ويتكى على أريكة سلطاننا؟! من ذا الذى من بعدنا، سيرث كل أموالنا وممتلكاتنا؟.

كان وزير الملك الأكبر يتظاهر بأنه يشارك الملك أحزانه، وكان فى ظاهره يدعى الحزن والكآبة، أمّا فى باطنه فكان فى غاية السرور، لأن هذا الوزير لديه ابن، ويريد أن يزوجه من ابنة الملك الصغرى السيدة فرنجيس، لكى يمتلك التاج والعرش والسلطة والقوة والثروة وكل ممتلكات الملك.

لكن الابنة الأكبر كانت عائقاً فى طريق الوزير، فلو ذهب لطلبها فسيقبل الملك بلا تردد، لأنه من الطبيعى أن يعتقد الملك أن الوزير كان يريد خطبة الابنة الكبرى لإبنه، ولو تجرأ وقال أنا لأريد الفتاة الكبرى، ولكن أريد الصغرى،

فسوف يتعصب الملك ويأمر بقطع رقبة ابن الوزير، لهذا لم يتكلم فى هذا الموضوع، وكان ينتظر الفرصة المناسبة.

فى يوم من الأيام التى كان الملك غفار يتنزه فيها مع وزيره الأكبر فى حديقة القصر قال الملك: أيها الوزير! منذ مدة طويلة وأنت تخدمنى بالقلب والجسد، ولم أر منك يوماً خيانة أو تقصير فى عملك معى، ومنذ أن صاحبك وأنا أفكر فيما يحزنك، فإن كنت تعلم ثقل الألم الذى يعم كيانى فلن تحتاج أن أقوله لك، ثم لماذا أقول وأنت نفسك تعلم أننى لم أرزق حتى الآن بمولود ذكر، أن كلا الأميرتين قد بلغتا سن الزواج، وحتى الآن لم يأت أحد لخطبة بناتى وأنا أريد منك أن تختار لهما زوجين، وبعد أن يتزوجا سأختار أحد أصهارى ليكون خليفة لى، وأوصى له بالتاج والعرش الملكى.

كان الوزير مسروراً جداً وراضياً، لأن الملك بحث معه موضوع زواج بناته، لذلك قال وهو ينحنى تعظيماً: من عينى!.

غادر الوزير المكان، بعد أن سمح له الملك، وهو على الرغم من شدة سروره وفرحه بما سمع، إلا أنه عانى الكثير وتحمل من أجل البحث عن زوج لابنة الملك الكبرى، فلو وجد شاباً مناسباً، عالم وعاقل ومتقف، فسيختاره الملك خليفة له ويصبح صاحب التاج والعرش، وإذا عثر على شاب غير كفء فسيغضب منه الملك، لذلك كان عليه أن يبحث عن طريقة لإيجاد زوج لابنة الكبرى يحظى بموافقة الملك.

بعد طول تفكير تذكر أن الملك يسعد بسماع الأكاذيب المنمقة والنفاق.

مرت الليلة، وفى الصباح الباكر ذهب الوزير إلى حضرة المالك، وبعد تقديم

واجب التحية والإحترام اللازم، إعتدل ووضع يده على صدره وقال:

أنا فدء التراب الذى تسير عليه الأقدام الملكية! يعتقد عبدكم أننى لو قدمت لكم شخصاً للزواج من الأميرة، السيدة نرجس فقد لا يسعدكم ذلك، لذلك فكرت فى

فكرة طرأت على رأسى، وهى أن حضرتكم توافقون على النداء فى كل مكان بأن
قبلة العالم يستقبل الكذابين.

سيصل كل شخص كذاب جيد ومناسب ليتشرف بالعرض، ابنة الملك الكبيرة
نفسها، السيدة نرجس سوف تعقد عليه.

قال الملك: برافو عليك أيها الوزير! أحسنت التدبير! إصدار أمراً بالنداء فى
المدن والقرى.

فى نفس اليوم، أرسلوا الرسل إلى المدن والقرى لينادوا.

لكن الجميع يعرفون مدى بخل الملك، وخسة وتحايل الوزير، وقبح ودمامة
السيدة نرجس، وعلى الرغم من أنهم يعلمون أن الملك قضى حياته فى الكذب،
وأن أساس حكومته قائم على قول الزور، لذلك فلن يحضر أى شخص إلى
البلاط ليكذب على الملك.

فلينتظر الملك والوزير الكذابين فى بلاط السلطنة، ونذهب نحن فى أثر ... فى
أثر من؟

نذهب فى أثر والد البطل الأسمى لقصتنا هذه، أحمد الصبَّاغ.

كان أحمد إنسان فقير جداً، وكل ما يملكه فى حياته إناء كبير فقط للصبغة،
وكان يصبغ فيه خيوط الناس ومنسوجاتهم، وكان يأخذ فى مقابل ذلك منهم
الدقيق والمؤن والطعام، ليتعايش بها مع زوجته العجوز وابنهم الأصلع صمد.
كان أحمد مثل كل الناس، فقير ومكافح، وقد وصل إلى سن الشيخوخة، ويوما
فيوم على أثر المرض أخذ يضعف تدريجياً حتى توفى؛ وطبقاً لقوانين تلك
المدينة، فإنه عند تكفين أحمد ودفنه فإنهم يأخذون زوجته أيضاً ويضعونها معه
فى كهف الموتى، ويتركونها هناك، وهكذا يفعلون.

بعد أن فقد صمد الأصلع والديه، عاش وحيداً وبمفرده لفترة من الزمن، إلى أن
سمع يوماً منادياً ينادى فى الأسواق:

إن الملك يطلب كذاباً، وكل شخص يأتي إلى القصر ويكذب كذبة تسعد الملك سيزوجه الملك من ابنته الكبرى.

قال صمد في نفسه:

من الأفضل أن أذهب إلى قصر الملك لأرى كيف تسير الأحوال هناك؛ وبينما كان منشغلاً في طريقه بتأليف كذبة مقنعة، وصل إلى البلاط الملكي؛ في هذه الأثناء كان الملك داخل القصر منهمكاً في الحديث مع الوزير، وسأل الملك الوزير: هل أمرت المنادون لينادوا في المدينة، وأرسلت الرسل لينادوا في القرى؟.

قال الوزير:

نعم يا قبله العالم.

قال الملك:

لكن لماذا حتى الآن لم يأت إلينا أى شخص؟.

وقبل أن يجد الوزير الجواب المناسب، دخل الحارس، وبعد أن أدّى التحية الواجبة قال:

أيها الملك! قد وصل للتو أصلع، يقول إنه حضر ليقول كذبة.

إلتفت الملك ناحية الوزير، فقال الوزير:

نحن أذعنا الخبر في كل مكان لكل الناس، وبناءً على هذا قد يأتي كل شخص يستطيع المجئ.

قال الملك للحارس:

أدخله؛ ثم قال للوزير:

وجّه الدعوة أيضاً للأعيان والأشراف وعلية القوم ليحضروا ويستمعوا.

دخل صمد، بملابسه القديمة البالية وشكله الرث، وقف وألقى التحية بأدب، واضعاً يده على صدره.

كان الجميع يحملقون في الولد الأصلع، منتظرين في صمت تام ليستمعوا إلى ما

سوف يقوله.

قطع الوزير الصمت، وبدأ يسأل الصبي:

ما أسمك يا فتى؟

أجاب: صمد.

سأل الوزير: لماذا أتيت إلى هنا؟

رد صمد: لقول الكذب.

قال الملك:

حسنًا! إذا اجلس وابدأ.

قال صمد:

يا قبلة العالم! كما هو معلوم من مظهرى وشكلى فإن الجميع يدركون إننى إنسان فقير ولا أملك شيئاً، لكن منذ زمن كان أبى مثلكم، لديه أموال وممتلكات، وكان من الأغنياء الكبار فى هذه البلاد؛ قررنا ذات يوم أن نترك المزرعة ونذهب إلى منتجع قريب ونسينا أن نأخذ معنا إحدى دجاجتنا.

ذات يوم- ونحن فى المنتجع- سلكننا طريقنا فى نزهة حتى وصلنا إلى قمة الجبل، ومن هناك ألقينا نظرة على المزرعة فرأينا - على غير المتوقع- أن مزرعتنا الخضراء قد صارت بيضاء، فظننا أن الشتاء قد حلَّ وأن الثلج تساقط، ومن ثمَّ عقدنا العزم على العودة؛ عدنا أدراجنا، وعندما اقتربنا من البلدة وجدناها قد تغطت كلها بالبيض الذى وضعته دجاجتنا.

عندما وصل صمد إلى هذه النقطة من حديثه، أبدى الحاضرون إعجابهم، حيث قالوا: فلتحفظك الذات الملكية! منذ زمن بعيد لم يكذب أحد مثل هذه الكذبة، ولم يستمع أحد إلى كذبة مثل هذه.

قال الملك- الذى لم يوافق على أن يزوج ابنته من صبي فقير-:

يا صمد! لو تأتينا غداً وتكذب لنا كذبة جذابة أفضل من هذه، أعدك بأن أزوجك

إبنتى.

فى صباح اليوم التالى اجتمع عليه القوم من الأشراف والأعيان وكبار رجال الدولة فى بهو القصر الملكى الكبير، فقال لهم الملك: كل من يدرك الواقعة منكم فى الكذبة التى سيلقيها صمد اليوم فسيحصل منى على إنعام جيد. حضر صمد إلى البهو وألقى التحية واقفاً ويده على صدره. قال الملك لصمد:

إجلس وابدأ.

جلس صمد وبدأ كلامه بهدوء وقوة: سلّمك الله يا قبلة العالم! سمعتم أمس أنه أصبح لدينا مقداراً من البيض؛ قام أبى باستئجار كل حيوانات التحميل فى البلدة، وجلب مئات العمّال لرفع البيض على الحيوانات ومن ثمّ نقلناه إلى الطاحونة ووضعناه مكان طحن الحبوب، وفى كل مرة يدور فيها حجر الطاحونة دورة يخرج من تحتها ملايين من الدجاج والديوك تفرق. إلى هنا إنتهى الحديث، وقال جميع الحاضرين: سلمت أيها الملك! إن أكذوبة صمد لا يمكن أن يكون لها فى الواقع مثيلاً، ولا فى الحقيقة شبيهاً، فضع يد السيدة الأميرة فى يده وتمنى لهما السعادة وحسن الحظ.

الملك المغرور والأنانى الجشع لم يوافق على أن يعطى حتى الفتاة الدميمة العانس لوأحد من عامّة الناس من قاع المجتمع، وقد أتى بحجة جديدة فقال: يا بُنى! إن غداً هو اليوم الأخير، فلو أتيت لنا بكذبة أخرى أيضاً فستكون إبنتى ملكاً لك؛ فطأطأ صمد رأسه وخرج من القصر، وهاج الملك وتعصب من شدة الغضب وصاح فى كل اتجاه:

فلتحرم عليكم نعمائى! سأزيل أسمائكم أيها الوزير وأنت أيها الوكيل، وكل من لا يستطيع من رجال السياسة والبلاط الملكى أن يرد على ولد صغير أصلع! وأنتم تعلمون أنه يستحق الفتاة؛ فغداً سأصدر أمراً بأن يسلخوا جلد كل من يُعجب

بكذب حديث صمد ويحشوه قش ويعلقوه على أبواب المدينة؛ لاتنسوا غدا كلما تكلم صمد، عليكم أن تقولوا له صدقت.

أدى الجميع التحية وأبدوا الموافقة وقالوا:
على العين والرأس.

فى اليوم التالى من ذلك اليوم، إمتطى صمد حصاناً ونادى على إثنين من جيرانه، وطلب منهم أن يحملوا معه وعاء الصباغة الذى تبقى له من ميراث أبيه، رفعوه له وقام بربطه بإحكام على ظهر حصانه وذهب به إلى حضرة الملك، فتعجب الحاضرون من رؤية صمد على حالته هذه.

بينما الجميع فى حيرة ودهشة، سأل الملك صمد:
لماذا هذا الإناء الكبير؟.

قال صمد:

لتصديق الكذب.

لم يكن فى بال الملك الإهتمام بصمد فى حد ذاته، فسأله مرة أخرى:
هل لديك كذبة أخرى؟.

بهدهوء أعصاب قال صمد:

لو سمحتم لى أيها الملك فسأتكلم.

الملك - الذى اطمأن إلى أن المحيطون به لن يقبلوا كلام صمد على أنه كذب-
قال له: تكلم.

قال صمد:

يا قبلة العالم! سمعتم بالأمس أننا نمتلك مقداراً كبيراً من الدجاج والديوك، كان أبى قد أرسل رسالة لكل الملوك والعظماء الكبار فى أنحاء الدنيا كلها، وأعلن أنه سيبيع الدجاج والديوك بأرخص الأثمان.

قام العظماء من جميع أنحاء العالم بحمل الذهب والجواهر على ظهور الحمير

والبغال وجاءوا إلى أبي لشراء الدجاج والديوك؛ فأقرض المرحوم أبي أربعين وعاءاً كبيراً من الذهب والجواهر لكباركم، وهم بدورهم وضعوه في خزانة السلطنة؛ فأطلب منكم الآن أن تأمروا لي برَدَّ دَيْنِ المرحوم أبي على أسلافكم الذين أورثوكم هذا القرض.

عندما وصل الحديث إلى هذه النقطة، قال الجميع بصوتٍ واحدٍ:
هذا صحيح، إنك تقول الصدق.

ارتعد الملك من شدة الغضب وصاح:

إنه كذب، إنه كذب، إن كلامك كذب.

بكل هدوء قال صمد:

حسناً جداً، إذا كان هذا كذباً فزوجني إبنتك، وإذا كان صدقاً فاعطني الذهب والجواهر والأموال.

الملك بخيل وطماع، حتى أن فكرة إخراج أربعين وعاءً من الذهب من خزانة السلطنة كانت مؤلمة وشاقة على نفسه، فنادى على الوزير وقال له: أيها الوزير! إذهب بسرعة وأحضر تلك الفتاة وضع يدها في يد هذا الصبي، وقل لهما إنطلقا واذهبا إلى أى مكان تريدون.

أسرع الوزير- الذى ظن أن خطته قد نجحت- من شدة الفرح، وكأنه أضاف إلى قدميه قدمين، إلى مخدع الحريم وأمسك بالفتاة ولم يمهلها حتى تحمل ملابسها وتودّع أختها وصديقاتها، أتى بها بسرعة وفى حضرة الملك وضع يدها فى يد صمد وقال لها:

أيتها السيدة الأميرة! هذا الصبي ومنذ هذه اللحظة هو زوجك ويمكنه أن يأخذك معه إلى أى مكان يريده.

كانت الفتاة صامتة، وكذلك صمد لم ينطق بكلمة، وأخذ الفتاة والحصان الذى كان الوعاء مربوطا على ظهره وخرج من قصر الملك.

كان صمد ذكى وماهر، ويستطيع أن ينسج سجادته بنفسه، على كل حال كان يعد الطعام وما كان يترك إبنة الملك جائعة.

غضبت الإبنة من ظلم أبيها لها ولم تكن لتتحمل هذه المعيشة، ومع مرور الأيام صارت أكثر ضعفاً ونحافة وداهمها المرض سريعاً.

أرسل الوزير المنحط والملك السافل -الذين كانوا يعرفون حالتها الصحية- طبيب متجول ليسقيها السمّ بدلاً من العلاج، فقتلوها.

وبحسب عادات وتقاليد هذه البلاد يجب أن يأتوا بصمد فى مقدمة جنازة زوجته ويلقوا به أيضاً مع زوجته فى المقبرة حتى يبقى بجانبها إلى الأبد.

أتوا بصمد ونعش إبنة الملك ووضعوهما فى كهف المقابر، وأوصدوا باب الكهف بأحجار كبيرة وانصرفوا.

حمل صمد النعش والطعام الذى أحضره من أجله ومشى يبحث عن مكان بين المقابر الكثيرة والمظلمة.

شعر صمد بأن حلقه ينقبض بشدة، فالظلمة والضغط، والأسوأ من كل ذلك رائحة أجساد الموتى، كل ذلك كان يحيط به من كل مكان حوله، فجمع عدة شمعات مما كانت على النعوش وأخذها معه، وسار على أجساد الموتى يتحسس المكان، وكلما سار أكثر كلما اتسع المكان أكثر وقلّت أجساد الموتى وأصبح الهواء نقياً نوعاً ما؛ فى النهاية وصل إلى مكان خالٍ من الأجساد، والهواء فيه نقى، أخذ نفساً عميقاً واستراح قليلاً ثم قام وحدد مكان مناسب ووضع فيه شمعة وأشعلها، وعاد مرة أخرى وحمل طعامه والنعش إلى حيث الشمعة التى أشعلها واستراح قليلاً، ثم قام يتجول فى بعض جنبات الكهف، وكان كل يوم يتجول فى جانب من جوانب الكهف.

كان صمد يذهب كل عدة أيام إلى جهة من جهات الكهف ليحضر لنفسه طعاماً وشراباً؛ قد يقال من أين، وكيف يحصل على الطعام والشراب فى مقبرة؟.

فى تلك المدينة الكبيرة يموت يومياً بعضاً من الناس، ومع كل ميت يتركون شخصاً على قيد الحياة ومعه طعاماً وشراباً يكفيه لمدة عشرة أيام فى هذا الكهف، وقد يصاب هذا الشخص الحى بسكتة قلبية من الرعب فيموت ويترك خلفه طعامه وشرابه لىبقى لصمد .

- لنترك صمد يواصل حياته فى كهف الموتى، وهيا بنا نذهب لنرى ما يفعله الوزير الخسيس والملك غفار المحتال.

كل مخاوف الوزير إنتهت، بعد أن أودعوا صمد مع السيدة نرجس فى المقبرة فى كهف تحت الجبل، وذهب عنه الحزن والغم، وهدأ باله.

ذهب الوزير فى اليوم التالى إلى الملك ليخطب السيدة فرنجيس لابنه، فوافق الملك على زواج إبنته الأميرة من ابن الوزير.

أمر الوزير بأن يجهزوا لحفل الزواج، ويحضروا الأرز من الشام ويجلبوا السمن من كردستان وأن يأتوا بالأغنام من أفغانستان.

أقيم حفل الزفاف واستمر أربعين يوماً بلياليها، بالسرور والأكل والشرب والرقص، إلى أن حان وقت زف العروس إلى بيت عريسها، وعندما وصل موكب العروس إلى بيت الزوجية كان بانتظارهم العريس وأصحابه وحشد من المدعوين، فقام العريس مع بعض أصحابه بعرض فنى لألعاب الفروسية على ظهور الخيل، فكان أحدهم يرمى بالسهم، وآخر يقف بقدميه على السرج والحصان يعدو بسرعة، وثالث يهبط إلى بطن الحصان ثم يعود إلى ظهره، ورابع كان يتشقلب، وخامس كان ينزل من ظهر الحصان الذى يمتطيه إلى الأرض ثم يقفز على ظهره مرة أخرى؛ أى أن كل منهم قام بعرض عمل جذاب ومثير، وفى أثناء ذلك خاف الحصان الذى كان يمتطيه ابن الوزير وأصدر صوتاً عالياً وترنح فسقط ابن الوزير على الأرض وتهشم رأسه، وأسلم الروح فى الحال فتحول العرس إلى مأتم وعزاء.

ارتدت العروس ملابس الحداد، ومن شدة الحزن والغضب أخذ الوزير يشد في شعر رأسه ولحيته؛ وبعد أيام العزاء الثلاثة حملوا جثة ابن الوزير في تابوت مزين بالورود والجواهر إلى كهف المقابر بصحبة ملكة جمال العالم، السيدة فرنجيس.

وبحسب العادات والتقاليد هناك، ألقوا بالعروس في الكهف مع زوجها. في هذه الأثناء، كان صمد يقترب من باب الكهف، حين كان يتجول بحثاً عن طعام، وما أن سمع صوت المعاول تطرق لفتح الباب قبع في ركنٍ وتخفى حتى لا يراه أحد، وحين فتحوا الباب وجدهم يلقون بفتاة جميلة مع النعش إلى داخل المقبرة؛ وعندما اطمأن إلى أن الناس أغلقوا باب المقبرة وانصرفوا، أخذ يتمتم بصوتٍ جميل، ثم أخذ صوته يرتفع رويداً رويداً بالغناء، وحين سمعت فرنجيس هانم صوت الغناء منحها ذلك ما يشبه نور الأمل بأنها ليست وحيدة في هذا المكان، فنسيت الظلمة والخوف.

بينما كان صمد منهمكاً في الغناء إذ صاحت الفتاة بصوتٍ عالٍ:

من أنت؟ ميت أم حي؟، وماذا تفعل هنا؟، إقترب مني؟.

قال صمد:

سيدتي! أنا أعيش في هذه المقبرة منذ مدة طويلة، والموتى أصدقائي؛ أفلا

تخافين مني إذا اقتربت منك؟.

قالت الفتاة:

لا، لن أخاف منك، فادنو مني.

أعطى صمد عصاً كانت في يده ولم تفارقه- للفتاة وقال لها: سيدتي! خذى هذه

العصا وسيرى خلفي، ولا تفزعى من جثث الموتى التى تصطدم بها قدميك، لكى

أبعدك عن هذه الجثث ورائحتها الخائفة.

أخذت الفتاة العصا من صمد، وبعد ساعة من السير بين الموتى وصلوا إلى

مكان إقامة صمد، حيث كان قد بنى لنفسه منزلاً من أخشاب النعوش وأضاءه بالشموع، فأشار لها على مكان مناسب وقال لها:
تفضلى واستريحي.

جلست الأميرة وأخذت نفساً عميقاً، ثم سألته:
هذا المكان أين يكون؟، ألسنا لم نكن من الموتى؟.
أجابها صمد:

هذا المكان هو ركن فى المقبرة؛ ياسيدتى، نحن لا زلنا فى تلك الحياة الدنيا.
قالت: لكن من أنت؟.
قال:

أنا ذلك الشخص الذى قُتل بدون ذنب؛ وأنتِ من تكونين؟.
أجابته:

أنا ابنة الملك، وزوجة ابن الوزير؛ مات زوجى، وألقوا بى معه فى الكهف.
قال: ياااه! أنتِ إذاً أخت زوجتى.

قالت: آاه ! أنت صمد إذا؟ فكيف أنتِ حتى الآن؟
هل فى المقبرة شخص آخر حتى سواك؟.

قال :

سيدتى! مات كثيرون، ولم يبق هنا غيرى على قيد الحياة، أى شخص كانوا يحضرونه إلى هنا يموت بالسكتة القلبية من الرعب بعد غلق باب المقبرة، فأنا أعيش على الطعام والشراب الذى يحضرونه لمرافقى الموتى، ولو علم الناس أننى لا زلت حياً لقتلوني، وهيا أنتِ أيضاً لتشاركينى فى طعام الموتى ولنرى ما سيحدث بعد.

نعم! كان صمد منشغلاً مع فرنجيس هانم فى الحياة، لكنه كان يذهب وحده للبحث عن الطعام وكانت السيدة فرنجيس تنتظره فى ذلك المنزل المصنوع من

أخشاب النعوش ولم تتحرك من مكانها، فقد كانت تخشى مشاهد الجثث ورائحتها العفنة، وكانوا يعيشون ليلاً ونهاراً على ضوء الشموع. ذات مرة، كان صمد ذاهباً إلى باب الكهف فسمع صوتاً، فأنصت وأبصر فرأى حيواناً يشبه الكلب منهمكاً فى أكل الجثث، وبقي مكانه منتظراً لفترة حتى يرحل الحيوان، وعندما انصرف تعقبه فى الظلام حتى انقطع صوت أقدام الحيوان، فتحسس صمد المكان بيديه، وسار هنا وهناك وطاف كثيراً حتى عثر على المنفذ الذى كان الحيوان قد دخل وخرج منه، فأحس بهواء بارد قادم من الغابة فحدد المكان بعلامة ثم عاد إلى الأميرة وحكى لها عن كل ما حدث، فذهبا سوياً إلى ذاك المنفذ، زحف صمد أولاً فى النقب ثم تبعته الأميرة، زحفوا على بطونهم حتى خرجوا من الكهف واستنشقوا الهواء الطلق، لكنهما لم يستطيعا التأقلم مع هذا الوضع لأن المدة التى قضوها فى الكهف جعلت أعينهما قد تعودت على الظلمة، فلم يستطيعا تحمل الضوء، ولم يروا أى شئ من حولهم فعادا إلى حياة الكهف والموتى مرة أخرى.

أخبرت فرنجيس هانم صمد- حيث تذكرت أخيراً- أن نعش ابن الوزير ملئ بالياقوت والجواهر، فعاد صمد وأخذ كل الأشياء الثمينة فى النعش؛ وعندما اعتقدوا أنهم لا محالة ميتون إتفقا على أن يخرجوا إلى الغابة كل ليلة ويتضرعون بالدعاء أن يعيشا؛ وفى كل مرة يذهبون فيها إلى الغابة كانوا يقضون وقتاً فى التنزه واستنشاق الهواء النقى، لكنهم كانوا يخشون أن يراهما أحد من الناس فيخبر عنهم أهل المدينة فيأتوا ويقتلونهما. ذهبا ذات ليلة إلى الغابة وقررا ألا يعودا مرة أخرى إلى الكهف وحياة الموتى، فقد تعودا على الهواء الطلق وأخذت عيونهما تتعود على الضوء، وكانا يتخفيان فى الغابة نهاراً، ويأخذان الطريق المؤدى إلى شاطئ النهر ليلاً. لم يستطيعا أن يذهبا إلى أى مكان فعاشا فترة من الزمن فى الغابة حتى استطال

شعر الرأس وتجعد جلد الوجه، فصارا أشعثين كإنسان الغابة الأول.

ذات ليلة على الشاطئ، رأوا سفينة فى البحر على بُعدٍ فجلسا ينتظران، ولم تقترب السفينة من الشاطئ ولم تبتعد، فقد كانت السفينة راسية فى مكانها فى عرض البحر؛ وبعد طول انتظار بدون طائل قررا أن يصنعا قارباً صغيراً من أخشاب وأفرع الأشجار؛ استقلا القارب وجدفا فى طريقهما إلى السفينة، وهناك وجدوا أن السفينة تدور حول نفسها فى مكانها، فعرفا أن فى هذا المكان دوامة تحرك السفينة وتدور بها فى مكانها، وأن إخراجها من هذه الدوامة محال، فصعدا إلى سطح السفينة بعد مشقة وعناء.

كانت السفينة مَحْمَلة بالسلع والبضائع، لكن لا أثر لأصحاب هذه السلع الثمينة والبضائع على ظهر السفينة.

كان مكتوباً على جوانب السفينة بعدة لغات: أصيبت سفينتنا هذه بدوامة ولم تتحرك للأمام بل أخذت تدور حول نفسها فى مكانها، وقد مات على ظهرها أربعون شخصاً من الثَّجَّار المصريين وجميع طاقم السفينة من شدة العطش. طافت فرنجيس هانم ومعها صمد جميع أرجاء السفينة، وقاموا بتسجيل كل ما وجدوه من السلع والبضائع فى كشوف وارتدوا ملابس التجار المصريين، وغطى كل منهما وجهه بنقاب وحملوا معهم ما خف وزنه وغلا ثمنه وعادا على متن قاربهم مرة أخرى، وعندما وصلوا إلى المدينة أرسلوا بقائمة المحتويات مع خطاب إلى الملك؛ وكان مكتوباً فى الخطاب: يا قبلة العالم! أنا من أهل مصر، وكنت رئيساً لأربعين تاجراً، وكُنَّا قادمين إلى بلادكم عن طريق البحر للتجارة فتعطلت سفينتنا فى دوامة، وهلك جميع المرافقين لى ونجونا أنا وزوجتى فقط من الهلاك، والآن نطلب اللجوء إليكم، فإذا أنقذتم أموالنا وبضائعنا فسأهب نصفها لخزانتكم.

قرأ الملك الرسالة وما أن فهم محتواها أصدر فى الحال أمراً بأن ينقلوا كل

البضائع والسلع التى على متن السفينة ويحضرونها إلى المدينة.

بعد عدة أيام أرسل صمد رسالة أخرى إلى الملك وكتب فيها: يا قبلة العالم! أنا أود أن أعود إلى بلادى، وأود أنا وزوجتى أن نحظى بزيارة حضرتكم، لكن لا ينبغي لأحد أن يرى وجه زوجتى.

اصدر الملك أمراً للحاجب بأنه عندما يأتى الضيوف أدخلهم إلى قاعة الاستقبال، ولا تدع أحداً آخر يدخل عليهم.

كان الملك ينتظر ضيوفه بفارغ الصبر، وعندما وصلوا وضعت فرنجيس أمام أبيها لفافة من الزهور فقام الملك بفض اللفافة فإذا بها مجوهرات، وكانت هذه المجوهرات لتذكير الملك بأن هذه المجوهرات هى نفسها التى كان الملك قد أهداها من خزانته لصهره (ابن الوزير)، وبعد ذلك زينوا بها نعشه.

بينما كان الملك منهمكا فى فتح اللفافة كشف صمد وفرنجيس هانم عن وجوههما، وحين التفت الملك إليهما رأى ابنته فرنجيس هانم، وقبل أن يُبدى دهشته مما شاهد ويقول شيئاً قال صمد:

أيها الملك! إن كل الذين قُتلهم بلا ذنب أو جريرة قد عادوا جميعهم إلى الحياة، فقل لى بأى شئ ستجيبهم؟.

كان الملك قد سمع من المنجّمين والسحرة أن الإنسان عندما يموت يتصاحب مع الموتى أولاً، فتصور الملك أنهم هم الآن ميتون، وظن أنهم قد قدموا من المقبرة فأسلم الروح من الرعب ومات فى الحال.

كان صمد ينظر إلى فرنجيس هانم ليرى ويعرف ما تأثير موت أبيها عليها.

قالت الفتاة لصمد: من الأفضل لنا أنه مات، فلو كان حياً لأصدر أمراً بقتلنا.

إرتدى صمد ملابس الملك ووضع تاجه على رأسه وربط سيفه المُرصّع فى خاصرته ، واستدعى بعد ذلك الحاجب العجوز إلى القصر وأوضح له كل ما حدث ثم قال له: إذا كنت ستتعاون معنا هذه الليلة بالصدق والحقيقة فستجلس

فى بيتك غداً مُكرِّماً معزّزاً، وسنعطيك ثلاثة أمثال ما كنت تحصل عليه، أما لو خُنْتنا فسأقطع عنقك.

قال العجوز: من عيني. وقدم التحية وخرج.

إستدعى صمد الجلاّدين والحرس وجميع هيئة الخدمة فى القصر الملكى وأعاد على أسماعهم كل ما قاله للحاجب العجوز آنفاً، ثم قال: أحضروا لى الوزير؛ فأحضروه، وأمر بفصل رأسه عن جسده، فنقذ السيّاف الأمر.

ثم قال : أحضروا لى الكاتب، فأحضروه، فقال له:

أكتب بأمرى أنا الملك، منذ هذه اللحظة كل من يموت يُدفن وحده، وليس لأحد الحق فى أن يلقى بزواج أو زوجة المتوفى معه داخل المقبرة حياً.

فى هذه الأثناء سقط القلم من يد الكاتب وتناثر الورق تحت أقدام الحاضرين وأغشى عليه، فنضحوا على وجهه ورأسه الماء فأفاق، ثم سأله صمد:

هل كان فى هذا الحكم أمر مخيف، وقد جعلك تفقد الوعي؟.

فرد عليه الكاتب بخجل:

لا، فداك، بل كان ذلك من فرط السعادة.

- ولماذا أنت سعيد إلى هذا الحد؟.

- لأنه مع صدور هذا الأمر سأولد أنا من جديد مرة أخرى، لأنى تركت زوجتى

تحتضر، وقد تموت الآن، ومن المقرر أن يلقوا بى معها فى المقبرة.

أبطل صمد- بإصدار هذا الأمر- عادة سيئة وقبيحة فى بلاده، وأصبح ملكاً

عادلاً، وتزوج أيضاً من فرنجيس، وأقام حفل العرس الذى استمر أربعين يوماً

بلياليها.

قضى هذان الشابان فترة طويلة فى سعادة وبهجة، ثم هرموا وشاخوا.

كذلك أنتم أيضاً، بعد إكمال البهجة والسرور ستهرمون وتشихون.

* * * * *

١٤ - حكاية جُل خندان

كان يا ما كان، تحت هذه السماء الزرقاء لا إله إلا الله.
كان فى العصور القديمة، فى بلاد العجايب،
كان يعيش رجل ليس له من هذه الدنيا إلا زوجة وإبنة.
كان اسم الرجل "جهان" وكان فى منتصف العمر، وكانت زوجته شابة،
أمّا إبنته "منور" فقد كانت حديثة سن، حيث بلغت للتو التاسعة من عمرها.
وقد كانت هذه الفتاة من أجمل الجميلات فى زمانها.
فقد كانت طويلة القامة، صفائرها طويلة، حواجبها محدبة كالقوس،
ورموشها كالسهام؛ خلاصة القول:
هذه الفتاة فريدة ولا تدانيها أى فتاة فى جمالها، فقد كانت عند ما تبتسم كأن
الورد يتفتح وأغصانه تتمايل والعطر ينساب منه يملأ المكان،
وكانت عندما تبكى ينسال الدمع من عينيها كحبات اللؤلؤ المنثور.
كان جهان يحب زوجته جداً ولم يتحمل البعد عنها يوماً، وتعاهدا سوياً على أنه
إذا مات الزوج قبل زوجته فلا تخرج من المنزل ، وإذا ماتت الزوجة قبل
زوجها، لا يدخل هو منزله مرة أخرى.
مرت الأيام والشهور بل والسنين بينهما بالرحمة والوفاء،
وفى النهاية وفى يوم من الأيام مرضت زوجة جهان مرضاً شديداً وفى
المستشفى قالت لزوجها:
عزيزى جهان! أنا قد أموت، وأنا أعرف أنك بعد موتى ستتزوج من أخرى
وستقع ابنتى تحت يد زوجة أب، فأوصيك بها وأرجو أن ترعاها وتحافظ عليها
جيداً.
مزّق جهان جلاببه وأخذ يبكى حتى انهمرت الدموع من عينيه كالسيل الجارف

وقال:

يا زوجتى الطيبة والطيبة! لا تقولى هذا؛ إذا حدث ذلك لك فسوف أنتحر؛ أيعقل أن أتزوج بأخرى واسمح لإمرأة غيرك تدخل بيتى.

أخرجت المرأة آخر أنفاسها وأغلقت عيناها عن الدنيا إلى الأبد.

بكوا وناحوا ثم كفّوا المرأة ودفنوها، ونصبوا سرادق العزاء لمدة أربعين يوماً؛ وكما يقال: التربة قد بردت.

لم يمر عام على وفاتها حتى اشتعلت شرارات الرغبة فى جسد جهان؛ كانت عيونه تلاحق النساء والفتيات بعيون فاحصة، فقد غاب العهد الذى قطعه مع زوجته فى عالم النسيان.

كانت فى الجوار أرملة إسمها "كوجك هانم"، حالها كان يشبه حال جهان، وكانت قد شعرت بالضيق بعد موت زوجها.

التقت هذه المرأة فى يوم من الأيام بذاك الرجل وجها لوجه وكان الرجل قد تصور أن تلك المرأة ملكة جمال فوق أسيرا فى حبها.

أرسل جهان إلى بيت كوجك هانم ليخطبها، ودعا الله أن يساعده فى إتمام هذا الزواج، وبسرعة تزوجا وذهبت كوجك هانم إلى بيت جهان.

كانت كوجك هانم لديها ابنة أيضاً، لكن خمّنوا أنتم معى، ما يكون شكل هذه الفتاة؟

نعم! كانت فى شكل التمساح، وكان وجهها ملئ بالبثور؛ وعلى رأى المثل: لو أن جوالاً من الذرة سقط على رأسها لم تسقط منه حبة واحدة على الأرض.

كانت كوجك هانم قد أخذت ابنتها معها إلى بيت زوجها.

عند ما رأت كوجك هانم وابنتها منورّ ابنة جهان، وقد كانت عند ما تبتسم كأن الورد يتفتح، وعندما تبكى ينسال من عينيها ما يشبه حبات اللؤلؤ، دبّ الحسد فى صدورهما، وكانت كوجك هانم قد قررت من أول يوم دخلت فيه بيت جهان

أن تُغرق منورَ بأى حل من الأحوال، وكانت تنتهز الفرصة المناسبة لتنفيذ هذا العمل.

كانت منورٌ قد ذهبت فى إحدى الأيام إلى النهر لتغسل رداءها، وأخذت تفكر فى الفرق بين محاسن أمها وعدم وفاء أبيها بوعده، وظلم زوجة أبيها لها، وحسد ابنة زوجة أبيها فبكت بلا إرادة منها.

كان ابن الملك عائداً - قدراً- مع بعض أصدقائه وخدمته من رحلة صيد، ومرّ فى طريقه من نفس المكان فرأى فتاة على حافة النهر تغسل رداءها، وكان جمالها يضى كالشمس لكنها كانت تبكى، ومن عيونها يسيل الدمع كحبات اللؤلؤ؛ اندهش ابن الملك من هذا المشهد وقال فى نفسه:

يا ترى ما السرّ فى أن فتاة بهذا الجمال تكون مضطرة لأن تغسل رداءها وهى تبكى، وما السرّ حين تبكى يهطل من عينيها كحبات اللؤلؤ؟. اقترب ابن الملك، هو على ظهر الحصان، من الفتاة وسألها: أيها الفتاة الجميلة! ما يبكيك؟.

رمقت الفتاة الأمير بنظرة، دموعها كانت صافية، وظهرت على شفتيها ابتسامة مليحة دون قصدٍ منها وكانت مضيئة كالورد المتفتح.

انعقد لسان الأمير من الدهشة والتعجب، ما هذا السرّ؟ هل يتفتح الورد ويتشكل على هيئة إنسان؟.

انطلق نور المحبة كسهمٍ من عيون الفتاة واستقر فى قلب الأمير، فأحب الأمير الفتاة كما لم يحب من قبل.

غادر الأمير المكان وعاد إلى منزله ودخل غرفته وأغلق الباب ولم يسمح لأى أحد أن يدخل عليه، وقد حبس نفسه فى الغرفة وأخذ يبكى.

أخبروا الملك بأن الأمير قابع فى غرفته وأغلقها على نفسه ويبكى ولم يتكلم مع أى أحد.

على الفور ذهب الملك إلى غرفة ابنه فرأى بالضبط كما قيل له.
سأل الملك ابنه: يانور عيناى! ما الذى يبكيك هكذا؟.
نهض الفتى مسرعاً بمجرد أن سمع صوت أبيه فأدّى التحية وقال:
يا أبى العطوف! حالى ليس على ما يرام، لقد ألمّ بى تعب.
فهم الملك الخبير المُجرب أن ابنه لم يقل الحقيقة فقال له:
لا، لم يصبك تعب، قل الحقيقة! لماذا تبكى؟.
كل ما أصرّ الأمير وتظاهر بالمرض، كان الملك لا يصدّقه ولذلك لم يتوقف عن
البحث عن الحقيقة.
فى النهاية قال الابن للملك:
يا أبى! عندما عدنا من رحلة الصيد رأيت فتاة عند النهر، كانت عندما تبكى
يهطل من عينيها كاللؤلؤ، وعندما كانت تضحك يبدو وجهها كوردة تتفتح؛
فأحببت تلك الفتاة، ومن أجلها كنت أبكى.
قال الملك: ألهذا؟ لا تبكى لهذا، سأرتب لإحضار تلك الفتاة وأزوجه لك.
نادى الملك على الوزير وقال له:
أيها الوزير! سأمهلك ثلاثة أيام فقط لتجد تلك الفتاة التى عندما تبكى يهطل من
عينيها كاللؤلؤ، وعندما تضحك يبدو وجهها كوردة تتفتح، وتأتى بها إلى هنا؛
وإذا لم تأتِ بها سأفصل رأسك عن جسدك.
قال الوزير:
يا قبلة العالم! يوجد فى هذه المدينة آلاف الفتيات، كيف أعرف أى منهنّ عندما
تبكى يهطل من عينيها كاللؤلؤ، وعندما تضحك يبدو وجهها كوردة تتفتح؟
غضب الملك بشدة ودق الأرض بقدمه وقال له:
أيها الوزير! أنا لا أعرف من أين لك أن تعلم ذلك، لكن ما أعلمه هو أن تنفذ كل
ما أطلبه.

وصل الوزير إلى بيته غضبان أسفاً، وعرض على زوجته كل ما حدث.
قالت له زوجته:

يا رجل! لا تفعل ولا تغضب لهذا الأمر، أنا غداً أقول لك من تكون تلك الفتاة.
سألها الوزير وهو غير مُصدّق:
كيف ذلك؟ من أين تعرفين؟.
أجابته زوجته:

الأمر بسيط جداً، غداً أسأل وأتقصى عن فتاة كانت تغسل رداءها على شط
النهر.

انبسطت أسارير الوزير قليلاً وشكر زوجته وقال لها:
لو وجدتها سوف تنقذيني من موت مؤكد،
وستكون فرصتنا أفضل لو كانت بدون زوج.
نعم، أيها الأعزّاء! طاب مساؤكم.

مرّت ليلة الوزير بالقلق والإضطراب؛ وفي صباح اليوم التالي ارتدت زوجة
الوزير عباؤها السوداء المعتادة وشقت طريقها إلى الحارة والسوق.
طافت وتجولت في الحارات حتى أنها في النهاية وبعد البحث والتحقيق عرفت
من تكون تلك الفتاة التي كانت تغسل رداءها على شاطئ النهر، فعادت إلى بيتها
مسرعة وقال للوزير وهي مسرورة فرحة:
إعطني البشارة، فقد وجدت الشخص الذي تطلبه.
قال الوزير: قولى فقلق الإنتظار يقتلنى.

قالت زوجته:

إن البنت التي رآها الأمير عند شاطئ النهر هي ابنة جهان؛
يمكنك أن تخبر الملك بهذا وأنت مطمئن.

فرح الوزير بشدة واستحسن ذكاء وعقل زوجته وشكرها على ذلك كثيراً ومن

ثمَّ ذهب بنفسه إلى القصر والتقى الملك وقال له:
ياقابلة العالم تسلم لنا! إِنَّ الفتاة موضع اهتمام وحب صاحب السمو قد وُجِدَتْ،
إنها ابنة جهان.

قال الملك:

أيها الوزير! عليك أن تذهب إلى بيت جهان وتخطب منه ابنته لإبنى، لا تنسى
أنه إذا رفض عليك أن تحضر تلك الفتاة بالقوة.

قال الوزير وهو يتملق ويناقد:

يا صاحب الجلالة! لماذا أحضرها بالقوة، يجب على أبيها أن يرفع القبعة لأننى
من طرفكم لأخطب ابنته لسمو الأمير.

قال الملك:

إذهب وعُد بأسرع ما يمكن لتأتينى بالرد سواء إيجاب أو نفي.

ذهب الوزير بعد التعظيم والتكريم مع أحد الحراس إلى بيت جهان وقال له:
إن ابن الملك كان قد رأى إبنك وأحبها، وأنا قد أتيت من طرف الملك لأخطبها،
فقل لها تستعد لتأتى معنا.

أخذ جهان يلف ويدور فى الكلام ففهم الوزير أن جهان لم يوافق على أن يزوح
ابنته من الأمير فقال له:

يا جهان، أعلم أنك تلعب مع الشيطان، وهذا ليس فى صالحك.

إضطر جهان أن يعلن موافقته؛ واستدعوا القاضى لعقد قران الفتاة والأمير.

أخذ الوزير قسيمة الزواج وأراها للأمير، فارتعد قلب الأمير كقلب عصفور
يرفرف، وفى نفس الليلة ذهب إلى منورٍ ليعلنها بسرعة إعداد حفل ووليمة
الزواج وأن الفرح سيتم فى خلال الثلاثة أيام القادمة.

قضى الأمير تلك الليلة حتى الصباح مع منورٍ وخططوا لنظام حياتهم الجديدة.
عرفت كوجك هانم كل شئ وانتظرت حتى يخرج جهان فى الصباح،

وعندما ذهب جهان إلى عمله ذهبت كوجك هانم إلى منور وضربت على رأسها ضربة قوية فصرخت الفتاة من شدة الألم، وعندما تبكى منور يسيل من عينيها اللؤلؤ؛ وأخذت كوجك هانم تجمعها بحرص وعناية.

بعد ذلك أخذت تضحك الفتاة المسكينة بكل الطرق حتى أخذت من فمها كل الورد ثم قالت لها هيا سيرى أمامى.

خمنت الفتاة أن كوجك هانم تضرر لها فى نفسها شيئاً، فسألتها وهى تبكى: إلى أين تأخذيننى؟.

قالت لها:

إن الأمير سيتزوجك وأنا سأأخذك لأنظف جسدك المتسخ، فليس من الحسن أن تكون عروس الأمير متسخة.

عرفت الفتاة أن تخمينها صحيح وأن كوجك هانم تريد قتلها، لكنها لم تستطع الإفلات من يدها فأخذت تصرخ وتولول فأخذت زوجة أبيها تضربها حتى وصلا إلى مكان مهجور فدفعتها فيه وفقات عينيها ثم ألقت بها فى كهف مظلم وأغلقت عليها بقفل ووضعت مفتاح القفل فى جيبها.

لم ترغب فى قتلها لأنها تحتاجها لتفـيـذ باقى خططها.

كانت تأتى لها فى كل يوم بالطعام والشراب وتدفعه إليها من خلال فتحة.

مضت ثلاثة أيام واقترب موعد الزفاف، فزينت كوجك هانم إبنتها ووضعت لها اللؤلؤ تحت إبطها وزفتها إلى بيت الأمير بالطبل والزمـر، وعندما كانت تضحك كان الورد ينزل من تحت إبطها، وكان الأمير يعرف من قبل أن الورد ينزل من بين شفـتيها.

كانت كوجك هانم تعطى إبنتها كمية كبيرة من الورد بحيث لا تنقص أبداً.

كانت تذهب إلى منور مرة فى الإـسبـوع وتضربها حتى تبكى ثم تقوم بجمع اللؤلؤ وتعطيه إبنتها سراً.

مضت تسعة شهور وأيام وضعت بعدها منور في ركن من الكهف طفلة.
كان للطفلة صفائر طويلة، كانت إحدى صفائرها بلون الذهب والأخرى بلون
الياقوت، فقبّلت منور وجهها ورأسها ثم أرضعتها.
وصلت كوجك هانم فجأة وأوسعت منور ضرباً حتى أفقدتها الوعي ثم أخذت
الطفلة

إلى بيت الأمير وقالت لإبنتها ضعيها في سرير، وأذاعت في كل مكان ولكل
شخص إن إبنتها قد أنجبت طفلة.

حضر الأمير إلى مخدع الفتاة وسعد كثيراً برؤية الطفلة.
عاشت الطفلة في القصر الملكي في رغد العيش والدلال، بينما أمها تعاني الألم
والعذاب في زاوية من الكهف المظلم في البيت المهجور.
- أترك لكم الراوى الآن ليروى لكم قصة قالع الشوك.

نعم! في يوم من الأيام كان هناك رجلٌ عجوز يجوب البادية ليجمع الشوك
والحطب ويبيعه في المدينة ويشترى بثمنه إحتياجاته المنزلية.
كان ذات يوم يحمل على عاتقه حزمة من الحطب ومراً بجوار البيت المهجور
فوصل إلى سمعه صوت، فظن أنه صوت شبح أو عفريت، فارتعب بشدة وأراد
أن يلقي بالحطب ويفرّ من المكان، لكنه سمع شخصاً يقول:
أيها المارّ من هنا! أنقذنى، إرحمنى فأنا فتاة عمياء،
وإذا ساعدتنى فسترى خيراً.

أمدّ قلبه بالقوة وأصغى جيداً ليعرف من أين يأتى الصوت.
عرف أن الصوت يأتى من كهف في البيت المهجور، فقال في نفسه:
هذا ميت حقيقى فلماذا أخاف.

اقترب من الكهف وهو يرتعد، فوجد باب الكهف مغلق.
احترق قلب الرجل العجوز عند سماعه بكاء وعويل وتوسلات الفتاة،

فكسر الباب ودخل الكهف فوجد فتاةً عمياء تبكي، ومن عينيها كان يسيل اللؤلؤ.

سألها:

أيتها الفتاة! من أنت؟ من عديم الرحمة الذى حبسك فى هذا المكان.
أجابته الفتاة:

أبى العزيز! خذنى إلى بيتك واعتبرنى إبنتك وهناك سأحكى لك كل شئ.
أخذ العجوز الفتاة إلى بيته وقال لزوجته:

يا زوجتى! هذه الفتاة غريبة ومسكينة، حافظى عليها كأولادنا، واعرفى أن هذه الفتاة عندما تضحك ينزل من بين شفתיها الورد، وعندما تبكي أيضاً يسيل من عينيها اللؤلؤ.

أنهى كلامه، وأشار لزوجته على اللؤلؤ الذى كان قد أحضره من الكهف.
فرحت الزوجة عندما رأت كل هذا اللؤلؤ، وذهبت به إلى السوق وباعته واشترت كل احتياجات ولوازم البيت من طعام وملابس وخلافه.
عاشوا معاً مدة ، وشيّد الرجل العجوز منزلاً كبيراً وفخماً وزين حجراته الداخلية باللؤلؤ.

قالت الفتاة فى يوم من الأيام للرجل العجوز:

يا أبى العزيز! لى عندك طلب.

قطع الرجل العجوز كلام الفتاة وقال لها: أطلبى ما تشائين، وأنا ألبى طلبك بالنفس والقلب.

قالت الفتاة:

أنا سأضحك وأنت تأخذ الورد من بين شفتى وتذهب به قريباً من قصر الملك وتنادى بأعلى صوتك وتقول:

أنا أبيع الورد، وعندما يأتى إليك الأمير إعطه الورد.

ضحكت الفتاة وبدأ الورد ينساب من وجهها؛ ورود حمراء وبيضاء ووردية وأرجوانية و... ورود بآلاف الألوان والروائح، جعلت هواء الغرفة وما حولها مُعطراً.

جمع العجوز الورود وفرزها فى سلة، ثم وضعها على رأسه وشق طريقه إلى قصر الملك وأخذ يصيح بأعلى صوته: أبيع الورد، أبيع الورد.
قال الأمير لخادمه:

إذهب وانظر إذا كانت ورود هذا البائع جميلة ومعطرة وطازجة، فاشترى لنا منها عدة أفرع.

ذهب الخادم إلى الرجل العجوز وتعجب من جمال ورائحة تلك الورود المعطرة فقال له:

إعطنى عدة أفرع من ورودك ليشتريها الأمير.

أعطى العجوز الورود كلها للخادم وقال له:

إنها هدية منى للأمير.

أخذ الخادم الورد إلى القصر وعاد العجوز إلى بيته.

ما أن رأى الأمير الورود حتى عرف أنها نفس الورود التى كانت تنزل من وجه زوجته عندما تضحك؛ كانت كل الورود طازجة ومعطرة
قال للخادم:

إذهب واحضر ذاك الرجل العجوز إلى هنا، لأعرف منه من أين اشترى هذه الورود.

خرج الخادم وبحث فى كل مكان، لكنه لم يجد أثراً للرجل العجوز،

فعاد إلى القصر وقص على الأمير كل ما حدث.

هيا بنا الآن لنرى ما الذى تفعله زوجة والد منور.

بعد أن أخذ الرجل العجوز منور من الكهف، ذهبت كوجك هانم إلى الكهف

لتحصل على اللؤلؤ من منور بالضرب وتعطيه لابنتها، لكنها لم تجد منور هناك، فعدت إلى بيتها يائسة مستسلمة، وأخذت تبحث سراً، لكنها بقدر ما سعت في البحث بقدر ما فشلت في العثور عليها، وارتعدت يداها وقدمها من شدة الغضب والضيق، فهي كانت تعلم انه إذا نفذ الورد واللؤلؤ فسينكشف سرّها ويفضح أمرها.

فى يوم من الأيام، وهى جالسة مهمومة وبائسة إذ دخلت عليها ابنتها وقالت لها:

يا أمى! إن الورد واللؤلؤ نفذ من عندى، ففكرى لو أن الأمير اكتشف الأمر فسيوبخنى ويفضحنى.

قالت كوجك هانم وهى تبكى بحرقة:

ماذا أفعل أنا! يا للعار، أنا فقدت الفتاة، إمّا أكلها الذئب وإمّا حيوان مفترس، عودى إلى بيتك الآن وتظاهرى بالمرض ونامى حتى نرى ما يحدث، وإذا لم أتمكن من العثور على الفتاة نقتل الأمير حتى لايفضح سرّنا.

- لندع كوجك هانم تبحث عن منور وابنتها مستلقية على سرير المرض، ونذهب لنرى ما حدث مع منور.

كان وجه منور يضى كالقمر ليلة أربعة عشر، والورود المعطرة التى تقطر من بين شفتيها حوّلت العمارة إلى بستان؛ شعرت منور أنها سعيدة مع هذه العائلة، فالرجل العجوز وزوجته وأطفالهما يعتقدون أنها زينة وبركة بيتهم فكانوا يدلّلونها ليل نهار.

اجتمعوا ذات عصر وقالت الفتاة لجامع الشوك العجوز:

يا أبى! خذ سلة أخرى من الورد وأرسلها إلى الأمير، لكن لا تدعه يراك.

حمل الرجل العجوز سلة الورد وذهب بها إلى منزل لأمير ونادى:

يا ورد! أنا بيّاع الورد.

خرج الخادم على الفور وقال للعجوز:

هيا تعال إلى داخل القصر، الأمير يريد أن يراك.

قال جامع الشوك:

خذ أنت الورد وأنا سأتى بعدك.

أخذ الخادم الورد وذهب، أما العجوز فقد تخفى وعاد إلى بيته.

نظر الأمير إلى الورود التى أحضرها الخادم فعرف أنها من نفس الورود التى تقطر من وجه زوجته منور.

جاءت هذه الحادثة كلغز بالنسبة للأمير وقد عجز عن حله، فصاح بعصبية:

أين هذا الشخص الذى أحضر هذه الورود إلى هنا؟ أحضروه امامى بأى حال من الأحوال.

بحثوا بقدر ما يستطيعون، لكنهم لم يعثروا على الرجل العجوز.

بدأ الشك يتسلل إلى قلب الأمير رويداً رويداً فاشتبه فى زوجته وظن أن لها

عشيق، وأن عشيقها يجمع الورود التى تقطر منها ويرسلها له.

أشعلت هذه الأفكار نار الغضب فى كيانه، فنهض من مكانه وذهب إلى بيت

جهان ليرى زوجته ويتحدث معها.

استقبل جهان وزوجته عريسهم والتقوا به وجهاً لوجه حيث تغير لون وجهه

من شدة الغضب.

سأل جهان الأمير:

ماذا حدث معكم؟ لماذا أنت غاضب هكذا؟.

قال الأمير: يجب أن تخبرنى منور الآن لمن تعطى الورد الذى يقطر منها.

قالت كوجك هانم:

يا حضرة المحترم! كما ترى منور إنها مريضة بشدة، ولها عدة أيام لم تضحك

حتى يقطر منها الورد وتعطيه لأحد كما تزعم أنت.

قال الأمير:

أنتِ تكذّبين، فقد جاء الرجل عجوز مرتان وأعطى للخادم من هذا الورد ثم اختفى، إذاً من أى مكان كان قد أحضره؟.

عصت كوجك هانم أصبعها، فقد عرفت أن منورَ الأصلية على قيد الحياة وأنها تعيش فى بيت رجلٍ عجوز فسعدت لذلك وقالت بخبث وذكاء:

آآآ.. نعم! صحيح، فى الوقت الذى تفتحت فيه الورد كان قد جاء إلى بيتنا رجل عجوز، فأعطيت أنا له الورد.

صدّق الأمير كلام أم زوجته، لكنه لا زال مندهشاً.

كان جهان مندهشاً من هذه الأحداث والأوضاع،

ومن أن ابنته كانت قد اختفت فجأة، وتسالت الشكوك والشبهات إلى قلبه،

لكنه كان يخاف من زوجته ولم يبيح بأسرارها لأى أحد،

وعندما كان يحدث بينهما شجار كانت تهجم عليه كالكلب المسعور.

خدعت كوجك هانم الأمير باللؤم واللسان الطلق.

قال الأمير:

يجب أن أرى وجه منور، فإما أن يكون وجهها أصفر وإما تكون حالتها حسنة.

لكن هل أرت وجه الفتاة لزوجها؟ لو أنهم فعلوا ذلك لا فتضح أمرهم؛ حتى

الورود نفدت وحلّ مكانها وجه دميم وظهرت الفتاة أقبح مما سبق، فقد سقطت

حواجبها.

قالت كوجك هانم بخُبت:

إن منور الآن تتصبب عرقاً، ولو أنك رأيت وجهها فسْتُصاب بالبرد.

صدّق الأمير الساذج هذا الكلام وودعها ثم عاد إلى بيته.

علمت كوجك هانم- بعد بحث وتقصى- أن منور تعيش فى بيت رجلٍ عجوز،

فكّرت كثيراً وفى النهاية تأكدت أن الفتاة فى منزل جامع الشوك، وأن جامع

الشوك قد حصل على اللؤلؤ من عيون منور وبهذا وصل إلى هذه الثروة الضخمة وشيّد منزلاً فخماً، فذهبت إلى امرأة عجوز وقالت لها: يا أمّي! أود منك أن تذهبي إلى بيت جامع الشوك وتستخبرين عن فتاة عمياء هل هي تعيش في ذاك المنزل أم لا، وأنا سأعطيكَ الكثير من المال. عندما تأكدت أن العجوز ستنفذ طلبها، أعطتها حفنة من اللؤلؤ. ارتدت العجوز ملابس التسول وسارت رويداً رويداً إلى بيت جامع الشوك وطلبت خبز وطعام لها ولأولادها الجوعى، وعندما دخل أولاد جامع الشوك إلى المطبخ ليأتوا لها بالطعام دخلت العجوز البيت وبحثت فرأت منور. أحضر الأولاد طعاماً وفاكهة وأعطوها للعجوز، فوضعت في كيس معها ودعت لهم وانطلقت إلى بيت كوجك هانم وقالت لها: نعم، الفتاة التى وصفتها موجودة في بيت جامع الشوك؛ الفتاة مثل حوريات الجنة، لكن يا خسارة، إنها عمياء. سعدت كوجك هانم كثيراً وقالت: لو تستطيعين أن تختطفى تلك الفتاة وتحضرها إلى هنا فسأعطيكَ صندوقاً مملوءاً باللؤلؤ. قالت العجوز: أريحي بالك، غدا أقوم لك بهذا العمل. نعم! دخلت العجوز المُسنة في وعاء وتلت على نفسها التعاويذ فتحولت إلى هواء، ودخلت إلى بيت جامع الشوك وهى تصفّر كصوت الريح، لم يكن الرجل العجوز آنذاك موجوداً بالمنزل، تعاويذ المرأة العجوز حولت الفتاة إلى قش وأخذتها معها في الهواء إلى بيت كوجك هانم وأعادت عليها قراءة التعاويذ فتحول القش مرة أخرى إلى منور ثم قدمتها إلى كوجك هانم. قامت كوجك هانم في البداية بالإحتيال على منور لإجبارها على الضحك،

وحصلت منها على مقدار وفير من الورود، ثم أتت بعضاً غليظة وأوسعت الفتاة بها ضرباً، تكوّن اللؤلؤ وانحدر من عيني منور، وقد سقطت على الأرض مغشياً عليها من شدة الضرب وكثرة الإصابات على جسدها.

حملت كوجك هانم الفتاة المغشى عليها إلى الصحراء ووضعتها في غار وأغلقت عليها ثم عادت إلى بيتها ونثرت كمية من الورود على إبنيتها، فحولت الورود الجميلة الفتاة الدميمة ذو البشرة السوداء إلى ملكة جمال.

بشّروا الأمير على أن زوجته شفيت من مرضها، ذهب لرؤيتها فرأى وجهها يقطر ورداً؛ أمسك يدها بكل فرح وسرور وذهباً سوياً إلى القصر.

- دعونا الآن نستمع إلى جامع الشوك.

عندما عاد الرجل العجوز إلى بيته لم يرى منور هناك، سأل عنها الجميع وبحث عنها في كل مكان، فلم يجبه أحد ولم يعثر لها على أثر فيئس وأخذ يبكي ويصرخ كطفل ماتت أمّه، وعندما هدا وجفت دموعه ألقى الخرج من على كتفه وشق طريقه في الصحراء والبوادي، وبحث عن الفتاة في المدن والقرى الكبيرة والصغيرة، وسأل كل من يقابله في طريقه لكنه لم يدله أحد ولم يسمع عنها خبراً ولم يجد لها أثراً.

توقف عن البحث بعد سبع سنوات وعاد يائساً فاقداً للأمل، وبالقرب من قريته ارتدى على حشائش غزيرة كي يستريح من عناء البحث فسمع صوتاً، التفت حوله فرأى امرأة وبيدها عصاً غليظة ومتجهة نحو غار.

وصلت المرأة إلى باب الغار وفتحته ودخلت الغار، أصغى الرجل العجوز فسمع صوت ضرب وصراخ، إقترب من الغار وكظم غضبه وبقي هناك حتى يعرف ما الذي يحدث في الغار.

ضربت المرأة الفتاة حتى اقتربت من الموت ثم خرجت من الغار وبيدها كمية من الورود واللؤلؤ وأغلقت باب الغار وانصرفت.

انتظر جامع الشوك حتى ابتعدت المرأة تماماً ثم ذهب إلى الغار وفتح بابه ودخل
فراًى منور بداخله.

ضربتھا المرأة الظالمة بشدة حتى لم يبقى فى جسدها مكاناً سالماً.
حمل الرجل العجوز الفتاة على كتفه وأحضرھا إلى بيته ووضع على جروحھا
مرهماً وقام بتمريضھا والعناية بها حتى تتحسن حالتھا.
بعد عدة أيام وبعد أن تحسن حال الفتاة سألھا العجوز:
لماذا خرجت من المنزل وذهبت وحدك حتى حدث لك ما حدث؟.
أجابته الفتاة:

أنا لم أخرج من المنزل، جاءت امرأة عجوز وقرأت بعض التعاويذ وأخذتني من
هنا.

عرف الرجل العجوز أن المرأة المُسيئة ستعلم بخبر نجاة الفتاة وستأتى حتماً
مرة أخرى لتبحث عنها.
أخذ منجله فى المساء وذهب إلى بيت المرأة المُسيئة وقطع رأسها وأرسلها إلى
جهنم وعاد إلى بيته.

أخذت كوجك هانم فى صباح اليوم التالى عصاتها و شقت طريقها فى الصحراء
لتذهب إلى الغار، وعندما وصلت إلى باب الغار وجدته محطماً،
ولم تجد الفتاة هناك فاتجهت بسرعة إلى بيت العجوز المُسيئة لأنها ظنت أنها
قتلتها، فعادت البكاء والنحيب، لكنها عرفت أن جامع الشوك قد أنقذ منور
وقتل المرأة العجوز ففكرت فى أن تبحث عن ساحرة عجوز أخرى.
- لنستمع الآن عن منور هانم.

عاد وجه منور مرة أخرى متفتحاً كبراعم الربيع، مضيئاً كالشمس،
مشعاً كنور القمر، وأعادت على مسامع جامع الشوك وأسرته كل الأحداث التى
مرت بها وقالت للرجل العجوز:

لا تتقاعس مرة أخرى يا أبى العزيز! خذ سلة من الورد وأرسلها إلى الأمير.
أخذ الرجل العجوز سلة الورد واتجه بها صوب قصر الملك ونادى بصوت عالٍ:
يا ورد، أنا بيّاع الورد.
جاء الخادم فى هذه المرة ومعه أحد حراس القصر وأخذ الورد وقبض الحارس
على الرجل العجوز وأدخله القصر.
قال العجوز:

ما هذا الذى يحدث، لماذا تعتقلنى؟ أنا قادم بنفسى.
وبمجرد دخولهم القصر أفلت العجوز نفسه من يد الحارس وفرّ هارباً.
أخبروا الأمير بما حدث، فخمّن فى نفسه أن هناك سر يجب كشفه، ويجب عليه
أن ينتظر حتى يتضح هذا السر، وأوصى الخدم بأن يخبروه عندما يأتى الرجل
العجوز إلى القصر مرة أخرى.
من ناحية أخرى أيضاً أن كل ورود ولآلى الفتاة الدميمة قد نفدت،
فتظاهرت بالمرض ونامت ورفعت صوتها بالبكاء والأنين.
طرقت كوجك هانم أيضاً هذا الباب وذاك الباب لكنها لم تأتِ بنتيجة،
ولم توفق فى العثور على ساحرة أخرى لتأتى لها بمنور عن طريق السحر.
من ناحية أخرى أيضاً أوصت منور جامع الشوك بأن يزيّنوا المنزل بالورود
واللؤلؤ، وأكدت بأنه فى أى وقت يعود فيه الأمير من الصيد ويصل إلى هذا
المكان أن يدعوه إلى المنزل.

مكث جامع الشوك ينتظر الفرصة، وفى يوم من الأيام وعلى غير المتوقع كان
إيلمار ابن الأمير عائداً من الصيد مع بعض أصدقائه وقد لفت نظره جمال وأبهة
بيت جامع الشوك فتوقف ليشاهده؛ ظن جامع الشوك أنه الأمير بنفسه فذهب
لاستقباله، وأمسك بلجام فرسه وقال له:

أيها الأمير! إنه وقت الضيافة، ولنا الفخر فى أن ننال هذا الشرف لنكون فى

خدمتكم.

قبلَ إيلمار دعوة جامع الشوك، لأنه كان قد انبهر بجمال هذه العمارة وأراد أن يراها من الداخل أيضاً، وطلب من أصدقائه أن ينزلوا من على الأحصنة ليدخلوا المنزل سوياً.

بُهِتَ إيلمار وانبهر بمجرد دخوله المنزل، وظنَّ أنه واقفٌ في الجَنَّة، فجلس في ركن وأدار عينيه في المكان إلى أن رأى فتاةً لم يرى من قبل في جمالها فتاة في أى مكان؛ كانت الفتاة عندما تبتسم يسيل من بين شفتيها الورد.

لم يتمالك إيلمار نفسه من الدهشة مما رأى فسقط على الأرض مغشاً عليه، رشّوا عليه ماء الورد حتى أفاق، وأخذ يتناول طعامه وهو في حالةٍ من الذهول واضطراب العقل، ومن ثمّ قام وامتطى حصانه وعاد إلى بيته.

أخبروا الأمير أن إيلمار قد عاد من الصيد، وهو مريض بشدة. ذهب الأمير إلى مخدع ابنه ورآه في حالة إغماء فسأل رفاقه عما حدث له؛ فأجابوه:

إنّه أحب ابنة الحطّاب.

غضب الأمير لسماعه هذا الخبر وصاح:

إنها فتاةٌ فقيرة، عجيب أن يحب ابني ابنة حطّاب.

قال الوزير للأمير حين رآه هائجاً ومضطرباً:

تسلم لنا يا قبلة العالم! يقولون إن ابنة الحطّاب عندما تضحك يسيل من فمها الورد، وعندما تبكى تزرّف عيونها اللؤلؤ.

ما أن سمع الأمير هذا الكلام حتى شعر أن نياط قلبه تمزق ونفسه تنهار، فعض أصبعه من الحيرة، وطأطأ رأسه وراح في تفكير عميق، وبعد فترة رفع رأسه وقال: أيها الوزير! علينا غداً أن نحلّ ضيوفاً على الحطّاب، واذهب إلى ابني الآن وقل له لا تغضب، فسنذهب غداً إلى بيت الحطّاب؛ وإذا أعجبتني الفتاة

فسأخطبها لإيلمار.

ذهب الوزير إلى إيلمار وقال له:

إستعد فسنذهب غداً إلى بيت الحطاب.

- هيا بنا نذهب قبلهم إلى بيت الحطاب، لنرى ما يحدث هناك.

بعد أن غادر إيلمار ورفاقه بيت الحطاب قالت منور للرجل العجوز:

أبى العزيز!

إن ابن الأمير قد أحبني، وسيأتي الأمير بنفسه ليراني، فاستعد أنت من الآن،

ومن يأتي ليخطبني عليك أن تشترط عليه شرطاً، وتقول:

إن ابنتي هذه عمياء، وأنا أريد قبل أى شئ أن يتم عقد مجلس فى بيت جهان،

وتأخذونها إلى هناك فى هودج، لأنها تريد أن تقص عليكم هناك قصة الفتاة

المسكينة العمياء، وبعد انتهاء القصة ستوافق على الزواج.

ذهب الأمير فى صبيحة اليوم التالى برفقة حشد من الوزراء والأعيان ورجالات

القصر إلى بيت الحطاب فاستقبلهم الرجل العجوز بحفاوة وحرارة.

تعجب الأمير ومرافقيه عندما دخلوا البيت واندeshوا لما رأوا، فلم يروا مثل هذا

البيت فى الجمال، وما كانوا قد سمعوا حتى أن أحداً من أجدادهم كان لديه مثل

هذا القصر فى الفخامة والجمال.

صحب الحطاب الأمير ومرافقيه إلى قاعة الإستقبال، فتأكدوا من أن كل ما قيل

عن هذا البيت كان صحيحاً.

رحب صاحب البيت وأولاده بالضيوف أيما ترحيب؛ ووسط هذا الخضم من

الترحاب والإعجاب راح الأمير يفكر، وتصور أن شخصاً سيأتى ويقول له: إن

الفتاة التى يعرفها الجميع هى زوجتك، منور، لكن لم يتفوه بكلمة وبقي هكذا

ساكناً وسابحاً فى بحر أفكاره؛ فى النهاية وبعد تناول الطعام قال للحطاب: إن

ابنى أحب ابنتك، وقد أتينا أنا والمرافقين معى لنخطبها، فاسمح لنا أن نتم

مراسم عقد القران.

قال الخطاب:

المعذرة يا حضرة الأمير المحترم، فلن يتم هذا العقد لأن ابنتى تلك عمياء،

فانتفض الأمير واقفاً وقال:

فتاة عمياء! لتبقى عندك.

قال الخطاب:

لكم الخيار، أنا قلت لكم الحقيقة.

عادوا أدراجهم، وهناك قال الأمير لإلمار:

إن الفتاة التى تحبها عمياء، ولا تناسبك.

أخذ إلمار يصرخ ويدق الأرض بقدميه وقال:

أنا أحببتها، ولا فرق عندى أن تكون عمياء أو مبصرة، أو حتى قدميها

مقطوعة، فأنا أوافق عليها.

رأى الأمير أن إلمار مُصرٌّ على رأيه، فسلم بالأمر وأرسل الوزير إلى بيت

الخطاب؛ ذهب الوزير وقال للخطاب:

قد وافق الأمير على عقد قران ابنه على ابنتكم، وعليكم الآن أن تحددوا موعد

العرس حتى نقوم بتجهيز ما يلزم لإتمام مراسم الزواج.

قال الخطاب:

يا حضرة الوزير، أنا لى شرط قبل مراسم الزواج وهو أن ينعقد مجلس

فى بيت جهان وتحضره كل عائلة جهان وكذلك الأمير، لتحكى ابنتى فى ذلك

الجمع قصتها، وبعدها نتم مراسم الزواج إن شئتم.

أبلغ الوزير الأمير بشرط الخطاب، وأرسل الأمير مبعوثاً إلى بيت جهان يخبرهم

أن ينتظر جهان وكل أهله غداً فى بيتهم، لأن الأمير ومرافقيه سيحلون عليهم

ضيوفاً.

فى صباح اليوم التالى ذهب الأمير ومرافقيه إلى بيت جهان واصطحبوا معهم منور وأخفوها فى هودج، وكان الجميع فى حالة صمت ينتظرون.

قطعت منور الصمت وقالت:

أيها الحضور المحترمون، أود أن أقص عليكم قصة فتاة سيئة الحظ وعمياء مثلى.

كان وما كان، تحت هذه القبة الزرقاء، لا إله إلا الله، وكان فى هذه الدنيا الوسعة رجل ليس له أحد إلا زوجته وابنته، وكانت هذه الفتاة عندما تبتسم تسيل من بين شفتيها الورود، وعندما تبكى يتقاطر من عينيها اللؤلؤ؛ كان هذا الرجل يحب زوجته كثيراً، ومرّ الزمن ومرضت زوجته ثم توفيت وبقيت الفتاة المسكينة وحيدة.

لم يمر عام على وفاة أم هذه الفتاة المسكينة حتى تزوج الرجل بامرأة عديمة الحياء، وقد ربط فى عنقه حبل وأمسكه لزوجته الجديدة؛ وقد أحضرت هذه الزوجة معها ابنتها الدميمة إلى بيت الزوج، وأذاقت ابنة زوجها كثيراً من العذاب، ولم يمر يوم إلا كانت تضربها؛ وفى إحدى الأيام كانت الفتاة فى طريقها إلى النهر لتغسل الملابس فرآها ابن الملك، وقد كان عائداً من رحلة صيد فأحبها.

- عندما وصلت القصة إلى هذه النقطة عرفت كوجك هانم أنها منور، ولم تتحمل وأصابته نوبة هذيان وأغشى عليها ومن ثم سقطت على الأرض، وعندما أفاقوها حاولت الخروج من البيت لتهرب، لكن الحارس منعها وأجلسها فى زاوية من البيت.

استمرت الفتاة فى حديثها فقالت: .. ارتبط الأمير بالفتاة وجهزوا مراسم العرس ليناما سوياً على وسادة واحدة؛ وفى عصر ذاك اليوم فقأت زوجة الأب عيني الفتاة وأخذتها إلى كهف فى الصحراء، وحصلت منها على الورود واللالئ

لتضعها فى أحضان إبنتها، ثم أغلقت عليها باب الكهف، وزقت إبنتها إلى بيت الأمير على أنها العروس.

- إلى هنا من القصة أرادت الفتاة الدميمة، والتي أصيبت بالإضطراب والقلق والحيرة أن تفرّ هاربة إلا أنهم لم يسمحوا لها بالهرب. استمرت منور وقالت:

.. نعم! كانت زوجة الأب الشريرة والقاسية بعد ذلك تذهب كل يوم إلى الكهف وتجبر الفتاة على الضحك، ثم تضربها بقوة وتحصل منها على الورود واللؤلؤ لتعطيه لإبنتها.

مرت شهور وأيام وساعات، وضعت بعدها الفتاة اليتيمة فى الكهف طفلاً، كانت إحدى ضفائره من الذهب والأخرى من الياقوت؛ أخذت زوجة الأب الطفل من الفتاة بالقوة، ومن ثم قامت بترتيب مشهد الولادة لإبنتها وقدمت المولود إلى الأمير على أنه طفل إبنتها؛ وبعد مدة من الزمن أنقذ الحطاب العجوز الفتاة من الكهف وأخذها معه إلى بيته واعتبرها إبنته، فعالجوها واستضافوها بكل حُبّ وعطف؛ وبعد أن انتهت كل الورود واللآلئ من عند ابنة زوجة الأب قالت لها أمها أن تنام فى الفراش وتتمارض؛ وتوسلت زوجة الأب إلى امرأة عجوز فاخترت الفتاة التعيسة ووضعتها فى الكهف مرة أخرى، وكانت تضربها لتحصل منها على الورود واللؤلؤ، وبحث عنها الحطاب العجوز مرة أخرى، فوجدها فى الكهف فقتل المرأة العجوز وأخذ معه الفتاة؛ وكما يُقال قديماً " لا يخفى السحاب القمر، ولا يدوم الظلم على الأرض"؛ فلتكشفوا عن وجه هذه الفتاة التى تتعلل بالمرض وانظروا إليها.

رفعوا الغطاء عن وجه الفتاة فرأوا وجهاً قبيحاً، فأشاحوا عنها وجوههم. واصلت منور حديثها وروت قصة معاناتها فقالت:

.. لكن الشخص الذى تريدون منى أن اتزوجه ما هو إلا ابنى الذى وضعته فى

الكهف.

أزاحت منور الستارة وفتحت ذراعيها وقالت:

تعال إلى ياولدى تعال.

إحتضنت الأم ابنها بعد سنواتٍ من الفراق، وبكوا بكاء الفرح وسالت الدموع من أعين الحاضرين، وفى اللحظة التى انفصلت فيها الأم عن ابنها عاد إليها بصرها فى التو كاملاً، وقد بدت عيونها أكثر إشراقاً من ذى قبل؛ بينما كان جميع الحاضرين فرحين وسعداء، ماعدا زوجة الأب وابنتها، كانت العطور الفواحة والورود تملأ المكان.

أمر الأمير بإحضار زوج من البغال القوية، فأحضروا البغلين وربطوا الفتاة الدميمة فى ذيل أحد البغلين وربطوا أمها فى ذيل الآخر، وضربوا البغال حتى هاجت وأسرعت، وأخذت ترفس بقدميها النساء وأسرعت بهنّ حتى وصلا إلى الصحراء، وتخبطن فى الأشجار والأحجار حتى أن كل قطعة من جسد البنت وأمها التصقت إمّا بصخرةٍ أوبجذع شجرة.

أقام الأمير حفلاً لمدة أربعين يوماً، من أجل عودة زوجته وحبيبته إليه مرة أخرى، وأخذ منور إلى بيته، وعقدوا لإيلمار على ابنة الحطاب العجوز، وعاشوا حياتهم فى سعادةٍ وسرور وهناء.

أنتم أيضاً، عيشوا حياتكم فى سعادةٍ وسرور بعيداً عن الأشرار والحاquدين.

* * * * *

١٥ - حكاية إلياس

كان وما كان ، تحت قبة السماء الزرقاء، لا اله الا الله .
فى الأزمنة السحيقة وفى بلاد بعيدة، كان ملك يعيش فى أحسن حال؛
ومن أحكام القدر والزمان أن يُبتلى هذا الملك المعافى فى بدنه بمرض مجهول،
وجاءوا له بالأطباء والمنجّمين وضاربوا الودع والمتنبئون بالرمل من كل
مكان، وسلك كل منهم طريقه للبحث عن السبب والعلاج، ولم يتوصل أى منهم
الى شىء؛ الى أن جاء ذات يوم الى مخدع الملك طبيب ماهر ومحنّك ليفحصه،
وبعد الفحص الدقيق قال: العلاج الوحيد لمرض الملك هو أن يصطادوا له
دولفيناً من البحر على أن يكون هذا الدولفين من عائلة ملك البحار، ويوضع
دمه فى وعاء ويشوى لحمه ليأكله الملك ويشرب من دمه،
فيسترد عافيته بإذن الله.

بأمر من الملك، أرسلوا مكتوباً الى كل أنحاء البلاد بأن:
كل من يصطاد دولفيناً بحسب وصف الطبيب ويأتى به الى الملك فسيحصل على
ما يشاء من الأموال.
بعد سماع هذا الخبر، حمل كل من كانت لديه قدرة على العمل شبكة صيدٍ وذهب
بها الى البحر، فربما يواتيه الحظ فيغتنى من مال الدنيا.
كان للملك ابنٌ وحيد يُدعى "إلياس" وكان يحبه أكثر من أى شىء فى هذه الدنيا
ويعتبره نور عينيه؛ ومنذ أن وُلِدَ ابن الملك هذا وهو ضعيف البنية لأنه لم يأخذ
كفايته من لبن الرضاعة.

شَبَّ هذا الولد فكان على العكس من كل الأمراء، كان عطوفاً وعاقلاً، وكان يتألم
لحال الشعب، بسبب الظلم والقسوة التى كثيراً ما كان والده ينزلهما بالشعب،
وأحياناً كان يذهب الى البحر ويسرع لمعاونة الصيادون المنهكون، فيلقى عنهم

شباكهم إلى أن يزول عنهم التعب.

فى يوم من الأيام ذهب إلياس وألقى بالشبكة فى البحر،
وحين أخرجها رأى فيها مخلوقاً عجيباً، كان نصف جسده الأسفل نصف سمكة
كبيرة، والنصف الأعلى جسم ولد وسيم يُعجب به كل من يراه،
وبعد أن خرجت الشبكة من الماء ألقى الولد السلام والتحية بأدبٍ وقال:
لك منى البشرى يا إلياس، فعليك أن تعرف إننى أنا الإبن الوحيد لملك البحار
والذى وصف الطبيب لحمه ودمه كدواء لوالدك، ولو أنك أخذتني إلى والدك
فسياكل لحمى مشوياً ويشرب دمي ويشكرني ويثني عليك ويقول لك آلاف المرات
"أحسننت، أحسننت"، لكنك لو رحمتني وألقيت بي فى البحر مرة أخرى
فسأعطيك ثلاث نصائح قيّمة، كل واحدةٍ منها تساوى ما فى خزانة الملك.
فقال إلياس - الذى كان قد أحب الولد وانبهر من حديثه -:

لذلك عليك أن تعلم لو أن والدى مزقنى إرباً إرباً فلن أَرْضَى بِقَتْلِكَ، عُدْ إِلَى
البحر فانت حر، وإذا سمح ضميرك فقل لى نصائحك وإلا فلست مُجبِراً على أن
تقول.

قال ابن ملك البحار:

عشت يا أخى، وهذه نصائحى لك:

الأولى:

لاتنكر الحق بأى حلٍ من الأحوال؛

والثانية:

لا تصدق الشئ الذى لا يتوافق مع عقلك؛

والثالثة:

لا تتحسر على شئٍ تصدقت به ولا تندم عليه.

ودّع ابن ملك البحار إلياس وغاص فى أعماق البحر.

عاد إلياس إلى منزله، ولكن كما قيل قديماً:

"لاتزال صفة الشياطين تلازم الناس ولن تزول عنهم بسهولة".

ليسحق الله الجواسيس والوشاة في كل مكان وزمان؛ فقد كان أحد هؤلاء الجواسيس والوشاة القذرين - الذين يتسكعون في المكان- قد شاهد ما حدث مع إلياس على شاطئ البحر فذهب على الفور إلى الملك وأخبره بأن: إلياس كان قد اصطاد ابن ملك البحار لكنه أخرجته من الشبكة وأطلقه في البحر.

استدعى الملك ابنه إلياس وسأله عما حدث، فأعاد إلياس على سمع والده ما دار بينه وبين ابن ملك البحار، فغضب الملك وصاح على السيّاف وأمره بقطع رقبة إلياس، فطلب رجال القصر من الملك العفو عن إلياس لكن الملك لم يبالي لطلبهم هذا.

كان كبير الوزراء رجل عاقل ورزين، فكّر وقال في نفسه: الملك ليس لديه إلا ابنٌ وحيد وإذا تركناه في هذه الحالة ليقّتلّه فسيأتى بعد أن يهدأ من غضبه هذا، وبعد فترة من الزمن ليقول لنا:

إننى كنت فى ذاك اليوم عصبياً وشديد الغضب، فلم تركتمونى أقتل ابنى الوحيد؟ فأى جواب ساعتنى يكون لدينا نقدمه للملك؟.

توجه كبير الوزراء ناحية الملك، و بعد تقديم التحية الواجبة المتعارف عليها قال له: يا قبلة العالم! أنا فداء الذات الملكية المقدسة، بما أنكم تعلمون أننى فى خدمة معاليكم منذ سنواتٍ طويلة فى الجهاز الحكومى، فشمس حياتى قد غربت وهذه أول مرة أطلب فيها من حضرتكم طلباً، وهو أن تصدروا أمراً بأن تُقطع رقبتى بدلاً من إلياس الشاب اليافع الجميل، وأطلق سراحه فهو ابنكم الوحيد. هدا الملك بعد سماع كلمات وزيره الحكيم وألغى حكم إعدام ابنه، لكنه أمر بأن يطردوه خارج المملكة، فقاموا بتسليمه لبعض الحُرّاس ليصحبوه إلى خارج الحدود، وحين علمت أم إلياس بالأمر قالت:

يا لها من قسوة، دعونى على الأقل أودّع ابنى الوحيد.

أخذت الأم تُقبّل وجه ابنها ورأسه ثم قالت له:

أى بُنى، إنهم أجبروك على الخروج من البلاد فاقبل نصيحتى:

- إذا أردت أن تصاحب أحداً فاعطه شيئاً يقسمه نصفين، فإن احتفظ لنفسه

بالنصف الأكبر فاعلم أنه إنسان طمّاع، فلا تصاحبه لأن صداقته قد تضرّك؛

- وإذا أعطاك النصف الأكبر واحتفظ لنفسه بالأصغر فاعلم أنه إنسان مخادع

ومحتال، فتجنّب مصاحبته أيضاً؛

- لكن إذا قسّم الشئ نصفين متساويين فاطمئن إليه وصاحبه.

ودّعت الأم ابنها الوحيد والدموع تنهمر من عينيها بشدة.

أخذ الحُرّاس إلياس وأخرجوه خارج حدود المملكة وعادوا أدراجهم.

سار إلياس فى طريقه، فقطع الوديان والتلال، واصلاً الليل بالنهار، سار فرأى

أماكن كثيرة لم يكن قد رآها من قبل، وتعرّف على أناس كثيرين، فى النهاية

تعرّف على شخص وتبادل معه الحديث واطمأن إليه وشعر معه بصداقة حقيقية،

لكنه تذكر وصية أمه، بأنه إذا أراد أن يصاحب شخصاً عليه أن يعطيه شيئاً

ليقسمه جزئين، فأعطاه تفاحة وقال له:

خُذْ يا أخى هذه التفاحة لو سمحت واقسمها لناكلها سوياً.

قسّم الشاب التفاحة نصفين وأخذ ينظر إلى الجزئين فى يديه ويقارن بينهما،

وبعد أن تأكد أن الجزئين متساويين قال لإلياس:

خُذْ أى الجزئين تريد.

تناول إلياس جزءاً وبينما كان يأكله قال فى نفسه:

هذا ما قالت له لى أمى، فهذا الشاب جديرٌ بالإطمئنان إليه.

أعجب كل منهما بالآخر وقررا السير والسفر سوياً.

وصل الشابان بعد أيام إلى مشارف مدينة، فقال الشاب لإلياس:

يا أخى، أنا لى شرط قبل أن أدخل معك هذه المدينة وهو أن نقسم سوياً كل ما يقع تحت أيدينا فى المدينة تحت شجرة الرمان هذه، كما حدث مع التفاحة التى اقتسمناها سوياً، هل توافق على هذا الشرط؟.

قال إلیاس : موافق.

قال الشاب: فلتقسم إذاً.

أقسم إلیاس، وأقسم الشاب بعده ثم تصافحا وتعاهدا على ذلك.

دخلوا المدينة واتخذوا لهما منزلاً، أكلا وشربا وتسامرا وعندما حان وقت النوم قال الشاب لإلیاس:

يا أخى! عندما تستيقظ من النوم فى الصباح فقد لا ترانى، فسأذهب مبكراً إلى عملى، وأنت أيضاً، إن كان لك عمل فاذهب إليه.

قال إلیاس: أنا لا أعرف أى عمل.

قال له صديقه:

حسناً، إذا استمع لى جيداً، عندما تسيقظ فى الصباح إذهب إلى ملك هذه المدينة وقل له: أنا طبيبٌ وقد سمعت أن إبنككم بكماء وأنا أستطيع فك عقدة لسانها.

وسوف يقول لك:

إرحم شبابك، لأنك إن لم تستطع إثبات إدّعاءك فسأمر بإعدامك.

فلا تخف وقل له: قبلت

سيعقد لك على إبنته، وبعد ذلك سيقول لك:

لو نطقت إبنتى فسأعطيك نصف ثروتى أيضاً، لكن إن لم تستطع علاجها فسأقتلك.

لا تخف واقبل العرض، سيأخذك الملك بصحبة وزيره إلى ابنته التى تعيش بمفردها فى غرفة زجاجية، والملك يخفى هذا السر عن الجميع ما عدا الوزير؛ وعندما تدخل الغرفة سترى هناك مصباحاً مصنوع من الذهب، فقل لذاك

المصباح: السلام عليكم يا مصباح الملك.

وسوف يرد المصباح عليك.

ثم بعد ذلك قل له:

يا مصباح الملك! إننى قد أتيت برفقة ملك المملكة ووزيره لزيارتكم فقصّ علينا

قصة شيقة؛ وبعد ذلك عليك أن تصمت وتستمع، سيتكلم المصباح ويحكى

الموضوع كله وستفهم كل شئ، ثم اقبل كل ما يقوله لك الملك،

ونلتقى هنا - فى المنزل- بعد غروب الشمس.

استيقظ إلياس من نومه فى الصباح ولم يجد صديقه فنهض وغسل وجهه

ورأسه وتناول طعام إفطاره وانتعل حذاءه ولبس ملابسه وخرج من المنزل

متوكلا على الله، ومشى رويداً رويداً متجها صوب البلاط الملكى،

وعندما وصل إلى هناك شاهد خيوط أشعة الشمس الذهبية الجديدة تطل من

خلف الجبال من الناحية الشرقية للقصر وقال لحارس القصر:

أنا طبيب وقد أتيت من بلاد بعيدة لأقوم بواجبى تجاه الملك.

أخبر الحارس الملك فسمح له بالدخول، فقدم إلياس التحية الواجبة للملك ثم

قال: يا قبلة العالم! أنا طبيب، وأعرف السر الذى تخفونه عن الناس، فأنا

أستطيع معالجة إبتكم وإعادة النطق لها.

كان الملك يصغى إلى إلياس أثناء حديثه ويتفحصه بدقة، فأعجب بأسلوبه وكلام

وقال له:

يا بُنى! أنت لازلت شاباً ومفعماً بالفتوة، وقد جاء إلى هنا من أنحاء البلاد أطباء

متخصصون فى هذا المرض، وعندما فشلوا فى علاج إبتى قُطعت رؤوسهم؛

فإن استطعت معالجة إبتى فيأذن الله تعالى وطبقاً للتقاليد والعادات المتوارثة

سأعقد لك عليها، وأعطيك نصف أملاكى، وأسمح لك بالذهاب إلى أى مكان

تريد؛ أما إذا لم تستطع معالجتها فسأقتلك فى الحال، أتقبل هذا الشرط؟

قال إلیاس: نعم، قبلت.

نهض الملك والوزير وأخذاً معهما إلیاس إلى الحجرة الزجاجة، وعندما دخل إلیاس الغرفة ألقى السلام على المصباح الذهبی.

رد المصباح كآدمی وقال:

وعلیکم السلام یا الیاس، أهلاً وسهلاً، حضورك سارّ.

بُهِت الملك والوزير لما رأوا، لكن لم يتجرأ أىّ منهما أن ینطق بكلمة.

نظر الیاس ناحية الغرفة الزجاجة فرأى فتاة جميلة، بل أجمل من زلیخة زوجة یوسف الکنعانی؛ فاتجه مرة أخرى إلى المصباح وقال له:

أيها الملك المرشد! إننى قد جئتُ إليك ضيفاً مع ملكك ووزیره، لى عندك طلب، وأرجو أن تنفذه لى.

قال المصباح: أنا كنتُ معدن داخل أحجار فاستخرجنى العمال وصنع الأسطی منى مصباحاً؛ قل لى، أى طلب لك عندى لأرى؟؛

لكن لأن لك عندى طلب، فسأحكى لكم حكاية كنتُ قد سمعتها من الناس. فى يوم من الأيام، فى بلاد بعيدة، كان یعیش أخوين وكان لأحدهما ولد، والآخر لديه ابنة.

كَبُر الأولاد، فقام والديهما بخطبة البنت للولد؛

كان الولد والبنت يُحبون بعضهما حباً جما؛ كان الولد إسمه "أحمد".

أصيب والد أحمد بمرض عضال غیر قابل للشفاء، فباع كل أملاكه وممتلكاته لسداد نفقات العلاج، لكن لم یتعافى من المرض، وفى النهاية أصيب بالعمى؛ ولأن والد أحمد كان فقيراً، قام عم أحمد بإلغاء الاتفاق الذى تم بينه وبين أخيه، وزوَّج ابنته من أحد تجار المدينة الأغنياء.

لمدة سبعة أيام بلياليها، علّقت الزينات والأنوار وأقيمت الإحتفالات.

فى الليلة السابعة- ليلة الزفاف- قاموا بزَفَّ العروس، فلاحظ العريس أن دموع

العروس تسيل على وجنتيها كماءٍ منهمرٍ فسألها:

ما الذى حدث هكذا فجأة يا عروستى؟!

لماذا فى مثل هذه الليلة التى يجب أن تكونين فيها سعيدة ومسرور،
تبكين هكذا؟.

قالت العروس:

اسمع أيها الفتى العزيز! تأكد أننى لن أكون لك زوجة حسنة،
لأننى أحب أحمد، ابن عمى مدى الحياة وهو أيضاً يحبنى.

قال الفتى:

فى هذه الحالة لا أملك من الأمر إلا أن أطلقك، وتستطيعين أن تذهبي إلى بيت
ابن عمك الآن بملابس الزفاف هذه.

فرحت الفتاة بشدة، وأخذت تدعو للشاب وتشكره ثم ودّعته وانطلقت فى
طريقها.

فى المساء، خرج أحمد من بيته وانتحى جانباً وأخذ يبكى وينتحب،
وعند منتصف الليل أراد أن ينتحر، لكن قبل أن يمد يده ليقتل نفسه قرر أن
يتجول فى المدينة.

كان والى المدينة قد أصدر أمراً بأن يقبضوا على كل من يجدونه خارج بيته
بعد منتصف الليل، لذلك كان رجال دورية الليل يقبضون على كل من يرونه فى
الشارع أو السوق ويضعونه فى غرفة الحجز، ثم فى الصباح يعرضونه على
الوالى.

قبض الحرس على الفتاة، عندما كانت ذاهبة إلى بيت عمها وهى فى حالةٍ من
السرور والفرح؛ فى نفس الوقت، وبينما كان أحمد عائداً إلى بيته بعد آخر
جولة له فى المدينة، قبض عليه أيضاً.

بعد أن طلق العريس عروسه تحت تأثير العاطفة،

كان قد هدأ قليلاً وفكّر فأحس بالندم وأسرع إلى الشارع فاعتُقل.

- سيعرفون حين يصبح الصباح، من منهم ستختاره الفتاة.

قال فرد الحرس: إنها لى؛ فأنا كنتُ أحرسها حتى الصباح،

والآن سأذهب بها إلى الوالى ليزوجها لى.

قال العريس:

أنا عقدتُ على هذه الفتاة، وأنفقت على العُرس أموال ضخمة، فهي زوجتى

رسمياً وسأعود بها الآن إلى منزلى.

قال أحمد:

إنها ابنة عمى، ونحن كنّا مخطوبين لبعضنا منذ الطفولة،

لذا سأعود بها إلى منزلى.

- سمعتم الآن القضية، هل بإمكانكم أن تُخمنوا لمن تكون الفتاة؟.

وفقاً لكل الأحكام ووجهة نظره وبناءً على القوانين الحكومية الجائرة،

قال الملك:

حسناً، من المعروف أن هذه الفتاة، بأمر الوالى هى من حق جندى الحرس.

قال الوزير، الذى هو أعقل وأكثر فهماً وادراكاً من الملك:

لا، جلالتم! أنا فى رأى لأنها زوجة رسمية للعريس فهى من حقه.

هنا فتحت ابنة الملك (البكماء) فمها وانطلق لسانها فقالت:

أمر والى المدينة يسرى على المريبين والمشتبه بهم، وللحارس أن يقبض على

المشبه بهم فقط، لكن ليس من حقه أن يؤذى أحداً، أو يستغلّه بالقوة لمصلحته

الشخصية؛ والعريس الذى تحمّل نفقات العُرس، له أن يحصل على كل ما أنفقه؛

فالحُبُّ لا يُنزع بالقوة ولا يُشتري بالمال؛ الفتاة من حق أحمد.

هنا قال إلياس للملك:

يا قبلة العالم! كما سمعتم، فلسان إبنتم قد حُلّت عُقدته، وأجابت الإجابة

الصحيحة على لُغز المصباح الزجاجي؛ والآن، هل ستوفون بما وعدتموني به؟
قال الملك - الذى هو ككل ملوك العالم ليس عنده وفاء لعهدٍ أو تحالف مع أى
أحد - :

يا بُنى! أنا لا أنكر عهداً، لكن عليك أن تعود إلى هنا غداً لتشجّع إبنتى على أن
تتكلم، وبعدها سأقسم أنا أموالى وأملاكى، وتأخذ أنت إبنتى معك إلى أى مكان
تريد.

وافق الياش وعاد إلى مسكنه، والتقى صديقه هناك وقص عليه كل ما حدث.
قال له صديقه:

غداً يا إلیاس، وانت فى طريقك إلى حجرة المصباح، سترى فى نفس الطريق
سجادة صغيرة، فكما تصاحبت اليوم مع المصباح عليك أن تتصاحب غداً مع
السجادة.

توجه الياش فى صباح اليوم التالى، مرة أخرى إلى قصر الملك؛ كان الملك
ووزيره فى انتظاره وذهب ثلاثتهم إلى الحجرة.

سلم الياش اليوم على السجادة فسمع كلمة "وعليك" فقال:

أيها السجادة الصغيرة الجميلة، احكى علينا اليوم حكاية نتعلم منها.
قالت السجادة:

يا إلیاس! أنا كنت صوفاً على ظهر الخراف، فقصّونى،

غزلونى، نسجونى، وإلى هنا احضرونى، وعلى الأرض وتحت الأقدام
وضعونى؛ فأى حكاية عندى لأقولها؟! لكنك الآن أتيت إلى هنا بصفتك ضيفاً،
سأعيد عليكم الحكاية التى سمعناها من الفتيات النسّاجات فى ركن من ورشة
النسيج.

فى يوم من أيام العصور البعيدة، إلتقى ثلاثة أفراد فى سفر، نجار، خياط،
وكيميائى؛ أخذوا طريقهم فى الصباح وقطعوا الصحارى والوديان، حتى وصلوا

وقت غروب الشمس عند غابة، وقرروا من شدة التعب أن يقضوا الليلة فى الغابة.

قال أحدهم:

أيها الإخوة! لو أن ثلاثتنا خُلد إلى النوم، قد كون فى هذه الغابة حيوانات متوحشة وقد تؤذينا، فلنقسم بيننا وقت الحراسة.

وافق الآخران وبدأوا فى إجراء القرعة بينهم، وجاء الدور الأول فى الحراسة على النجار، وبعده الخياط ثم الكيميائى.

ذهب الخياط والكيميائى إلى النوم.

قام النجار- للتغلب على النوم- بقطع خشبة من أخشاب الغابة وانشغل فى نحت صورة عليها لامرأة جميلة.

أيقظ النجار الخياط لاستلام نوبة الحراسة ونام هو.

فرك الخياط عينيه ونظر حوله، فلفت انتباهه الصورة الجذابة التى كان النجار قد نحتها من الخشبة، وقال فى نفسه لكى أتغلب على نومى أنشغل بتفصيل فستان لهذه المنحوتة؛ فقام تحت ضوء القمر بتفصيل وخياطة فستان مناسب وجميل وألبسه للتمثال الخشبى؛ وعندما انتهت نوبة حراسته أيقظ الكيميائى وذهب هو للنوم.

تثاءب الكيميائى وفرك عينيه، وألقى نظرة هنا ونظرة هناك فلفت انتباهه شكل إنسان غير حى، لكنه مصنوع من الخشب، فعرف أن النجار قد صنعه، والخياط خاط له الملابس.

أعدَّ الكيميائى دواءً للتمثال فأعاد له الحياة.

فى الصباح اختلف ثلاثتهم على من حق امتلاك تلك الفتاة.

قال النجار:

أنا الذى صنعتها، فهى من حقى.

قال الخياط:

أنا الذى صنعت لها ملابسها، فهى من حقى.

قال الكيميائى:

أنا الذى صنعت لها الدواءوبه أعدتها إلى الحياة، فهى من حقى.

- الآن قولوا لنا مَنْ مِنْ حقه امتلاك هذه الفتاة؟.

قال الملك:

حسناً، هذا أمر محسوم فقلب الفتاة لمن تريده هى.

قال الوزير: فى رأى، أن الأحقُّ بها هو النجار، لأنه هو الذى صنعها.

أطلقت ابنة الملك قهقهة طويلة وقالت:

أبى العزيز! إن بين هذه الحكاية والقصة التى قصَّها علينا المصباح بالأمس فرقٌ كبير؛ ففتاة الأمس كانت إنساناً ولم تُصنع على يد إنسان، أما فتاة اليوم فهى من صنع نجار؛ لذلك تكون التكاليف من حق الذى عملها، فمن حق كُلاً من النجار والخياط أن يحصلوا على أجر المشقة لما تكبدوه جرَّاء العمل؛ ولأن الكيميائى هو الذى قام بالعمل الأهم، فقد أعاد إليها الحياة، فتكون الفتاة من حقه هو.

استحسن الملك والوزير فهم ودكاء الفتاة.

قال إلياس:

يا قبلة العالم! هل ستوفون الآن بما وعدتمونى به؟.

عندما رأى الملك أن لسان ابنته إنفكَّ، وكالمثل "انطلق كالببل" ، لم يطاوعه قلبه فى أن يزوج ابنته من زوج شاب مجهول النسب وغير معروف الهوية، وكان يأمل فى أن يزوجها من أحد أمراء البلاد الأغنياء؛ لذا طاوعه قلبه فى أن يستخدم الحيل والمراوغات ليخلف عهده الذى وعده إيَّاه، وبناءً على هذا اختلق عُذراً وقال له:

غداً آخر مرة تُشجّع فيها ابنتى على الكلام، وبعدها سأضع يدك فى يدها وتأخذها إلى أى مكان تريد.

عاد إلياس إلى بيته وحكى لصديقه عن كل ما حدث اليوم.
قال له صديقه:

عليك أن تذهب غداً، وعندما تدخل إلى غرفة الفتاة أنظر إلى عقدها الملقى على السجادة وألقى عليه السلام واطلب منه أن تتصاحباً؛ فى النهاية سيقول الملك: هل سترافقينى يا ابنتى؟! أنت فوراً تقول:

أنا ابن فلان الملك؛ سأخذ ابنتكم معى إلى قصر أبى وأعالجها، أعلمها الكلام بصفة عامة، بعد ذلك نأتى لزيارتكم؛ وفى ذلك الوقت نتحدث معها كما تشاء. فى الغد حسب الاتفاق، ذهب كلاً من إلياس والملك والوزير إلى غرفة الفتاة؛ ألقى إلياس السلام على العُقد وسمع الرد، فقال:
أيها العُقد الجميل البرّاق، قصّ علينا ما تعرفه.
قال العُقد:

أنا كنتُ فى قاع بحر؛ بحث الناس عَنى وأخرجونى؛ أيدى ماهر وعيون حادة البصر وعقل لصانع مُفكّر صنعونى؛ بأموال خزانة الملك أحضرونى وفى عُنق السيدة الأميرة علقونى. أى فكرة أخرى عندى أقولها لكم؟ هذه القصة المؤثر عن صناعتى كنت قد سمعتها، لكن الآن أقص عليكم قصة من عندى.
فى يوم من من أيام زمان كان لملك ثلاثة أولاد، وكان الأخ الأكبر لهذا الملك وزيره أيضاً، وكان لديه ابنة جميلة وذكية، وكان كل واحد من أولاد الملك يحب ابنة عمه هذه، وعندما علم الملك بهذا الأمر استدعى الوزير وقال له:
يا أخى! إن كل واحد من أبنائى الثلاثة يحب ابنتك الوحيدة، وأخشى أن تكون ابنتك سبباً فى زرع الكراهية والعداوة بين أبنائى؛ فإذا لم تحل هذه المشكلة سأقتلك أنت وابنتك.

فى الحال قص الوزير على ابنته ما حدث بينه وبين الملك، فقالت الفتاة: يا أبى! استأذن لى من عمى، فأنا أستطيع حل هذه المشكلة.

استأذن الوزير من الملك، فطلبت الفتاة أولاد عمها عندها وقالت لهم: يا أولاد عمى! أنا أعرف أن كل واحد منكم يحبنى لكن الواجب يحتم أن أتزوج واحد منك فقط؛ فأنا أحب كل واحد منكم بقدر، لكن حتى الآن ما كنت لأختار أى واحد منكم للحياة معى؛ وباعتبار أن المال له الأولوية فكل واحد منكم يذهب إلى بلد ويعمل ويعود بعد ثلاث سنوات، ومن سيأتى منكم بمال أكثر من أخويه الآخرين فسأختاره زوجاً لى.

أخذ الإخوة معهم مالاً وشقوا طريقهم فذهبو وساروا وساروا، حتى خرجوا من مملكة أبيهم؛ فقال الأخ الأكبر:

يا إخوتى! نحن إخوة أشقاء، وإذا كنّا نحن الثلاثة نحب الفتاة الوحيدة فإن هذا سيزرع بيننا العداوة والبغضاء، كذلك غير واقعى أن نعمل نحن الثلاثة فى مدينة واحدة، وبما أننا وصلنا الآن إلى مفترق ثلاث طرق فعلينا إجراء قرعة لياخذ كل منّا طريقاً يسير فيه.

إستحسن الأخوين الآخرين اقتراح أخيهما الأكبر واختاروا طرقهم، وقبل كل منهم الآخر وودعوا بعضهم بعضاً وأخذ كل واحد منهم طريق يؤدى إلى مدينة.

عمل أحد الأخوة خادماً لرئيس أطباء المدينة التى وصل إليها، وعمل الثانى فى مدينة أخرى خادماً لمُنجم الملك، أما الثالث فلم يعثر على عمل، وأخذ يتنقل من مدينة إلى أخرى حتى مرت السنوات الثلاث وما عمل، ولا جلب شيئاً؛ سار ذات يوم يائساً فى طريق فى الصحراء فرأى ثلاث جبال فوصل إلى نقطة وانفصل عنها، فرأى عند أقرب نقطة وصل إليها ثلاث عفاريت كبار كانوا متلاصقين؛ وعندما اقترب من العفاريت شعروا به وقالوا:

إن رائحة بنى آدم قادم، فيستطيع البنى آدم هذا أن يفك التصاقنا ويفصلنا عن

بعضنا.

صاحت العفاريت وقالت:

يا بنى آدم! نحن ثلاثة إخوة، وبقي معنا من أبينا طعام وسجادة صغيرة وتاج؛

إن تفتح السُفرة تحصل على كل ما تريد من طعام،

وإن تجلس على السجادة تأخذك إلى أى مكان فى العالم تريد،

وإن تضع التاج على رأسك تتخفى ولا يراك أحد.

قال الأمير: ضعوا السُفرة والسجادة والتاج على الأرض.

أطاع العفاريت كلام الآدمى؛ أخذ الأمير قبعة كل واحد من العفاريت الثلاثة

وألقى بها من أعلى الجبل إلى أسفل الوادى؛ دارت القبعات حول نفسها وسقطت

أسفل الوادى، فقال الفتى للعفاريت:

انزلوا أسفل الوادى واحضروا قبعاتكم، وأول واحد منكم سيصل قبل الآخرين -

أى أسرع منهم- سأعطيه السُفرة ومن يصل بعده سأعطيه السجادة أما الثالث

فسيكون صاحب التاج.

أسرع العفاريت هبوطاً فى اتجاه الوادى، وفى الحال وضع الأمير التاج على

رأسه وأخذ السُفرة بين أحضانه وجلس على السجادة وقال لها:

أوصلينى إلى المدينة التى يقيم فيها أخواى.

بدأت السجادة فى الطيران وأوصلته إلى المدينة التى فيها أحد أخويه.

تجول الفتى فى المدينة بحثاً عن أخيه فوجده، وذهبا سوياً للبحث عن الأخ

الثالث؛ جلس ثلاثتهم وتحادثوا.

قال أحدهم:

نحن ثلاثة إخوة، ومن أجل فتاة أصبحنا أسرى وتائهين؛ فيا ليتنا نعرف هل

صحيح أن ابنة عمنا تنتظرنا أم أنها قد تزوجت؟.

قال الذى عمل خادماً لضارب الرمل:

أنا تعلمت التنبؤ عن طريق الرمل جيداً فى مدت السنوات الثلاث هذه، ويمكننى الآن التنبؤ بما آلت إليه الأمور هناك.

ألقى الرمل وتغير لون وجهه، فسأله الأخوين عن سبب اضطرابه؛ فقال الذى ألقى الرمل:

أيها الإخوة! لن يصل أى منّا إلى مراد قلبه، إن ابنة عمنا طريحة الفراش وتلفظ أنفاسها الأخيرة.

قال الأخ الذى عمل مع طبيب المدينة: آخ.. لو أنا كنت معها الآن لأعطيها دواءً لكى تشفى من مرضها وتنجو من الموت.

قال الأخ الثالث:

هيا اجلسوا على هذه السجادة، اغلقوا عيونكم وافتحوها، سنكون فى مدينتنا وفى بيت عمنا وعند سرير ابنة عمنا.

جلس الثلاثة على السجادة وأغلق إثنان منهم عيونهما، وقال الثالث شيئاً ففتحا عيونهما فرأوا بيت الوزير.

ذهب الأخ مساعد الطبيب فوراً إلى الفتاة وسقاها الدواء فبرأت من مرضها، وبدأ الإخوة فى الشجار والخصومة.

قال أحدهم:

أنا الذى ألقى الرمل وتنبأت بمرضها، إذاً أنا الأولى بها.

قال الآخر:

أنا الذى أوصلتكم من بعيد إلى هنا، يجب عليها أن تتزوجنى أنا.

قال الثالث:

لولا علاجى لها ما برأت ولا نجت من الموت، أنا الذى يحق لى أن أتزوجها.

- بهذه الجملة أنهى العُقد جملته ثم قال:

يا إياس! دع الملك والوزير يقولان من من الثلاثة له الحق.

الملك الذى ظن أن عقله وخبرته أفضل من الجميع تسرّع وقال:
الفتاة من حقّ الطبيب.

قال الوزير: لا يا سيدى! لولا ضارب الرمل ما عرفوا بخبر مرض الفتاة، وما استطاع الطبيب أن يعالجها؛ إذا الفتاة لضارب الرمل.
نظرت ابنة الملك إلى أبيها وقالت:

يا أبى العزيز! هذا الطبيب مثل كيميائى الأمس، لم يقدّر بعمل سوى أنه جهّز العلاج وأعطاه إياه، فالثلاثة ساعدوا فى علاج الفتاة، وأى واحدٍ منهم أحضر أموالاً وثروة أكثر من غيره فهو أحقّ بالزواج منها؛ فالأخ الذى أحضر السفارة والسجادة والتاج هو أكثر ثروة من الجميع، وبناءً على ذلك يكون هو الأولى بالزواج منها.

قال الياص: ما قولكم يا قبلة العالم؟.

قال الملك:

يا بُنى! أنا أريد أن تتكلم ابنتى معى أنا.

قال الياص:

أيها الملك! مع أننى طبيب، لكنى ابن فلان الملك، الآن أنا أتعاهد معكم على أن آخذها معى إلى قصر أبى، وأعالجها حتى تشفى من مرضها تماماً، وأقوم بتعليمها أدب الحديث والتقاليد والمراسم، ثم نأتى بعد ذلك لزيارتكم؛ حتى ذلك الوقت سيطاوعها قلبها على التحدث معكم، أما الآن فحديثها معك ليس فيه فائدة لها.

وافق الملك وأعطاه نصف ثروته وممتلكاته ووضع يد ابنته فى يده وودعهم؛ أخذاً طريقهما حتى وصلا عند شجرة الرمان التى اتفق عندها مع صديقه من قبل؛ وهناك التقى صديقه، فقال له الشاب:

حسناً يا إياص! حان الوقت الذى نوف فيه بالعهد الذى قطعناه سوياً.

قال إلیاس:

أنا أوفى بالعهد.

قسّم إلیاس كل ما حصل علیه من الملك بینه وبين صديقه نصفین، ثم قال له:
خُذْ أیّ ما تريد منهما.

قال صديقه:

يا أخى! كان الاتفاق بیننا أن نُقسّم كل ما يصل إلى أيدينا إلى نصفین، فاقسمه
بالعدل.

إنزعج إلیاس من كلام صديقه وقال له:

يا صديقى العزيز! وهل يُقسّم المرء نصفین؟، خُذْ كل هذه الأموال لك واترك
الفتاة لى.

رفض الشاب؛ فأعطى إلیاس كل الأموال والفتاة للشاب؛ فرفض الشاب أيضاً؛
فسار إلیاس بعيداً وصاح:

إن ذنبها فى رقبتك، هيا اقسّمها نصفین.

سحب الشاب سيفه من غمده ورفعہ عالياً، فصرخت الفتاة من الرعب فخرج
من فمها ثعبان كبير، فأغشى عليها وسقطت على الأرض.

سقاها الشاب دواءً فأفاقَت وفتحت عينيها، وانطلق لسانها كالبلبل.

قال الشاب لإلیاس:

يا أخى! أنا لست فى حاجة إلى المال، وليس لى رغبة فى الفتاة التى تحبها، فأنا
إبن ملك البحار الذى وصف الطبيب شُرب دمه وأكل لحمه كدواء لعلاج مرض
أبيك؛ انت قمت باصطيادى من البحر ثم أطلقت سراحى، فأردت بهذا العمل أن
أقدم لك معروفاً وأعوضك؛ والأيام التى ذهبتَ أنت فيها إلى بيت الملك، كنتُ أنا
الشخص الذى طرح الموضوعات بدلاً من المصباح، والسجادة، والعقد؛
وبالتأكيد أنا الذى تكلمتُ بدلاً عن الفتاة.

اندهش إلياس وزوجته وصمتوا، وأصغوا لحديثه بالكامل.
أخرج الشاب لفافة من جيبه وقال لإلياس: تعال! هذا دواء علاج مرض أبيك؛
فإذا أردت فاذهب إلى بيت أبيك، وإذا لم ترغب فاذهب إلى بيت والد زوجتك؛
على كل حال يجب على أن أعود مرة أخرى؛ وداعاً.
تعانقا وقبلًا بعضهما بعضاً، وشدَّ كل منهما على يد الآخر ومن ثمَّ افترقا؛ فعاد
إلياس وزوجته إلى منزل والد زوجته، وتحدث الجميع هناك مع الفتاة وسمعوا
منها وسعدوا جميعاً لفك عُقدة لسانها.
بعد قضاء عدة أيام، قامت الزوجة وزوجها الشاب بوداعهم وسلكا طريقهما إلى
ديار والد إلياس...
أعطى إلياس لوالده الدواء الذي كان قد أعطاه له ابن ملك البحار؛
شرب الملك الدواء فبرأ من مرضه وعادت له صحته وعافيته.
أكلوا وشربوا وقضوا أياماً في سعادةٍ وسرور.
أنتم أيضاً، كلوا واشربوا وحققوا آمالكم وأمانكم.

* * * * *

كان وما كان، تحت السماء لا إله إلا الله.

كان فى العصور القديمة ملك ظالم وقاس اسمه "أسد".

فى يوم من الأيام ذهب الملك برفقة الوزير وبعضاً من أصدقاءه إلى رحلة صيد، فمرّوا فى طريقهم على بيت راعى بقر؛ كانت ابنة الراعى جميلة جداً وتتمتع بنصيب كبير من الذكاء ورجاحة العقل والفراسة.

كانت الفتاة منشغلة فى التنظيف حول البيت حين رآها الملك وتعجب من جمالها، وعلى رأى المثل القائل: عيناها برّاقة كعيون البقر.

أحب الملك ابنة راعى البقر كما لم يحب من قبل، لكنه لم يقل لأى أحد شيئاً عن ذلك، وذهبوا إلى مكان الصيد وقضوا وقتاً فى سعادة وسرور وصيد. بعد الصيد واللهو والسعادة نادى الملك على الوزير وسأله: هل رأيت تلك الفتاة التى كانت منشغلة فى التنظيف حول البيت؟.

رد الوزير:

نعم فداك! كانت فتاة جميلة جداً.

سأله الملك مرة أخرى:

إذا اردت أنا أن أتعرف على الفتاة فما الذى يجب أن أفعل؟.

أجابه الوزير:

عادى جداً، عندما نصل إلى بيت الراعى عليكم أن تقودوا أحصنتكم على مهل، وأنا سأذهب إلى بيت الراعى وأبحث وأسأل عنها.

استحسن الملك هذه الفكرة وقال له:

أيها الوزير! أنا أريد أن أأخذ الفتاة إلى جناح النساء، ثم اسألها ابنة من تكون وتقدم لخطبتها أيضاً.

تبسم الوزير وقال:

يا صاحب الجلالة، أنا أرى أن نؤجل موضوع الخطبة لما بعد.

غضب الملك وقال له: عليك أن تنفذ كل ما أطلبه منك، ومن ضمن ذلك أن

تتقصى عن الفتاة وتخطبها أيضاً.

كان الوزير يعرف خُلق وطبع الملك، لذلك لم يزد حرف.

قادوا الأحصنة حتى وصلوا بيت الراعى؛ ذهب الوزير إلى البيت وطرق الباب،

فكان الشخص الذى فتح الباب "جُل اندام"، أى هى نفسها الفتاة التى كان الملك

قد رآها ووقع فى حبها.

سأل الوزير الفتاة:

هل فى هذا البيت رجل أم لا؟.

قالت جُل اندام:

أنا نفسى رجل، انزل من الحصان.

سألها الوزير:

يا ابنتى العزيزة! ابنة من أنت؟.

: ابنة راعى البقر.

: أين أبوك؟.

: ذهب إلى المرعى.

: عندما يأتى أبوكِ قولى له أن الوزير جاء إلى هنا ويقول لك انتظره فى البيت

وقت الغروب ليأتى ويتحدث معكِ.

ارتعدت جُل اندام وكاد قلبها ينخلع حين سمعت إسم الوزير،

وقالت فى نفسها:

يا الهى! ما الذى يحدث؟ لا يأتى الوزير بنفسه بدون سبب.

سحب الوزير حصان وذهب إلى الملك وقال له:

يا قبلة العالم! تلك الفتاة الجميلة هي ابنة الراعى.

سأله الملك: هل خطبتها؟.

أجابه الوزير:

فذاك! لم يكن فى المنزل غيرها؛ وقلت لها أن تخبر أبوها أن ينتظرنى وقت المغرب وسأذهب وأتحدث معه.

غضب الملك - الذى تعود دائماً أن يكون كل شئ جاهز من أجله وأن يتم مباشرة بدون تباطؤ، والآن يسمع أنه يجب عليه أن يصبر حتى يعود راعى البقر إلى بيته عند غروب الشمس- وقال:

إنسى كل كلامك هذا، والآن عليك أن تذهب إليها وقت الغروب وتحضرها بالقوة.

قال الوزير: من عينى.

عند الغروب ذهب الوزير إلى بيت الراعى؛ كان الراعى رجل طيب ومضياف كريم واستقبل الوزير بحرارة وعزّة واحترام وقال له:

أهلاً وسهلاً بك يا حضرة الوزير، أضأت بيتنا.

بعد مجاملات الإستقبال والتعارف صعد الوزير إلى الغرفة وجلس على مرتبة ثم قال: الهدف من زيارتى هو أن ملككم عزم أن يحفكم بعطفه ورعايته ويريد أن يأخذ ابنتكم عنده فى جناح الحريم، فانهض وقل لها أن تستعد حتى أصطحبها معى إلى قصر الملك.

ضحك الراعى وقال:

الله يرضى عن الملك الذى تذكرنا وشمّلنا بلطفه، ابنتى ابنة راعى بقر وليست مناسبة لجناح حريم الملك.

قال الوزير:

أعجب الملك بابنتكم، وسواء رضيت أم لم ترضى سيأخذها الملك إلى جناحه،

فإذا وافقت فلترسلها معى إلى هناك.

قال الراعى:

إذا أخذتها بالقوة فلن أتكلم، لكن لن أرسل ابنتى معك برغبتي ورضاي إلى جناح حريم الملك.

المهم تكلم الوزير وهدد، ولم يستسلم الراعى، وعاد الوزير إلى الملك ووضح له ما جرى بينه وبين الراعى.

غضب الملك بشدة وصاح:

ألم أقل لك أن تأتي بها بالقوة؟.

وقف الوزير متملقاً ويده على صدره وقال:

يا قبلة العالم! غدا سيأخذ الراعى أبقاره إلى المرعى ونذهب نحن إلى بيته ونأتى بابنته بالقوة.

انتظر الملك بصبر أن يأتى الغد، وفى الصباح الباكر ذهب الوزير بصحبة مجموعة من فرسان البلاط إلى بيت الراعى وانتظروا حتى غادر الراعى بيته إلى المرعى وأصبحت الابنة وزوجة الراعى وحدهما فى البيت، فأمر الوزير أن تكلم الفتاة بمنديل ولو رفضت أم الفتاة وقاومت تُضرب ويأتوا بالفتاة إلى الملك بالقوة.

هناك رأت جل اندام جناح الحريم مكدس بالفتيات الشابات الجميلات، وعرفت بسرعة أن معظمهن قد أحضروا إلى هنا بالقوة.

فعلا، لاتستطيع عمل شئ سوى السكوت وتحمل الظلم، وعندما أخذوها من بيتها بالقوة كانت قد قالت لأمها أن تسكت ولا تتصرف بعصبية أو تتسرع فتزيد الأمور خراباً.

يقولون:

فى القصص والروايات الوقت يمر بسرعة.

وفى قصتنا هذه أيضاً مرّ عام بسرعة، وأنجبت جُل اندام من أسد شاه ولداً وأسموه أبو القاسم.

ما كان أسد شاه يريد أن تنجب له ابنة الراعى ابنأ؛ لذلك فقط لم تفرح جُل اندام بسماع خبر ولادة ابن، بل تضايقت كثيراً وحزنت.

على أية حال يالها من سعادةٍ للملك ويا له من حزن لزوجته بالمولود.

سَلَّموا الرضيع للمرضعة ومرّ بمختلف سنوات الطفولة حتى وصل إلى سن السابعة، وفى هذه الأثناء أرسلوا به إلى الكُتّاب،

وفى سن الثامنة عشر كان قد تعلّم القراءة والكتابة وكل العلوم التى علموها له فى الكُتّاب فى ذاك الوقت.

بالتزامن مع تعلّم العلوم قام بتنمية جسده بالرياضة،

والآن أصبح شاب عاقل جداً ومثقف وطويل القامة ورياضى،

فأحبه الملك أكثر من جميع أولاده الآخرين.

ذات يوم استدعى الملك أبو القاسم عنده وقال له:

يا بُنى! أنت الآن شاب عالم ويافع وقد حان الوقت لأن تقوم بتكوين بيت وأسرة لك، أنا أريد أن أخطب لك ابنة الوزير، فما رأيك؟.

استسمح أبو القاسم والده قبل أن يبدي رأيه، وذهب إلى أمّه وقال لها: أمى

العزيزة! قال لى أبى أنه يريد أن يخطب لى ابنة الوزير، ولا أعرف كيف أجيبه، فأنا فى النهاية لا أنوى الزواج.

قالت جُل اندام هانم:

أجبه، دعه يذهب ليخطب لك ابنة الوزير، فلو كان الأمر بأيدينا ما كنت أنا نفسى زوجة أبىك.

لم يقتنع أبو القاسم بما سمعه من أمّه وخرج من عندها وأخذ طريقه إلى بيت جده، وعندما وصل إلى بيت راعى البقر حكى له عن كل ماحدث ثم سأله:

يا جدى!

ماذا على أن أفعل؟ أنا لا أريد الزواج من ابنة الوزير.

قال له الراعى:

تعمل ما هو حسناً جداً يا بُنى! فالملوك والوزراء والحاشية والأعيان والأشراف أصلاً أناس خسيسين، وبقدر ما تستطيع أن تبعد عن هذا الصنف من الناس يكون أفضل لك؛ أنا لى صديق راعى فقير ولديه ابنة جميلة وإذا كنت تريدها أذهب إلى صديقى هذا وأخطبها لك.

قال أبو القاسم:

يا جدى! غدا أردّ على أبى.

قال الراعى:

لا تخف يا بُنى! فبقدر ما إن أباك رجل مستبد وظالم لكنه لن يؤذيك. ودّع أبو القاسم جده وعاد إلى بيته، ومن شدة الضيق والحزن لم يتناول طعام العشاء ونام حتى الصباح.

فى الصباح الباكر صاح عليه والده وقال له:

يا بُنى! أريد أن أصدر أمراً بأن يرتبوا لحفل العقد والعُرس الملكى، فإذهب إلى والدتك وأخبرها أن تستعد.

مع أن أبا القاسم قد حسم الأمر فى نفسه إلا أن حياؤه منعه من أن يقول الصراحة والصدق، فطأطأ رأسه وقال:

أبى... أبى العزيز!.. .

أطلق أسد شاه ضحكة وقال:

آآآ...! أتخجل؟ عموماً أنا أرسلت خادمة إلى أمك لتخبرها.

نحى أبو القاسم الحياء جانباً وقال:

لا يا أبى! أنا لم أخجل؛ أنا لا أريد أن أتزوج.

ضاعت الإبتسامة من على شفتى الملك وصاح بغضب:
لماذا لا تريد أن تتزوج، ما هذه الجرأة التى جعلتك تتكلم على كلامى؟.
قال أبو القاسم:

إذا كنتم قد قررتم تزويجى، فاطلبوا لى ابنة راعى الغنم .
ارتعد الملك من شدة الغضب واحمرّت عيناه ككأس من الدم الأحمر، ودقّ
الأرض بقدمه بشدةٍ وصاح:

أخرجوا هذا الولد وأمه من قصرى وبلاطى بأسرع ما يمكن.
أخرجوا أبو القاسم وأمه من القصر فى الحال، فأصلح أبو القاسم قبو خرب
ومهجور فى أطراف المدينة ومكث مع أمّه فيه.
ذهب راعى البقر بعد ثلاثة أيام إلى بيت صديقه راعى الغنم وخطب ريحان هانم
لأبو القاسم، وفى اليوم التالى أخذوا ريحان هانم مع فرقة إنشاد وطرب إلى
حيث يقيم أبو القاسم وأمه.

قضى هذان العروسان الجدد شهر العسل فى هذا البيت الخرب والمهجور.
لنرى ماذا يفعل أسد شاه فى بلاط السلطنة الموقر.
عندما رأى أسد شاه أن ابنه لم يحضر للزواج من ابنة الوزير وتزوج من ابنة
راعى الغنم شعر أن كرامته جُرحت، فتحول غضبه إلى عداوة لأبى القاسم،
ورأى ذات ليلة كابوس مخيف فاستيقظ من نومه مرعوباً، فاستدعوا له
المنجّمين وضاربى الرمل وقارئى الفنجان، ومن شدة الخوف تغير لون وجهه
وتصبب العرق من رأسه ووجهه، وقال بصوت مرتجف:
أنا رأيت هذه الليلة فى منامى أن ناراً تخرج بشدةٍ من فم زوجة أبى القاسم مثل
الرعد والبرق، وصرخات النساء فى كل بلاطى.

عبّر كل من المنجّمين وضاربى الرمل وقارئى الفنجان رؤيا الملك بشكل مختلف
عن بعضهم البعض، وفى النهاية عبّر عجوز من ضاربى الرمل بكلامٍ مختلف،

إذ قال: أيها الملك العظيم! هذا ما تقوله الكواكب والنجوم،
أنّ زوجة ابنك أبو القاسم ستضع مولوداً سيقتلك ويستولى على عرشك وتاجك.
قال الملك الذى كان يحترق فى نار الغضب:

أنا كنت أعرف من الأول أنّ وجودهم لن يعود علىّ بفائدة، بل أنا متأكد أنهم
سيلحقون بى بمصيبة.

ارتدى أسد شاه الرداء الأحمر، وصعد إلى المنصة واتكأ على أريكة ضخمة
وحكم على أن يأتوا بأبى القاسم، فأسرع رجال الأمن إلى بيت أبو القاسم
وأحضروه.

دقّ الملك الأرض بقدمه وصاح:
أيها الجلّاد!

حضر الجلّاد بسرعة، وعندما رأى الملك غاضب بشدة وقف على خلاف المعتاد
وبدلاً من أداء التحية قال وهو يرتعد:
يا قبلة العالم! أنا حضرت وكل من تأمرنى بقتله سأفصل رقبتة كالدجاجة.
قال الملك:

اقطع رأس أبو القاسم هذا كما تقطع رأس الحيوان.
قال أبو القاسم:

أبى يا صاحب التاج ! إرحمنى، ما هو الذنب الذى به تأمر بقتلى؟ قال الملك
الذى كانت عيناه تدمع دماً وفمه يزبد ويرغى:
ذنبك كبير؛ أيها الجلّاد أطع الأمر وأسرع.

أمسك الجلّاد برقبة أبو القاسم لكى يضعها تحت سكين المقصلة وبإشارة له من
الوزير فهم أنه يجب أن يتمهل قليلاً، وفى نفس الوقت انحنى الوزير على قدمى
الملك ليتوسل إليه وقال:

أيها الملك المعظم! إذا قتلت ولدك بدون ذنب فسيظن كل الملوك والحكام فى

البلاد البعيدة والقريبة أنك ملك ظالم وقاس القلب، فاكظم غيظك وفكر قليلا وأعد النظر فى الأمر الذى أصدرته؛ فإذا كنت تريد تخويف ابنك ولا تريد له الحرية فاحبسه إلى الأبد حتى يهدأ بالك، فهو ككل المساجين لن يعيش طويلاً، وسيُدفن فى ركن من السجن، وحينها لن يرى الناس أن أبوه قد تلوثت يده بدمه.

غضبت ريحان هانم بشدة عند سماعها خبر حبس أبو القاسم وأخذت تبكى.

وُلد فى يوم معين وساعةٍ محددة، طفل جميل أطلقت عليه أمّه اسم " زمان ".

وضع جواسيس أسد شاه ريحان هانم تحت نظرهم، فأخبروه بولادة طفلها.

الملك الذى امتلأ قلبه حقداً على أبو القاسم وزوجته ولم يستطع أيضاً تحمّل رضيعهما، فأمر أحد جلاّديه وقال له:

إذهب بسرعة إلى بيت ريحان هانم واقتل طفلها وأحضر جثته إلى هنا.

قال الجلاّد وهو خائف يرتعد:

سرورٌ عظيم! ذاك الطفل البرئ، أى ذنبٍ كان قد ارتكبه لكى أقتله.

غضب الملك من جرأة ووقاحة الجلاّد وصاح فيه:

لم تكن لديك هذه الجرأة من قبل، أيها الحقير! عليك فقط تنفيذ ما أطلبه منك فوراً.

خرج الجلاّد المسكين من هناك وقد توقفت شفتاه من شدة الخوف، وأخذ طريقه إلى بيت ريحان هانم، فدخل البيت وأخذ الطفل من سريريه لينفذ فيه حكم الملك الظالم، فأمسكت الأم برقبة الجلاّد وسألته:

ما ذنب هذا الطفل البرئ لتأخذه؟.

أجابها الجلاّد:

إن الملك قد أصدر أمراً بقتله، فاسمحي لى، فأنا عبدٌ مأمور.

تعصبت ريحان هانم بشدة وصاحت:

ما هى الجريمة المرعبة التى رتكبها هذا الرضيع حتى يصدر أسد شاه أمراً

بقتله وأنت مأمور بتنفيذ أمره.

قال الجلّاد:

عليك أن تسألي الملك عن هذا الأمر، وقلت لك من قبل أنا ليس لى ذنب، بل أنا مأمور.

عندما رأت ريحان هانم أن الجلّاد مصمم، إنهمرت الدموع من عينيها بدون إرادتها، ووسط البكاء والنحيب توصلت للجلّاد:

مهلاً أيها الجلّاد! إرحمنى، فقد تألمت وتعذبت تسعة أشهر حتى أنجبته؛ وهذا الملك قد اعتقل أبوه منذ مدة وسجنه، والآن أملى الوحيد هو هذا الطفل. لم يأبه الجلّاد لا بدموع ريحان هانم التى كانت تسيل على وجنتيها، ولا بتضرعاتها كأم مكسورة الجناح.

أخذ الطفل وذهب به إلى المقابر وطوّق رقبة يديه ليخنقه والطفل يضحك، فتراخت يدي الجلّاد وفشل فى مهمته؛ إحتضن الطفل وتفحص وجهه الجميل وعيناه المشرقتان وسروره بين يديه وضعفه، لهذا أخذ يفكر، هل يتم مهمته أم يستجيب لنداء وجدانه؟.

التقى فى هذه الحالة المتأزمة على الطريق براعى غنم بيده عصاً، فسأله الراعى:

أيها الجلّاد! ماذا تفعل هنا؟ لعلك أتيت لتقطع رقاب الموتى!.

أجابه: لقد أمرنى الملك بأن أقتل هذا الطفل البرئ؛

وقد أتيتُ به إلى هنا لتنفيذ أمر الملك.

ضحك الراعى وقال:

عجباً! بعد أن انتهيت من الكبار حلّ الآن دور الصغار.

قال الجلّاد:

نعم، قلت أم لم تقل هذا ما يحدث!

أيها الراعى إن أسد شاه أمرنى أن أقتل هذا الطفل، لكن قلبى لا يطاوعنى أن أفعل هذا؛ ومن ناحية أخرى قال لى الملك أن أحضر الجثة لكى يراها ويتأكد، فإذا لم أطع أمره فسيزيل أهلى من على وجه الأرض، أنا بلا حيلة فقل لى ماذا أفعل؟.

قهرقه الراعى وقال:

يا عزيزى الأحمق! حل هذه المشكلة بسيط جداً، أنت تعطينى هذا الطفل وأنا أعطيك جثة لطفل ميت حديثاً، فتأخذ الجثة إلى الملك ليراه، فهو لا يعلم الغيب حتى يعرف جثة من هذه وسيظن أنها لنفس الطفل.
قال الجلّاد:

حسناً! بهذا أكون قد أنجيتُ هذا الطفل البرئ من الموت وفى نفس الوقت أرحت نفسى من عذاب الضمير.

بحث الراعى بين القبور حتى عثر على قبر طفل دُفن حديثاً فنبشه بعصاه وأخرج الجثة وقال للجلّاد:

هيا تعال فهذه جثة طفل ميت حديثاً.

فرح الجلّاد جداً وطبع قبلة على جبين الطفل وقال له:

الآن نجوت من الموت، فربما عندما تكبر تستطيع أن تنتقم من أسد شاه.

ضحك الطفل أيضاً فناولته الجلّاد للراعى، وسأله الراعى:

لمن هذا الطفل؟.

- إنه حفيد أسد شاه، فهو ابن أبى القاسم.

قال الراعى:

عجباً، زمن عجيب.

إنصرف الجلّاد من هناك بالجثة، واحتضن الراعى الطفل الذى كان قد أنقذ من الموت إلى بيته.

ضحك الملك ضحكة الإنتصار عندما رأى جثة الطفل الصغير وقال:
أحسننت! الآن يمكننى حمله ودفنه.

- لنذهب الآن إلى مسكن ريحان هانم المتواضع، تلك المرأة الشابة التى انقلب فرحها وسرورها إلى غمّ وهمّ وكآبة لنرى ماذا تفعل.
كانت ريحان هانم التى أبعادوا عنها زوجها بعد زواجهما بفترة قصيرة ووضعوه فى السجن، وبعد مدة أخذوا منها ابنها أيضاً شاحبة ومكتئبة جداً.
فكرت ريحان هانم فى حالها وماحدث لزوجها وإبنها فلذة كبدها حتى اختمرت فكرة الإنتقام فى ذهنها وتطورت وفى النهاية وصلت إلى نتيجة راسخة وهى أن الإنتقام من أسد شاه واجب مقدس.

إرتدت فى اليوم التالى ملابس القتال وحملت معها سيفاً ودرعاً ورمحاً وسهماً وقوساً وامتطت حصاناً وشقت طريقها إلى ساحل البحر.
إختارت لإقامتها قلعة كبيرة على جانب من الشاطئ لم يسكنها أحد منذ سنوات.
كانت ريحان هانم امرأة عاقلة وليست متهوره، وما كانت تخاف من أى احد ولا من أى شئ؛ فأقامت فى القلعة عدة أيام وكانت تذهب كل ليلة إلى المدينة لتهجم على أفراد وحرس الملك، فأبادتهم واستولت على أموالهم وأسلحتهم ونقلتها إلى القلعة.

وقد تواصل معها كل من عانى من ظلم الملك وأعوانه، فرادى وجماعات، وبسرعة وفى فترة قصيرة جمعت ريحان هانم حولها جماعة من المسلحين، هؤلاء الأفراد الآخرين لم يتركوا للملك فرصة ليشرب شربة هنيئة، وحرّموا عليه النوم.

كانوا فى كل يوم يغيرون على المدينة، وكانوا يؤدّبون المؤيدين للملك، فقتل كل قادة جيش الملك الأشداء وأنهك جيشه القوى.

فى يوم من الأيام إستدعى أسد شاه وزيره وقال له:

أكثر من نصف جيشى قد هلك وأبىد قادة جيشى، وإلى الآن لم أعرف عدوى ولا أعرف من أين تأتى هذه الضربات المهلكة على مملكتنا، سأمهلك ثلاثة أيام فقط حتى تعرف لى من ذاك الذى خطط لإبادتنا.

ليس للوزير حيلة إلا الخضوع، فقدّم فروض الطاعة وخرج من القصر غاضباً مشوش

الذهن؛ سار بدون وعى فى كل اتجاه باحثاً عن حل لهذه المشكلة، فتذكر صديقه التاجر، ذاك الرجل الحصيف الداهية.

أسرع الخطا إلى بيت التاجر، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال قال له: يا صديقى العزيز! كما تعلم أن هناك أفراد يهجمون كل ليلة على المدينة ويقتلون قادتنا وجنودنا ويهربون،

وقد طلب منى الملك أن أعرف زعيمهم، فكيف لى أن أعرف من هو؟. قال التاجر:

يا حضرة الوزير! أنت لن تستطيع أن تعرف من يكون هؤلاء الأفراد ولا من يكون زعيمهم؛ لكنى سأحاول أن أعرف لك السرّ وراء ذلك، وأعرف من هم.

إنفجرت أسارير الوزير فقد فتحت له طاقة الأمل وقال:

حسناً جداً! لكن عليك أن تسرع لأن الملك سيقتنلى.

طمأن التاجر الوزير وقال له:

أرح بالك ولا تنزعج أبداً.

غادر الوزير بيت صديقه، وقام التاجر الحصيف بتحميل بعضاً من مستلزمات السفر على بغلته وشق طريقه على الساحل، وعندما اقترب من القلعة قبض عليه الحرّاس وأخذوه إلى ريحان هانم.

سألته ريحان هانم: من أنت؟ من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب؟.

أجاب التاجر:

أنا بائع متجول، وقد أتيت من مملكة أسد شاه وأذهب إلى أى مكان من أجل البيع والشراء.

سألته ريحان هانم:

ماذا يفعل أسد شاه؟ يقوم بإعادة بناء جيشه، نعم أم لا؟.

أجاب التاجر بمكر: أيتها الأميرة هانم! الله يكسر وسط هذا الملك الظالم، فلم يسلم من ظلمه أى أحد، وقد وصلت استغاثة الناس من ظلمه إلى العرش الأعلى؛ ولحسن الحظ قد ظهر أخيراً عدو للملك بطل وشهم، فالتحق به الكبار والصغار.

وقعت ريحان هانم بما لها من ذكاء وشجاعة تحت تأثير الكلام المعسول للتاجر الخسيس، وقالت بحسن نية:

إن عدو أسد شاه الذى أقلق حياته هو أنا ورجالى.

أمرت الهانم رجالها أن يحسنوا استقبال التاجر ويوقروه؛ فاحسنوا استقباله وضيافته وقضى معهم وقتاً كشخص عزيز ومحترم ولم يضروه فى شئ. قضى التاجر هناك ثلاثة أيام وتعهد لهم بالوفاء، وفى نهاية اليوم الثالث نقض عهد الوفاء وذهب إلى الوزير وأخبره قائلاً: بيتك تخرّب! إن الشخص الذى يحارب الملك وحول أيامه

إلى سواد، ما هو إلا فتاة شابة جميلة.

ضحك الوزير وذهب إلى الملك وقال له وهو مسرور:

يا قبلة العالم! قد لبيت طلبكم وعرفت لكم أن الشخص الذى تجرأ وحارب جيش حضرتكم ما هو إلا فتاة شابة جميلة، وتقيم فى القلعة، وجيشها منتشر على طول ساحل البحر.

ما أن سمع الملك هذا الحديث من الوزير حتى اتسعت عيناه من الدهشة ونهض

واقفاً وصاح:

أيها الوزير! هل يحدث مثل هذا؟ يا للعار على الجيش وعلى قادة الجيش أن يقع أسيراً في قبضة فتاة؛ أقسم بدرع المملكة وتاج وعرش السلطنة الذي ورثته عن أجدادي أن أرسل جيشاً إلى الساحل ليأتيني بهم جميعاً في خُرج.
قال الوزير:

لو أن العدو كان في حجم ذبابة يجب علينا أن نعتبره فيلاً ضخماً الجثة؛
وعلى رأى المثل:

ليس العدو ضعيفاً ولا حقيراً.

صاح الملك في غضب وقال:

لا تتشائم أيها الوزير، أي فيل هذا؟،

أتصنع من امرأةٍ صغيرة فيلاً عظيم الجثة؟.

أصدر أسد شاه أمراً بالهجوم، وأرسل جيشه في اتجاه ساحل البحر.

تحرك الملك بنفسه على رأس الجيش، وعندما وصلوا قريباً من الساحل أمر

الملك بأن ينصبوا خيمة، وأرسل إلى ريحان هانم رسولاً يبلغها أن تستسلم ولها الأمان من الملك شخصياً.

بعثت ريحان هانم مع نفس المبعوث رسالة تقول فيها:

سأقطع ذيلك وأذنك أيها الحمار الذي يبدّل جلده، أنا زوجتك، أنا ريحان وكان كل أملى أن ألتقى بك في يوم من الأيام وجهاً لوجه، وقد تحققت أمنيّتي الآن، فسأنتقم منك شر انتقام.

ما أن سمع أسد شاه إسم ريحان حتى ارتعدت مفاصله، وصاح قائلاً:

دقوا طبول الحرب، فهرع الجنود في اتجاه ميدان الحرب مندفعين كالسيل العارم.

من ناحيةٍ أخرى هجمت ريحان هانم بجنودها على جيش الملك واستمر القتال

بينهما لمدة ثلاثة أيامٍ بلياليها بدون كلل أو ملل، حتى هزم جيش ربحان هانم جيش الملك، فقد قتلوا منهم بعضاً وجرحوا بعضاً وفرّ آخرون، ومن ثم أسروا منهم بعضاً،

ورأى أسد شاه وبعضاً من ضباطه أن الوضع خطير للغاية فقرروا الإنسحاب بمن بقى منهم على قيد الحياة.

استدعى الملك الوزير أمامه وقال له:

أيها الوزير، هذه الفتاة، ربحان هانم فعلت بنا ما فعلته، ولو أننا قبضنا على أبو القاسم وقتلناه ما كان سينزل على رؤسنا كل هذا البلاء، هذه الفتاة أهانت كرامتنا ومرّغت شرفنا فى التراب.

قال الوزير:

أيها الملك، إهدأ قليلاً، فما مضى قد مضى، فعاجلاً أم آجلاً سنشتت جيش ربحان هانم هذه ونسلمها للسيّاف ليقطع رقبتها فى الميدان العام.

- لنترك الملك ووزيره ومرافقيهم هنا يتباحثون فى أمر تسليح الجيش

والإمدادات بالمعدات والمؤن والطعام، وهيا بنا نذهب لنرى ما فعل ذاك الطفل الذى كان الراعى قد أخذه من السيّاف عند المقابر؛ نقصد " زمان"، ابن ربحان هانم.

كبر زمان ووصل إلى سن الخمسة عشر، وأصبح شاباً يافعا راشداً عالماً ومقاتلاً شرساً، لكن لم تكن علاقته جيدة برجال القصر والأعيان والأشراف فى المدينة ولم يعيرهم اهتماماً، لذا شكّوا فى تصرفاته وقدموا ضده شكوى للملك.

أرسل أسد شاه أحد أفراد الحرس ليأتى بالراعى أمامه؛ فحضر الراعى أمام الملك وبعد أن أدى التحية المناسبة قال له الملك: أيها الراعى، قل لى لأعرف من يكون الشاب زمان هذا؟، وأقسم إن لم تقل الحقيقة فسأصدر أمراً بتعليقك على المشنقة.

ظن الراعى بأن الملك يعرف السرّ، لهذا سرد على أسمع الملك الحكاية من بدايتها، منذ خمسة عشر سنة وحتى الآن؛ فأمر الملك بالقبض على زمان وقتله، فتحرك السيّافون فى الحال للقبض على زمان، لكن الوزير المخضرم قد وصل قبلهم سراً إلى زمان وقال له:

إن الملك قد أمر بقتلك، فاهرب من هنا بأسرع ما يمكنك.

شكر زمان الوزير وجهز نفسه وخرج من المنزل مسرعاً وخلص نفسه من الهلاك.

من ناحية أخرى وصل السيّافون إلى بيت زمان لكنهم لم يجدوه، فعادوا وأخبروا الملك، فغضب الملك بشدة وصاح كمن لدغته أفعى، وأمر الجنود بأن يبحثوا عنه فى كل مكان ويأتوا به، لكن دون جدوى وكأن زمان قطرة ماء وذابت فى الأرض، فأمر الملك الظالم بإحضار السيّاف الذى عصى أمره منذ سنوات مضت ولم يقتل الرضيع آنذاك، أحضروا السيّاف ومعه ابنه إلى القصر الملكى ففصلوا رأس الإبن أمام عينى أبيه السيّاف، ومزقوا جسده ووضعوه فى أسياخ على النار ومن ثم أطعموه لأبيه بالقوة، وسأل الملك السيّاف باستهزاء:

ها! قل لى، هل لحمه طيب؟.

رد السيّاف:

أيها الملك، وهل يؤكل لحم الإنسان؟.

فسأله الملك وهو يستهزئ:

هل كبذك يحترق؟، الشخص الذى يعصى أوامر ولى نعمته جزاؤه هذا.

قال السيّاف:

أيها الملك، إن كبدى لا يحترق، إنه أمر الملك، ويجب أن أنفذه؛ كل ظلم من الملك هو لنا رحمة.

قال الملك:

لتحترق! فهذا جزاء الخيانة.

أمر الملك بأن يسحقوا عظام الإبن أيضاً، فضحك السيّاف بصوتٍ عالٍ وقال: إنه أمر مثير للضحك أيها الملك العظيم.

فى الحقيقة، عندما فصلوا رأس إبن السيّاف عن جسده أحس كأنهم قطعوا رقبتة هو، وكأن جلد جسمه ينسلخ، ولحمه يتمزق قطعاً، لكنه لم يظهر ضعفه أمام عدوه، ومن ثم تحمّل العذاب والألم، وأخذ يترنح ويسقط ويقوم حتى وصل إلى بيته.

- لنتتبع حال زمان، إلى أين ذهب وكيف يقضى وقته.

كان زمان يعيش وحيداً كالدّنب، يختفى فجأة ويظهر فجأة، وكان يذهب فى الليل متخفياً إلى بيت السيّاف ليعرف منه الأخبار.

من ناحية أخرى جعلت ريحان هانم أيام الملك سوداء، فقد كانت فى كل يوم تهجم على المدينة وتتلّف ممتلكات الأعيان والأشراف وتأخذ أموالهم غنيمة. كانت ريحان هانم قد سمعت عن زمان وشجاعته، وتمنت لو انها تلتقى به؛ لم تكن تعلم أن زمان هذا هو إبنها، فكل ما تعلمه هو أن السيّاف أخذه من سريره عندما كان رضيعاً ليقتله بأمر من الملك.

كان زمان أيضاً قد سمع عن جرأة وإقدام ريحان هانم، وتمنى لو أنه يراها. ذهب زمان ذات يوم متخفاً فى ملابس درويش إلى بيت السيّاف فحكى له السيّاف عما دار بينه وبين أسد شاه، وعن التعذيب الذى وقع عليه هناك وقتل إبنه وشى لحمه وسحق عظامه أمامه بدون ذنبٍ جناه.

تأثر زمان لسماعه هذا الكلام وسالت الدموع من عينيه، فقال له السيّاف:

سامحنى إذا كنت قد ازعجتك أو سببت لك ضرراً؛

فسأله زمان بعد أن هدأت أعصابه: من هو أبى ، ومن هى أمى؟.

قال له السيّاف: إن أباك محبوساً فى سجن أسد شاه، أما أمك فقد ذهبت من هنا،

ولا أحد يعرف إلى أين ذهبت، أو هي ميتة أم على قيد الحياة.
ثار زمان وغلى الدم فى عروقه لسماعه هذه الأخبار وقال:
أنا لا أكون ابن أبى إن لم أنتقم من هذا الملك الظالم، أيتعذب أبى فى السجن وأنا
هنا مستريح؟.

قال السيّاف: يا زمان، أسرع ولا تغضب، فقد تسوء الأوضاع بالنسبة لك أكثر
من ذلك، وأسد شاه لديه وزير محنك لكنه معارض لظلم الملك وقسوته على
الشعب، فدعنا نتشاور معه لنعرف وجهة نظره.

قال زمان: لا، إحضر لى فقط حقار الآبار هنا لأ تشاور معه فى مهمة.
تعجب السيّاف لكنه لم يستفسر منه عن شئ، وذهب وأحضر الحقار فتحدث معه
زمان فى موضوعاتٍ شتى، وفى النهاية دخل فى الموضوع الأسمى فقال له: يا
حقار الآبار، لو يمكنك أن تحفر لى نفقاً من هنا إلى تحت القصر الملكى حتى
يصل إلى تحت حجرة الملك مباشرةً فسأعطيك مائة قطعة ذهبية.
ما أن سمع الحقار كلمة " مائة قطعة ذهبية " حتى اتسعت عيناه من الدهشة
وقال: فى الحال، الآن أبدأ فى حفر النفق الذى تريد.

فسأله زمان: كم يكفيك من الوقت لتنتهى منه ويكون جاهزاً تماماً؟.
أجابه الحقار: حوالى سبعة أيام كحد أقصى.
بدأ الحقار فى نفس اليوم، وانهك جسده فى عمله حتى أنه انتهى من حفر النفق
تحت غرفة الملك تماماً فى ستة أيام وأخبر زمان بذلك.
أعطى زمان المائة قطعة التى اتفق عليها للحقار فسعد الحقار وشكره مبتسماً
وودّعه وانصرف لحال سبيله.

مكث زمان يحسب الوقت منتظراً منتصف الليل، حيث السكون ينشر أجنحته
على أرجاء المدينة، والملك فى حجرة آمنة ينعم بنوم عميق على سرير من
خشب الأبنوس وفرش من الحرير ووسادة محشوة بريش النعام، فى قصر

حوائطه عالية وحراس فى حالة يقظة دائمة فوق القصر وحول القصر؛ دخل زمان النفق ووصل إلى قرب مخدع الملك وسمع خرخرته فسحب سيفه من غمده ، وقال له وهو يفصل رأسه عن جسده:

خرخر ايها الملك، وليذهب كابوسك المرعب لسنوات إلى الأبد.

غادر زمان المكان بعد أن ترك رسالة بخط يده، وحين أصبح الصباح استيقظ الخدم والعمال من النوم تدريجياً وبدأوا أعمالهم؛ أعدوا طعام الإفطار وانتظروا قدوم الملك، لكن لا خبر عن الملك، وجلس الوزراء والوكلاء والساسة ورجال الأعمال ينتظرون فى الديوان الملكى، لكن الملك لم يحضر ولم تكن لأى أحد من الموجودين الجرأة لأن يدخل إلى غرفة نوم الملك ليتحرى الأمر؛ تجرأ الوزير، عندما انتصف النهار وبلغت الشمس منتصف السماء، وذهب إلى مخدع الملك وطرق الباب فلم يسمع رداً ثم طرق ونادى على الملك فلم يسمع رداً أيضاً ثم طرق مرة أخرى طرقة شديداً، وعندما لم يسمع هذه المرة رداً قاموا بكسر الباب ودخلوا الغرفة فوجدوا الملك غارقاً فى دمه وكانت رأسه مفصولة عن جسده كرأس خروف وملقاة فى ركن من الغرفة، فصاح أولئك الذين رأوا هذا المشهد وصرخوا، فاجتمع على صياحهم كل من كان فى القصر آنذاك؛ سحبوا جسد أسد شاه من وسط الدماء ورأوا رسالة بجوار الرأس المقطوعة مكتوباً فيها:

أنا الذى قتل أسد شاه.

فى عصر نفس اليوم، جلس أحد أولاد أسد شاه وإسمه "كريم" مكان أبيه على كرسى السلطنة، ووضع التاج على رأسه؛ فقد كانت أمّه أميرة.

بدأ كريم شاه حكمه بالظلم والاستبداد، فأصبح ظالماً، وكالمثل المعروف:

من شابه أباه فما ظلم؛ ومن ناحية أخرى ذهب زمان يبحث عن ربحان هاتم

ليخبرها أنه قتل أسد شاه، وفى نفس الوقت يطلب منها المساعدة فى إنجاز ما لم يستطع إنجازَه بنفسه.

إلتقى زمان بريحان هانم وأخبرها ففرحت بشدة لقتل أسد شاه وقبّلت يد زمان وقالت له:

أيها البطل الشجاع، أنت قتلت عدوّى، وأنا سأسلمك قيادة جيشى هذا.

شكر زمان ريحان هانم وقال لها:

بعد أن ظهرت الدنيا من الملك الظالم أسد شاه جلس ابنه كريم مكانه على عرش المملكة، وأصبح أكثر ظلماً من أبيه، فأتيت إلى هنا مسرعا لنتعاون سوياً فى تطهير البلاد من الظلم والقهر.

- لنتركهم هنا يتشاورون فى تجهيز الجيش، ونمضى نحن فى أثر الوزير والسيّاف.

انتابت السيّاف حالة من الفرح والحزن فى وقت واحد، حالة الفرح لأن عدوه أسد شاه الذى قتل ابنه أمام عينيه قد قتل، وحالة الحزن لأنه يعرف أن كريم شاه أكثر شراسة من أسد شاه ويمكن أن يقتله؛ وفى يوم من الأيام وحين كان يجلس حزينا فى ركن من أركان بيته إذ به يسمع طرّقاً على الباب ففتح الباب وإذا بالوزير نفسه يدخل عليه ويقول له:

إن كريم شاه قد أصدر أمراً باعتقالك وقتلك، وإذا لم تتصرف بسرعة فسيتم القبض عليك حالاً وإعدامك.

وقع السيّاف وهو يرتجف من الخوف على قدمى الوزير يتوسل إليه ويقول له: ماذا على أن أفعل؟، كيف أخلص نفسى من شر هذا الظالم؟.

أمسك الوزير بيد السيّاف ورفعاه وقال له:

إن الوقوع على قدمى لم كن علاجاً للألم والمعاناة، ولم يكن وسيلة لعملك، فانهض وجهز نفسك وعندما يحل المساء سنغادر أنا وأنت هذه المدينة ونذهب إلى ريحان هانم لنضمن النجاة من موتٍ محقق.

حمل السيّاف معه ما خف وزنه وغلا ثمنه، وخرج ليلاً من المدينة برفقة الوزير

واتجهها ناحية القلعة حيث تقيم ريحان هانم، وهناك التقيا زمان ففرح بهما وهنأهما بسلامة الوصول والنجاة من براثن كريم شاه وعرفهما بريحان هانم؛ وأعدت ريحان هانم لهما فى المساء حفلة تكريم بمناسبة انضمامهما إليها، وفى هذا الحفل قال الوزير:

على كل واحدٍ هنا أن يذكر لنا قصة حدث مُهمٌ من أحداث حياته.
بناءً على هذا سرد كل واحد من الموجودين فى الحفل قصة الحادثة التى كانت سبباً فى قدومه إلى هذه القلعة، ومن خلال هذا السرد والحوار عرفت ريحان هانم أن زمان هو ابنها فقامت واحتضنته وسالت دموع الفرح من أعين الجميع لاجتماع الأم بابنها بعد سنوات طويلة من الفراق، وشكرت ريحان هانم الوزير والسياف وأقامت الحفلات لمدة أربعين يوماً بلياليها فرحاً بعودة ابنها إليها، وانشغل الجنود بالإبتهاج والسرور وتركوا مواقعهم حول القلعة، فكان أن هجم كريم شاه بجنوده على القلعة وأحدث فيهم تلفيات كثيرة فى الأرواح والمعدات، واستطاعت ريحان هانم مع مجموعة من جنودها أن تنجو من هذه المهلكة، وتمكنت بمن معها فى فترة قصيرة من إعاد تكوين جيش عظيم وعهدت بقيادته لابنها زمان، فأصدر زمان أمراً للجيش بالهجوم، فهجموا على جيش كريم شاه فى منتصف الليل فقتلوا منهم من قتلوه وتشتت الجيش وهرب كريم شاه من أرض المعركة ووصل المدينة.

أدركت ريحان هانم أن هناك خطأ ما وقالت فى نفسها:

إن الحذر أمر لازم وضرورى لكل إنسان عاقل، ولازم أكثر لكل قائد بجانب

التخطيط الناجح، وتعلمت من فشلها وإخفاقاتها السابقة لتعويض هزائمها

وخسائرها وكسب النصر فى المقابل.

قامت ريحان هانم بإعادة تكوين وتشكيل جيش من الرجال الشجعان، وقسمتهم إلى ثلاثة مجموعات، فسلمت قيادة المجموعة الأولى لابنها زمان، وعهدت

بالمجموعة الثانية إلى الوزير، وأسندت قيادة المجموعة الثالثة إلى أحد الأفراد الجديرين بالقيادة من الذين تطمئن إليهم؛ ومن ثم أصدرت أمراً باعتبارها القائد العام للمتمردين بالهجوم على المدينة من ثلاث جوانب.

أسرع زمان بمجموعته لقتال العدو فهجم بكل قوته وأعمل فيهم سيفه يميناً ويساراً حتى تعب وخارت قواه وضعفت يداه، فقد أصيب بعدة طعنات في أنحاء جسده مما أفقده الوعي، وسقط من فوق فرسه على الأرض.

رأت أمه في نفس ليلة المعركة في منامها رؤيا أفزعته، فقد رأت أن فيضان عارم أخذ يضرب ابنها زمان ويسرع به، فققت من نومها خائفة وامتطت حصانها واتجهت به إلى حيث أرسلت ابنها، وفي طريقها شاهدت ثلاثة أفراد من مجموعة زمان فسألتهم وقالت لهم:

أخبروني بسرعة لأرى، ماذا حل بزمان؟.

أجابها أحدهم وهو يبكي بشدة: لقد شتتوا مجموعتنا وقتلوا زمان.

صرخت ريحان هانم صرخة مدوية وسقطت من فرسها على الأرض مغشياً عليها.

بعد عدة محاولات ممن حولها، أفاقت ريحان هانم وأخذت تصلح من هدامها وتعيد تصفيف شعرها ومن ثم سحبت سيفها من غمده وقالت:

أقسم لأن أقاتل العدو وأفصل رأسه عن جسده وأشرب من دمه، وبهذا أكون قد انتقمت وشعرت بالراحة.

في نفس هذه اللحظات وصلت رسالة إلى ريحان هانم، من كريم شاه فيها: أيها القائدة العظيمة، فكّري بعقل وتوقفي عن الحرب التي كانت سبباً في إساءة الدماء وإهلاك قوتك العسكرية، ولنتزوج ونقوم سوياً بإنشاء وطن واحد، وتكونين الملكة معي، ونعيش معاً بالحب حتى آخر العمر.

ارتسمت على شفتي ريحان هانم ابتسامة ممزوجة بالسخرية لما تحمله من

حقّد، وأجابت على الرسالة بجملة قصيرة قالت فيها: قريباً سنلتقى وجهاً لوجه.
غضب كريم شاه بشدة بعد قراءته الرد على رسالته وأصدر أمراً بالهجوم،
فاندفع الجنود كأمواج البحر المتلاطمة، وسار كريم شاه فى المقدمة وسلك بهم
الطريق المؤدى إلى البحر، ومع اقترابهم من البحر أصدرت ريحان هانم أمراً
بالانسحاب التكتيكى، فانتبه كريم شاه إلى هذه الخدعة العسكرية فقام بتقسيم
جنوده إلى مجموعات ووزعهم على عدة جوانب، وأبلغهم بأن كل من يرى
ريحان هانم يقبض عليها ويأتى بها إليه حية .

بدأت الحرب وتقاتل الجيشان بلا هوادة ما بين الكرّ والفرّ بين الجانبين، وأخيراً
أصدرت ريحان هانم أمراً بالهجوم النهائى الكبير، وأخذت تدور فى أرجاء أرض
المعركة وسط جنودها، ترفع من روحهم المعنوية وتبث فيهم الغيرة والحمية
للانتقام من العدو الذى أذلّ رقابهم من قبل وأذاقهم مرارة الظلم؛ استمر القتال
حتى المساء وقد اصطبغت الأرض بلون الدم، وفى النهاية انتصرت ريحان هانم
بجنودها على كريم شاه وجنوده، وعندما همّ كريم شاه وضباطه بالفرار من
أرض المعركة أمرت ريحان هانم بأن يحيطوا بهم ويقبضوا عليهم.
قبضوا عليهم وقيدوا أيديهم وأرجلهم بالحبال.

فى صباح اليوم التالى وحين كانت ريحان هانم تتفقد أحوال جندها رأت ابنها
زمان وسط الجنود فصاحت غير مصدّقة:

آاه يا ابنى، لقد قالوا لى إن جنود كريم شاه قتلوك؛ واحتضنا بعضهما بشدة،
وقال لها زمان:

إنهم صادقون فيما قالوا، فقد أصبت بجروح قاتلة فى كل أنحاء جسدى، لكن
أصدقائى عثروا علىّ وأنقذونى فى اللحظات الأخيرة من موتٍ محقق.

دخلت ريحان هانم وجنودها المدينة وأول ما أمرت به هو أن يفتحوا أبواب
السجون ويهدموا حوائطها، وأن يطلقوا سراح كل المساجين، وأسرع أبو

القاسم للقاء زوجته الحنون والفدائية العظيمة فالتقت عيونهما بعد سنوات الفراق والعذاب والألم وسالت دموع الفرح من العيون، ووسط هذه الإنفعالات قامت ريحان هانم بتقديم إبنهما زمان إلى أبيه الذى ازدادت فرحته برؤية ابنه وقبلًا بعضهما بعضاً وقبل زمان رأس أبيه ووجهه.

بعد هدوء انفعالات النصر واللقاءات أتى الجنود المنتصرين بكريم شاه السقاح وضباط جيشه المنهزم الذين كانوا مقيدين بأيديهم وأرجلهم إلى القصر الملكى، كما استدعت ريحان هانم إلى القصر كبار القوم والوزير الحكيم ورجال الوزير والسيّاف - الذى كان من أصحاب الوزير، وكان أيضاً من المساعدين الأوفياء لريحان هانم- وأمرت بإقامة منصة للإحتفال، ولزيادة سعادة الشعب أمرت بإعدام الأشراف والأعيان وكل رجال كريم شاه على أعواد المشانق، ثم سحبت سيفها البراق من غمده بيمينها ورفعت خوذة كريم شاه من فوق رأسه وأمسكت شعره بيدها اليسرى وحزّت رقبتة، وملأت خوذته من دمه وتجرعتها، وبهذا أوفت بما عاهدت به نفسها بالانتقام، فهدأت نفسها وسكنت آلامها وأوجاعها. منذ ذلك الوقت وحتى الموت عاشت ريحان هانم مع زوجها وإبنها بعيداً عن العداوة والبغضاء.

بهذا الأمل عيشوا أنتم أيضاً فى كمال الهدوء والسعادة الدائمة.

* * * * *

الفهرس

م	الحكاية	صفحة
١	حكاية حسين الكردي	١
٢	" الأمير والملكة خاتون	٢٣
٣	" جل ونسترن	٤٠
٤	" الشبل	٥٠
٥	" الملك عباس والشقيقات الثلاث	٧٠
٦	" الملك جمشيد	٨٣
٧	" سيف الملك	٩٨
٨	" أبر	١١٧
٩	" إيلزاد	١٣٢
١٠	" الحصان الوفي	١٤٩
١١	" جول أغا	١٧١
١٢	" نصير ونسترن	١٨١
١٣	" صمد	٢٢٤
١٤	" جل خندان (الورد الضاحك)	٢٤٠
١٥	" الياس	٢٦٣
١٦	" ريحان هانم	٢٨٢
—	الفهرس	٣٠٧